

سلسلة الهدى والنور

هل العهد القديم كلمة الله ؟

الدكتور

منقذ بن محمود السقار

دكتوراه في مقارنة الأديان

سلسلة الهدى والنور

هل العهد القديم كلمة الله ؟

الدكتور

منقذ بن محمود السقار

دكتوراه في مقارنة الأديان

الإذن الخطبي

للدكتور / منقذ السقار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ، والصلوة والسلام على رسول الله ، وبعد
باني أشكر الله عز وجل على عظيم آلاءه وفضله
وأحمده تبارك وتعالى أن يسر صدور هذه
الطبعة الجديدة من سلسلة الرسى والنور
وقد يسر الله عز وجل صدورها عن طريق
دار الإسلام ، هذا الصرح العالمي الذي
يتصدى باقتدار للجهة الأئمة على الإسلام .
لذا فقد خصصتها بحق طباعة السلسلة ،
ولصاحبها أشرف الرؤساء .

منقذ السقار

١٤٤٨
ج ٢
مكة المكرمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٠٧/١٥٦٦٤



دار الإِسْلَام

للنشر والتوزيع

dar_alislam@maktoob.com
dar_alislam@yahoo.com

رقم الإيداع بالملكة العربية السعودية

١٤٢٦/٥٦٠٣

الطبعة الأولى

١٤٢٨/٢٠٠٧

الترقيم الدولي

I.S.B.N.

٩٩٦٠-٤٩-٥٥٦-٦

حقوق الطبع محفوظة لدار الإسلام للنشر والتوزيع

١٤٢٨/٢٠٠٧

لا يُسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل
من الأشكال ولا يُسمح باقتباس أي جزء من الكتاب أو ترجمته
إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطوي مسبق من الناشر .



**هل العهد القديم
كلمة الله ؟**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدَّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلوة والسلام على جميع أنبياء الله المرسلين ، وعلى نبينا محمد ، صلى الله وسلم عليه وعليهم أجمعين ، وبعد :

ما زال الصادقون في كل عصر وجيل يبحثون عن الهدى والنور ، وقد أرسل الله رسلاه ، حاملين للهدى والبيانات والنور ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤] ، ﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ إِثْرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتُّورَةِ وَأَتَيْنَاهُ إِلِّيْخِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْتُّورَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٤٦] .

ثم جاء القرآن الكريم ، الكتاب الخاتم أيضا للدلالة على النور والهدى ﴿يَأَهْلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُلُونَ كَثِيرٌ قَدْ جَاءَكُمْ مِنْ أَنَّهُ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ⑤ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبْلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطِ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥-١٦] .

إلا أن كتب الله المنزلة على الأنبياء السابقين فقدت بسبب ظروف كتابتها وطريقة حفظها ، وتعرضت للتحرير والضياع ، فضل البشر وтаهوا عن الهدى والنور .

هل العهد القديم كلمة الله؟

وتوارث الناس كتبًا بديلة تُسبّب إلى الله ، لكنها كتب خالية - إلا قليلاً - من الهدى والنور ، فقد حملت هذه الأسفار المكتوبة في طياتها ضعف البشر وجهلهم ، فجاءت هذه الكتابات متناقضة غاصة بالكثير مما لا يرضي العقلاء نسبته إلى الله ووحيه القويم .

وهذا لا يمنع أن يكون في هذه الأسفار بعض أثاره من هدي الأنبياء وبقايا من وحي السماء ، لكنها كما أسلفت غارت في بحور من تخليط البشر وتحريفهم .

هذا محمل إيمان المسلمين في الكتب السابقة ، فهم يؤمنون بالكتب التي أنزلها الله على أنبيائه ، لكنهم يرفضون أن يقال عن أسفار العهد القديم ، أنها كلمة الله ، وإن حوت بعض كلمته وھدیه .

أما النصارى واليهود فهم يؤمنون بقدسية هذه الأسفار ، ويعتبرونها كلمة الله التي سطرها أنبياؤه ، وتناقلها اليهود عبر تاريخهم الطويل .

وإذاء هذا الاختلاف الكبير بين موقف الفريقين من أسفار العهد القديم ، نطرح سؤالنا الهام : « هل العهد القديم كلمة الله؟ ». .

وهو السؤال الذي نحاول الإجابة عنه في هذه الحلقة من السلسلة التي تقدم بها للذين مازالوا يبحثون عن الهدى والنور من أهل الكتاب .

وقد نهجتُ في هذه السلسلة منهج الغوص في طيات الكتب المقدسة عند النصارى ، لأبحث من خلال الركام الكبير من الباطل عن أثاره الحق الذي نطق به الأنبياء ، لأقيم من خلاله الحجة على أولئك الذين يؤمنون بقدسية هذه الكتب .

وقد أيدت ما بين يدي من نصوص بأقوال علماء الكنيسة ، و مجتمعها و مؤسساتها ،
كما استأنست بأقوال أحرار الفكر الغربيين الذين أنطقتهم الحقيقة بشيء من الإجابات
التي نبحث عنها في هذه السلسلة ، سلسلة الهدى والنور .

والله أسأل أن يهدينا جميعاً لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه ، إنه يهدي من يشاء إلى
صراط مستقيم .

د . منقذ بن محمود السقار

مكة المكرمة - شعبان - ١٤٢٣ هـ

mongiz@maktoob.com

معتقد المسلمين في توراة موسى عليه السلام

تبين آيات القرآن الكريم بجلاء موقف المسلمين من التوراة التي أنزلها الله تبارك وتعالى على نبيه موسى عليه السلام ، إذ يخبرنا القرآن أنها وحي الله وكتابه وهديه الذي أنزله هدى ونوراً لبني إسرائيل ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا الْتُّورَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ سَحْكُمُ بِهَا الَّنَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ [المائدة: ٤٤] ، ﴿وَأَنْزَلَ الْتُّورَةَ وَالِّإِنجِيلَ ﴿مِنْ قَبْلٍ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ٤-٣] .

ويقول تعالى مخاطباً المؤمنين ، داعياً إياهم إلى الإيمان والصدق ب بكل ما أنزل على الأنبياء السابقين : ﴿قُولُوا إِنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ الَّنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] ، ويقول واصفاً المؤمنين : ﴿إِنَّمَا الَّرَسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُثُرُهُ وَرُسُلِهِ لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وقد ذكر القرآن الكريم أن الله وكل إلى أهل الكتاب حفظ كتابهم ﴿بِمَا أَسْتَحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شَهَادَة﴾ [المائدة: ٤٤] ، لكن هل كان بنو إسرائيل أمناء على الأمانة التي وضعها الله في أعناقهم ؟

القرآن يخبرنا أن اليهود قد امتدت أيديهم إلى الكتاب تتلاعب بمضمونه ومعانيه ، فذكر أنهم ﴿تُحْرِفُونَ الْكَلِمَةَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنُسُوا حَظًا مِمَّا ذُكِرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣] . كما أخبرنا الله تعالى أنهم كتموا بعضاً مما أنزل الله عليهم ، وأن الله بعث نبيه ومعه بيان كثير مما أخفوه ، ناهيك عما تجاوزه ، فلم يظهره ﴿يَأْهَلَ الْكِتَابَ قَدْ جَاءَكُمْ

رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْقُلُونَ عَنْ كَثِيرٍ» [المائدة: ١٥].

ثم كانت إحدى أكبر مساوئهم أنهم كانوا يكتبون كتاباً من عندهم ، ثم ينسبونها إلى الله عز وجل : « فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » [البقرة: ٧٩] ، وقال : « وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُدُنَ الْسَّنَّتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَخَسِّبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » [آل عمران: ٧٨].

ووضح النبي ﷺ هذا المعتقد حين قال : « إن بني إسرائيل كتبوا كتاباً ، فاتبعوه ، وتركوا التوراة » ^(١).

واستقر هذا المعنى في نفوس الصحابة والمؤمنين بعدهم ، يقول ابن عباس رضي الله عنهما : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء ، وكتابكم الذي أنزل على رسول الله ﷺ أحدث ، تقرؤونه مخصوصاً لم يُشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلاً كتاب الله وغيره ، وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا : هو من عند الله ليشرروا به ثمناً قليلاً » ^(٢).

ولا يمنع هذا من صحة بعض مواضع في التوراة ، لما فيها من آثار الأنبياء ، ففي التوراة حق وباطل كما أخبر الله ورسوله . ومن النصوص التي أشارت إلى وجود شيء من الحق في كتبهم أبسوه بالباطل والزور قوله تعالى : « يَتَأْهَلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِسُورَتْ

(١) رواه الدارمي ح (٤٨٠) ، والطبراني في الأوسط ح (٥٥٤٨) ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ح (٢٨٣٢).

(٢) رواه البخاري ح (٧٣٦٣).

الْحَقُّ بِالْبَيِّنِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ » [آل عمران: ٧١] ، وكذا قوله : « وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ الْتَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ » [المائدة: ٤٣] ، وذلك في مسألة رجم الزاني ، وهو مذكور في سفر التثنية ، حيث يقول : « إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل ، فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها ، فأخرجوها كليةما إلى باب تلك المدينة ، وارجموها بالحجارة حتى يموتا ، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة ، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه ، فتنزع الشر من وسطك » (التثنية ٢٢/٢٢).

وفي صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ قال : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبواهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم » ^(١).

وعلى سبب عدم التكذيب بوجود حق وصدق في كتبهم ، حيث قال كما في رواية أبي داود : « ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقواهم ولا تكذبواهم ، وقولوا آمنا بالله ورسله ، فإن كان باطلًا لم تصدقوه ، وإن كان حقًا لم تكذبواه » ^(٢).

وعليه فنحن نؤمن بتوراة موسى كل الإيمان ، ونؤمن بأنها حرفت ولم تحفظ ، وأن القوم أخفوا شيئاً ، وكتبوا أشياء ، وضاع منهم الكثير ، وما بين يديهم لا يخلو من بعض الحق .

وكثيراً ما نرى النصارى يستشهدون على صحة كتبهم بما جاء في القرآن من ثناء على كتاب موسى الكتاب ، مدعين أنها توثق الأسفار التي بين يديهم ، فهل أعجزتهم الحيل أم ضاقت بهم السبيل ، إنهم يرومون توثيق هذه الكتب والأسفار بنصوص القرآن والسنة التي نطقت بتحريفهم .

(١) رواه البخاري ح (٤٤٨٥).

(٢) رواه أبو داود ح (٣٦٤٤).

لذا نراهم يقتطعون النصوص القرآنية اعتسافاً ، فيوردون بعضها ويتجاهلون عن الكثير مما لا يخدم فكرتهم ، إنها طريقتهم دوماً ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِعَضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة: ٨٥] ، وهم بذلك كا وصف الله ﴿فَإِنَّمَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ رَجُغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَبَّهُ مِنْهُ أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] .

وعند جمع هذه النصوص في مكان واحد يستبين الحق ويستبصر الباحث عن الحق صراط الله المستقيم .

فمما يثبت أن هذه الأسفار ليست توراة موسى أن القرآن نسب إلى أسفار موسى الكثير من المعاني التي نفتقد لها في النصوص الحالية ، ومن ذلك قوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ حَقًا فِي الْتَّورَةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ﴾ [التوبه: ١١١] ، ولا وجود لهذا المعنى في العهد القديم ولا الجديد .

ومثله قوله تعالى : ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٤﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحْفِ الْأُولَى ﴿٥﴾ صُحْفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ [الأعلى: ١٦-١٩] ، فهذا المعنى لا وجود له في صحف الأسفار المنسوبة لموسى والتي تخلو من الحديث عن الآخرة والقيمة ، فضلاً عن المقارنة بينها وبين الدنيا .

ومثله نفتقد في الأسفار الحالية ما نسبه الله إلى توراته وإنجيله في سورة الأعراف من حديث عن النبي الأمي الذي يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ﴿الَّذِينَ يَتَبَعُونَ الرَّسُولَ الَّذِي أَتَىٰهُمْ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي الْتَّورَةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَسُبْحَلُ لَهُمُ الْطَّيِّبَاتِ وَسُخْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَيِّثِ وَيَضْعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

وأمثال هذه الآيات كثیر في القرآن ، ونفتقدها في الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى اليوم ، وذلك مؤذن ببطلان استدلالهم بالقرآن على توثيق ما في أيديهم من الكتب ، إذ توثيق القرآن ومدحه ، إنما هما لكتاب الله ووحيه ، وليس للحرف من كتبهم ، والمنسوب زوراً إلى الله تعالى .

أسفار العهد القديم

التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى تتكون من أقسام عدة :

أ- الأسفار الخمسة المنسوبة لموسى والتي يقابلها عند المسلمين : التوراة . وهي : سفر التكوين ، سفر الخروج ، سفر اللاويين ، سفر العدد ، سفر التثنية .

ويجدر التنبيه إلى أن فرقة السامريين اليهودية لا تؤمن بما سوى الأسفار الخمسة من توراتها السامرية ، كما سيأتي بيانه .

ب- الأسفار التاريخية ، وهي أسفار منسوبة لعدد من الأنبياء الذين عاصروا هذه المراحل التاريخية من حياة بنى إسرائيل ، وعددتها اثني عشر : (سفر يشوع ، سفر القضاة ، سفر راعوث ، سفر صموئيل الأول ، سفر صموئيل الثاني ، سفر الملوك الأول ، سفر الملوك الثاني ، سفر أخبار الأيام الأول ، سفر أخبار الأيام الثاني ، سفر عزرا ، سفر نحميا ، سفر أستير) .

ج- أسفار الشعر والحكمة ، وهي خمسة أسفار : (سفر أيوب ، سفر المزامير ، سفر الأمثال ، سفر الجامعة ، سفر نشيد الإنجاد) ، وتنسب هذه المجموعة في غالبيتها إلى داود وسلیمان ، ومن المزامير ما ينسب إلى آخرين مجهولين يدعون بنى قورح وأساف وإيثان (٢٣ مزموراً) ، ومنها المزامير اليتيمة (٥١ مزموراً) ، ولا يعرف قائلها .

د- الأسفار النبوية ، وتتكون من سبعة عشر سفراً ، وهي : (سفر إشعيا ، سفر إرميا ، سفر مراثي إرميا ، سفر حزقيال ، سفر دانيال ، سفر هوشع ، سفر يؤتيل ، سفر عاموس ، سفر عوبدية ، سفر يونان ، سفر ميخا ، سفر ناحوم ، سفر حقوق ، سفر صفينا ، سفر زكريا ، سفر حجي ، سفر ملاخي) . وتسمى الأسفار الستة الأولى أسفار الأنبياء الكبار ، والبقية الأنبياء الصغار .

هـ - أسفار الأبوكريفا السبعة ، وهي : (باروخ ، طوبيا ، يهوديت ، الحكمة ، يشوع بن سيراخ ، المكابيين الأول ، المكابيين الثاني) . يسمىها البعض الأسفار الخفية ، وكانت موضع ارتياح بعض آباء الكنيسة الأوائل ، فالقديس جيروم ترجم أسفار الأبوكريفا إلى اللاتينية ، لكنه لم يضفها إلى الأسفار القانونية ، لكن غيره قبلها ، واجتمعت الفرق المسيحية على قبولها في مجععي هيبو (٣٩٣ م) وقرطاجة (٣٩٧ م) ، وبقيت كذلك حتى القرن السادس عشر الميلادي ^(١) .

وفي ذلك القرن (١٦ م) ظهر البروتستانت ، فرفضوا الإيمان بقانونية هذه الأسفار تبعاً لليهود ^(٢) ، وأما الأرثوذكس والكاثوليك فقد تمسكوا بها ، وإن كان البعض يطبعونها منفردة في بعض النسخ الحديثة حرصاً على الوحدة الدينية للمذاهبنصرانية . وقد أقر قانونية هذه الأسفار جميعاً مجمع (ترن特) الكاثوليكي سنة ١٥٥٤ - ١٥٦٣ م ، والأرثوذكس في مجمع (بيت المقدس) سنة ١٦٧٢ م .

ويجدر بالذكر أن بعض الكنائس المسيحية تزيد أسفاراً أخرى إلى الكتاب المقدس ، كالكنيسة الأثيوبية التي تقول عنها دائرة المعارف الكتابية : « فعلاوة على الأسفار القانونية المعترف بها ، فإنهم يقبلون راعي هرماس وقوانين المجامع ورسائل أكليمندس ، والمكابيين وطوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ ، وأسفار أسدراس الأربع ، وصعود إشعيا ، وسفر آدم ويوسف بن جوريون وأخنون واليوبيل » ^(٣) .

وكذلك فإن الرسالة المنسوبة للنبي إرميا كانت معتبرة عند الآباء الأوائل

(١) انظر: المدخل إلى العهد القديم ، القدس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٩) .

(٢) للوقوف على حجج البروتستانت في رفض هذه الأسفار انظر علم اللاهوت النظامي ، جيمس أنس ، ص (٦٥-٦٠) .

(٣) دائرة المعارف الكتابية (١ / ٨٢) .

للكنيسة ، وقد حوتها أهم المخطوطات اليونانية [الفاتيكانية والسكندرية] وأقدم الترجمات كالسبعينية اليونانية ، والبشيطية السريانية ، والقبطية والأثيوبيّة ، بل نقلت دائرة المعارف الكتابية أن « الآباء اليونانيين الأوائل يمليون - بوجه عام - إلى اعتبار الرسالة جزءاً من الأسفار القانونية ، لذلك تذكر في قوائم الأسفار القانونية لأوريجانوس وأبيفانيوس وكيرلس الأورشليمي وأنثاسيوس ، وعليه فقد اعترف بها رسمياً في مجمع لاودكية (٣٦٠) »^(١) ، ولكن هذه الرسالة اعتبرت فيها بعد من أسفار أبوكرifa المدرجة زيفاً في الكتاب المقدس .

ويطلق النصارى - لا اليهود - على الأجزاء الأربع السالفة ذكرها اسم العهد القديم ، وتسمى أيضاً الكتب والناموس ، ويطلق اسم التوراة على الأجزاء الثلاثة الأخيرة تجوازاً .

يرجع أصل هذه التسمية إلى بولس ، حين سمي التوراة بالعهد القديم في قوله : « عند قراءة العهد العتيق » (كورنثوس ٢/٣) . لتصبح الأنجليل والرسائل الملحقة هي العهد الجديد^(٢) .

وقد تم تقسيم أسفار العهد القديم إلى إصلاحات في سنة ١٢٠٠ م على يد أسقف كانتربري الأسقف ستيفن لانجتون (ت ١٢٢٨ م) .

ثم رقمت جمل الإصلاحات في الطبعة الباريسية الصادرة عام ١٥٥١ م .

وأما ترتيب الأسفار فقد أعيد غير مرة ، وكان قد أقر له ترتيب في مجمع روما

(١) دائرة المعارف الكتابية (١٨٩/١) ، وانظر تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القبصي ، ص (٢٧٤) .

(٢) لكن أول من أطلق هذه التسمية حقيقة الأسقف ميليتيس أسقف سادرس عام ١٨٠ م. المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (١٧) .

٣٨٢ م ، ثم عدل في ترنٰت ١٥٤٦ م ، وهذا التغيير علاقة قوية بقيمة الأسفار وأهميتها ودرجة ثبوتها .

ولا يؤمن اليهود ولا النصارى بالإلهام الحرفي للكتاب المقدس ، بل يعتقدون أن كلاً من كتبة الأسفار قد كتب بأسلوبه كما ألمحه الروح القدس ، فهم « لم يتكلموا باسمهم الشخصي ، ولم ينهلوا من نبع معرفتهم الشخصية ، ولم يعلنوا للناس أفكارهم وأراءهم الخاصة .. الروح القدس أوحى لكتاب الأسفار المقدسة ما كتبوا ، وأرشدهم فيما كتبوا ، ولكن الروح لم يمح شخصياتهم ، بل كتب كل بأسلوبه الخاص »^(١) ، يقول بطرس : « كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص ، لأنه لم تأت نبوة قط بمشيئة إنسان ، بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس » (بطرس ٢٠ / ١٢ - ٢١) .

وعن أصحاب هذه الأسفار وكتبتها الأصليين تقول كنيسة دميانا : « لقد كتب العهد القديم في فترة ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد بواسطة أربعين كاتباً ، يختلفون في صفاتهم ، فمنهم فلاسفة مثل موسى النبي ، ومنهم الراعي البسيط جامع الجميز مثل عاموس ، والقائد الحربي يشوع ، وساقي الملك نحوميا ، ومنهم إشعيا رجل القصور ، وDaniyal رئيس الوزراء ، وسليمان الملك صاحب الحكم ..

كما اختلف الكتاب عن بعضهم في ظروف تسجيل الوحي الإلهي ، فموسى سجل أسفاره في البرية ، وأما إرميا فسجلها في ظلمة الجب ، وأما داود النبي فكتب مزاميره عند سفوح التلال ، وهو يرعى خرافه .. ورغم هذا نجد أن الكتاب المقدس يمتاز بوحدة ترابطية عجيبة لا تناقض فيها ولا خلل »^(٢) .

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٢٠ - ١٠٢١) .

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٢ - ٩٦) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٧٦٢) .

ويضيف محرو قاموس الكتاب المقدس : « والكتاب أصل الإيمان المسيحي ومصدره ، وهو خال من الأخطاء والزلل ، وفيه كل ما يختص بالإيمان والحياة الروحية .. أوحى الله بكلمته إلى أنبياء ورسل نطقوا بها حسب اصطلاحات اللغات البشرية ، فكان الكاتب المللهم أما أن يكتب بنفسه ما يوحى به إليه ، وأما أن يملئه على كاتب يكتبه له ، إلا أنه لم يصل إلينا بعد شيء من النسخ الأصلية التي كتبها هؤلاء المللهمون أو كتابهم .. »^(١).

فمعتقد النصارى في هذه الكتب - كما رأيت - أنها تحمل كلمة الله ، وأنه كتبها أنبياء الله بإلهام من الروح القدس ، وهذه الدعوى هي ما ستحاول دراسته والتوضيق من صحته في هذه الحلقة من سلسلة الهدى والنور .

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٧٦٣).

لمحات من تاريخبني إسرائيل

و قبل أن نشرع في إبطال نسبة الأسفار إلى الأنبياء نرى أنه يلزمنا أن نستعرض - ولو سريعاً - أبرز المحطات المهمة في تاريخبني إسرائيل كما تذكرها التوراة والمراجع التي أفادت منها .

يبدأ تاريخبني إسرائيل بأبיהם يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، وقد سمي يعقوب فيما بعد (إسرائيل) ، ورزق اثنين عشر من الولد ، وكل واحد منهم ولد أمة تسمى سبطاً ينسب إليه ، فأسباط إسرائيل هم ذرية يعقوب من أبنائه الإثنى عشر ، وقد دخل يعقوب وأبناؤه مصر إبان سيطرة الهكسوس عليها ، فعاشوا فيها ، ولما أخرج الهكسوس من مصر ، أذل المصريونبني إسرائيل وساموهم أصناف العذاب .

ثم بعث الله فيهم موسى عليه السلام فاستنقذهم من أسر فرعون وذله ، وقادهم باتجاه الأرض المقدسة ، فجربُوا عن دخولها ، وبيقوا في التيه في سيناء أربعين سنة توفى فيها موسى وهارون .

ثم قاد يشوع (وصي موسى)بني إسرائيل فأدخلهم الأرض المقدسة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، وبعد وفاته تفرق بنو إسرائيل إلى مجموعات متاثرة يحكمها عدد من القضاة ، واستمر ذلك زهاء قرن ونصف .

ثم اختار لهم النبي صموئيل شاول (طالوت) ملكاً ، فحكمهم عشر سنين ، ثم ملك بعده داود ثم ابنه سليمان الذي توفي عام ٩٢٢ ق . م ، وولي بعده ابنه رحبعام ، وثار عليه يربعم بن ناباط ، وتبعه عشرة من الأسباط ، وكونوا دولة شمالية سميت : مملكة إسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس) وبقيت حتى عام ٧٢٢ ق . م حيث قضى عليها الآشوريون ، وحكموا تلك البلاد .

وأما المملكة الجنوبية (يهودا) ، فعاصمتها أورشليم ، فبقي الملك فيها في ذرية سليمان حتى جاء بختنصر عام ٥٨٦ ق . م ، فقتل ملكها صدقيا ، وأحرق أورشليم وهيكلها ، وسبى سكانها إلى بابل ، فبقاء هناك حتى أعادهم الملك الفارسي قورش سنة ٥٣٨ ق . م ، ثم بقوا في فلسطين في ظل اليونان ثم الرومان الذين دخلوا أورشليم عام ٦٤ ق . م ، واستمرت سيطرتهم على فلسطين حتى ظهور الإسلام .

النصوص التوراتية الحالية

وصل إلى أيدينا ثلات نصوص مختلفة للتوراة ، ولا نتحدث هنا عن ثلات ترجمات ، بل نعني أنه توجد نصوص ثلاثة يستقل بعضها عن بعض .

وهذه النصوص هي :

١ - الترجمة اليونانية (السبعينية) ، والتي كانت نسخها المختلفة أساساً لنسخة القديس جيروم (الفوبلجاتا) التي ترجمها - مع بعض التعديلات من الأصول العبرانية - إلى اللغة اللاتинية في أواخر القرن الرابع (٣٨٦ م) ، وعنهما أخذ الكاثوليك والأرثوذكس توراتهم .

٢ - العبرانية المعتبرة عند اليهود والبروتستانت .

٣ - السامرية المعتبرة عند طائفة السامريين من اليهود فقط .

وهذه النصوص متشابهة في عمودها الفقري ، لكنها مختلفة ومتناقضة في بعض التفاصيل الدقيقة ، كما ثمة فرقان كبيران يجدر أن نبه لهما ، أولهما : أن الترجمة اليونانية تزيدأسفار الأبوكريفا السبعة عن العبرية ، وثانيهما : أنها تزيدان معًا عن التوراة السامرية ، والتي لا تعرف إلا بالأسفار الخمسة .

صور من الاختلاف بين النصوص التوراتية

وقد تحدث النقاد عن صور الاختلاف بين هذه النصوص ، وطبقاً للموسوعة البريطانية فإن النص السامرية مختلف عن النص اليوناني (في الأسفار الخمسة) بما يزيد على أربعة آلاف اختلاف ، ويختلف عن النص العبري القياسي بما يربو على ستة آلاف اختلاف ^(١) .

(١) انظر : حول موثوقية الأنجليل والتوراة ، محمد السعدي ، ص (١١٤) ، والمدخل إلى العهد القديم ، =

ونذكر بعض هذه الاختلافات للتمثيل ، لا الخصر :

ما زادت به التوراة الكاثوليكية على العبرية البروتستانية ما جاء في سفر الخروج حين الحديث عن أبناء موسى من زوجته صفورة المديانية ، حيث ذكر النصان ولادة جرشوم ابن موسى ، ثم انفرد النص الكاثوليكي ، فقال : « وولدت أيضًا غلامًا ثانیا ، ودعا اسمه العازر ، فقال : من أجل أن إله أبي أعانتي وخلصني من يد فرعون » (الخروج ٢/٢) ، وهذه الفقرة غير موجودة في التوراة العبرانية التي يؤمن بها اليهود والبروتستانت .

ومثلها قول إبراهيم في النص اليوناني الذي أثبتته نسخة الرهبانية اليسوعية : « الرب إله السماء وإله الأرض الذي أخذني من بيتي أبي » (التكوين ٧/٢٤) ، قوله : « وإله الأرض » محذوف من نسخة البروتستانت ، التي تعتمد النص العربي فقط .

وكذلك حذف النص البروتستانتي العربي عبارة « وبقي إسحاق صامتاً » ، من السياق الوارد في النص اليوناني ، وهو : « باركني أنا أيضًا يا أبي ، وبقي إسحاق صامتاً ، ورفع عيسو صوته » (التكوين ٢٧/٣٨) .

وأيضاً لما تحدثت الأسفار التوراتية عن اغتصاب أمنون لأنّته ثamar حسب مشورة الحكيم جداً يوناداب ، وبلغ الخبر داود ، تقول التوراة العبرانية ، وهي تصف شعوره : « لما سمع الملك داود بجميع هذه الأمور اغتاظ جداً » (صمموئيل ٢/١٣)، ثم تنتقل لوصف شعور أبسالوم بن داود .

أما التوراة الكاثوليكية الأرثوذكسية فتقول : « فاغتاظ جداً ، ولكنه لم يُحزن نفس أمنون ابنه ، لأنّه كان يحبه ، إذ كان بكره » ، وهذه العبارة أسقطتها النسخة العبرانية ،

ولعلها رأت أن من المحال أن يقابل أب خبر اغتصاب ابنه لأنّه بمثل هذا البرود ، وبمثل هذا التعليل البارد .

ويتّهي سفر أستير في توراة اليهود والبروتستان العبرانية في الإصلاح (٣/١٠) ، لكنه يستمر تسعة صفحات في التوراة الكاثوليكية ، ويتّهي في الإصلاح (٢٤/١٦) ، وأما نسخة الرهبانية اليسوعية فقد اكتفت بإضافة صفحتين : أولاهما : أضافها على الإصلاح العاشر ، والثانية : أضافها في الفقرة الأولى من الإصلاح الخامس .

وكذا يتّهي سفر دانيال في التوراة العبرانية عند نهاية الإصلاح الثاني عشر ، فيما يمتد السفر في التوراة الكاثوليكية ليشمل إصلاحين آخرين لم يسجلها النص العربي ، الذي أهمل أيضًا صلاة عزريا ، والتي تربو على ثلاثة صفحات ، و محلها الإصلاح الثالث من السفر ، فيما بين الفقرتين ٢٣ و ٢٤ من الإصلاح العبراني .

ومن الاختلافات بين توراة الكاثوليك والبروتستان ما جاء في سياق طلب موسى من الله أن يردد معه أخاه هاروننبيا ، فيجعل النص العبراني كلام موسى مجافيًّا للأدب ، فقد قال موسى للرب : « استمع إليها السيد ، أرسل بيد من ترسل ، فحمي غضب الرب على موسى » (خروج ٤/١٤-١٥) ، لكن النص الكاثوليكي يقدم صورة محسنة لخطاب موسى للرب ، فيقول : « رحماك يا رب ، أبعث من أنت باعثه » ، لكن الأدب الجم الذي ذكروه لم يمنع من حلول السخط على موسى ، إذ يكمل النص الكاثوليكي فيقول : « فاتقد غضب الرب على موسى » .

وتدخل كاتبو النص اليونياني ثانية بغرض إصلاحه وتصحيه في سياق قصة خيانة أبسالوم لأبيه داود ، فقد كتب العبرانيون أنه « وفي نهاية أربعين سنة [أي من عودته من جشور] قال أبسالوم للملك : دعني فأذهب وأؤفي نذري الذي نذرته للرب » (صوموئيل ٢/١٥) ، فقوله : « أربعين سنة » عبارة غير صحيحة ، فإن بعض

الدارسين يرى أن الأصح أن نقرأ (صموئيل ٢/١٥) على أنها أربع سنوات كما جاءت في النسخ السريانية والسبعينية ، وليس «أربعين سنة»^(١) ، ففي النسخ التي تتبع النص السبعيني اليوناني - كالترجمة العربية المشتركة والرهبانية اليسوعية - النص هكذا «وبعد انقضاء أربع سنوات قال أبشالوم للملك : دعني أنطلق إلى حبرون لأوفي نذري الذي نذرته للرب » ، وهكذا يطرح السؤال نفسه : من الذي أعطى مترجمي السبعينية وغيرهم الحق في تصحيح أخطاء كلمة الله ؟

ومنها ما ذكرته التوراة العبرانية عن نبي الله أيوب ، أنه قال : « وبعد أن يفني جلدي هذا ، وبدون جسدي أرى الله » (أيوب ١٩/٢٦) ، فالنص يتحدث عن فناء جلد أيوب ، وأنه سيرى الله لكن لا بجسده ، وهذه المعانٰي تغاير تماماً ما جاء في التوراة الكاثوليكية ، حيث تقول : « وبعد أن تلبس هذه الأعضاء بجلدي ، ومن جسدي أعاين الله » ، فالجلد لن يفني ، بل سيلبس الأعضاء ، وهو سيعاين الله ويراه بجسده ، وهكذا فالنصان متناقضان ، فأيهما هو كلمة الله ؟

ومن الاختلافات أيضاً ما جاء في النصين العبراني واليوناني عن قصة أهل قرية بيتمش الذين رأوا تابوت الرب ، فعاقبهم بقتل ما يربو على خمسين ألف من أهل تلك القرية البائسة ، كما يذكر ذلك النص العبراني ، حين يقول : « ضرب أهل بيتمش ، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً ، فناح الشعب ، لأن الرب ضرب الشعب ضربة عظيمة » (صموئيل ١/٦-١٩).

لكن هذا الرقم الكبير للقتل أقصى مضاجع كتاب النص اليوناني ، فأنقصوه من خمسين ألف إلى سبعين شخصاً فقط ، حيث يقول نص الكاثوليك : « وضرب الرب

(١) دائرة المعارف الكتابية (مادة أبشالوم).

أهل بيت شمس ، لأنهم نظروا إلى تابوت الرب ، وقتل من الشعب سبعين رجلاً ، وكانوا خمسين ألف رجل ، فناح الشعب ، لأن الرب ضرب هذا الشعب هذه الضربة العظيمة .. » (الملوك ١٩/٦) ، ومثله في الترجمة العربية المشتركة التي جعلت القتلى سبعين ، حذفت من النص أي ذكر للخمسين ألف ، فقالت : « وضرب الرب أهل بيت شمس ، لأنهم نظروا إلى تابوت العهد ، فمات منهم سبعون رجلاً ، فناحوا هذه الضربة ». .

ويتحدث سفر صموئيل عن ألقانة بن يروحام الأفرايمي ، وعما أعطاه لزوجته حنة وفنته من الأنصبة ، فيقول النص العربي : « وأما حنة فأعطها نصيب اثنين ، لأنه كان يحب حنة » (صموئيل ١/٥) ، وأما النص اليوناني والنسخة التي تعتمد عليه (كالتراجمة العربية المشتركة) ، فقد اكتشفوا خطأ في النص فأصلحوه ، فقالوا : « وأما حنة فيعطيها حصة واحدة ، مع أنه كان يحبها ». .

ويتحدث سفر الأيام عن أشحور ، فيذكر النص العربي أنه ولد بعد وفاة أبيه حصرون في مدينة كالب أفراته ، وأن أمه هي أبياه ، فيقول : « وبعد وفاة حصرون في كالب أفراته ولدت له أبياه امرأة حصرون أشحور » (الأيام ٢/٢٤). .

لكن النص السبعيني مختلف تماماً في قراءته ، فقد جعل اسم أم أشحور أفراته ، وليس أبياه ، وعليه لم يعد (أفراته) اسمًا لمكان ، كما جعل أشحور ابناً للكالب بن حصرون ، فتحول اسم (كالب) إلى اسم رجل بعد أن كان اسمًا لمكان ، تقول دائرة المعارف الكتابية : « وترتدى هذه الفقرة في الترجمة السبعينية على النحو التالي : (وبعد موت حصرون ذهب كالب إلى أفراته امرأة حصرون أبيه ، فولدت له أشحور) »^(١) .

(١) دائرة المعارف الكتابية (مادة كالب أفراته ، وانظر أيضًا مادة أشحور).

وأما الترجمة العربية المشتركة فلمحرريهارأي آخر ، وهو أن كالف تزوج ابنة أفراته ، وليس أفراته زوجة أبيه : « وبعد وفاة حصرنون تزوج كالب ابنة أفراتة امرأة أبيه ، فولدت له أشحور » ، فأي هذه القراءات المتنافرة هو القراءة الصحيحة لما كتبه كاتب سفر الأيام ؟

ما زادت به التوراة السامرية ، وهو غير موجود في العبرانية واليونانية « كانت كل أيام سام ستةائة سنة ومات » (التكوين ١١/١١) .

وأيضاً جاء في العبرانية « وقال قابيل هابيل أخيه ، ولما صارا في الحقل قام قابيل » (التكوين ٤/٨) ، ولم يذكر فيه مقال قابيل ، بينما جاء النص تماماً في التوراة السامرية والكاثوليكية ، وفيه « قال : نخرج إلى الحقل » .

وما زادت به العبرانية واليونانية عن التوراة السامرية الآيات العشر الأولى في الإصلاح الثلاثين من سفر الخروج ، وقد بدأ الإصلاح الثلاثون في السامرية بالفقرة ١١ .

ومن زيادات السامرية عن العبرانية والكاثوليكية الأرثوذكسيّة ما وقع بين الفقرتين ١٠-١١ من (العدد ١٠) ، وفيه : « قال رب مخاطباً موسى : إنكم جلستم في هذا الجبل كثيراً ، فارجعوا ، وهلموا إلى جبل الأمورانيين وما يليه إلى العرباء ، وإلى أماكن الطور والأسفل قبالة التيمن ، وإلى شط البحر أرض الكنعانيين ولبنان ، وإلى النهر الأكبر نهر الفرات ، هؤلاً أعطيتكم فادخلوا ، ورثوا الأرض التي حلف رب الآباء لكم إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنه سيعطيكم إياها ، ولخلفكم من بعدهم » (العدد ١٠/١٠) ، فهذا النص لا أثر له في التوراة العبرانية واليونانية .

ومثله ما وقع في (الخروج ١١) بين الفقرتين ٣-٤ ، وهو ممحوف من هذا الموضع في النسخة العبرانية والنسخة الكاثوليكية الأرثوذكسيّة ، وفيه : « وقال موسى لفرعون : الرب يقول : إسرائيل ابني ، بل بكري ، فقلت لك : أطلق ابني ليعبدني ،

وأنت أبىت أن تطلقه ، ها أنا سأقتل ابنك بكرك » (الخروج ١١/٧) ، وفي العبرانية واليونانية مثله ، ولكن في (الخروج ٩/١-٣) .

ومن صور الاختلاف بين نسخ التوراة الخلاف المشهور بين السامريين والبربيانين في الجبل المقدس الذي أمر الله ببناء الهيكل فيه ، فالبربيانيون يقولون : جبل عيبال ، لقوله : « تقيمون هذه الحجارة التي أنا أوصيكم بها اليوم في جبل عيبال » (التثنية ٤/٢٧) ، وفي السامرية والترجمة اللاتينية والنسخ الكاثوليكية التي اعتمدت عليها أن الجبل جرزيم ، ففيها : « تقيمون الحجارة هذه التي أنا موصيكم بها اليوم في جبل جرزيم » .

وعند دراسة أعمار الآباء في الإصلاح الخامس من سفر التكوين حسب العبرانية يفهم منه أن طوفان نوح حصل بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم ، فيما تجعله اليونانية سنة ٢٢٦٢ ، والسامرية ١٣٠٧ . فكيف يجمع بين النصوص الثلاثة؟

ثم حسب النص البرباني فإن ميلاد المسيح سنة ٤٠٠ من خلق آدم ، وهو في اليونانية سنة ٥٨٧٢ ، وفي السامرية ٤٧٠٠ . وقد جرى في هذه الموضع المتعلقة بأعمار الآباء الأوائل التوفيق بين النص اليوناني والبرباني ، باعتماد النص الذي ترجمه جيروم (الفوبلاتا) في الطبعات الحديثة من التوراة الأرثوذكسية الكاثوليكية .

ومثله الخلاف في مقدار الزمن بين الطوفان وولادة إبراهيم ، فإنه في العبرانية ٢٩٢ سنة ، وهو في اليونانية ١٠٧٢ سنة ، وفي السامرية ٩٣٢ سنة^(١) .

ولا تتوقف صور الاختلاف بين التوراتين عند هذه الصور ، بل تصل إلى التناقض السافر والتضاد التام ، ومن ذلك قول سفر أیوب : « والله لا يتبه إلى الظلم » (أیوب

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندى (٣/٨٥٨-٨٧١).

(١٢/٢٤) ، وكلمة «الظلم» غيرتها الترجمة السريانية إلى «الصلوة» ، واعتمدت هذه الترجمة الرهبانية اليسوعية ، فالنص فيها : «والله لا يلتفت إلى الصلاة». وبه محققوها في الحاشية إلى اعتقادها النص السرياني ، وذكرت أن الكلمة العبرانية المستخدمة هي «الحراقة» ، فأي هذه الكلمات أوحاها الله (الصلوة أو الظلم أو الحراقة).

ومثله ما جاء في المزامير : «قدموا للرب مجدًا وعزًا» (المزمور ١/٢٩) ، والنص كما نقلت الرهبانية اليسوعية في هامشها أنه في الترجمتين اليونانية واللاتينية : «قدموا للرب صغار الكباش» ، فأي تناسب بين المجد والعز وبين صغار الكباش أو حتى كبارها !

ويترنم كاتب المزمور (١٠٢) ، فيقول : «اليوم كله عيّرنِي أعدائي ، الحنقولون على حلفوا عليّ» (٩/١٠٢) ، واعتمادًا على النص اليوناني استبدلت الرهبانية اليسوعية قوله : «حلفوا عليّ» بقولها : «يلعنوني» ، وأشارت إلى أنه في الترجمة السريانية : «الذين كانوا يمدحونني» ، فأي هذه المعانٍ المتنافرة هو كلمة الله؟ وهل أعداء المترنم حلفوا عليه أم لعنوه أم مدحوه؟

وفي المزمور (١١٨) يقول المترنم عن أعدائه : «أحاطوا بي مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك» (المزمور ١٢/١١٨) ، وهو في النسخة اليونانية : «اشتعلوا» ، كما بينت الرهبانية اليسوعية في حاشيتها ، وشتان شأن بين الاشتعال والانطفاء ، فما رأيكم يا معاشر العقلاء؟

وحسب سفر أيوب العبراني ، فإن زوجة النبي أيوب قالت له بعد ما أصابه القرح : «أنت متمسك بعدُ بكمالك ، بارك الله وموت» (أيوب ٩/٢) ، بينما يذكر النص اليوناني الذي نقلت عنه الرهبانية اليسوعية أنها قالت : «إلى الآن متمسك بكمالك ، جدف على الله وموت» ، ومن المعلوم أن التجديف والبركة نقىضان ، فهل

طالبت زوجها بالتجديف على الله ألم طلب البركة منه ، أيها كتبه الملهم بوحى الروح القدس؟^(١).

وبعد هذا نقرأ في آخر أسفار الكتاب وعيدها شديداً لأولئك الذين يزيدون وينقصون في كلمة الله «لأننيأشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب ، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يمحض من أقوال كتاب هذه النبوة يمحض الله نصيبيه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة» (رؤيا ١٨-١٩/٢٢) ، فهل سيزيد الله الضربات المكتوبة على الكاثوليك والأرثوذكس الذين زادوا في كتابهم أسفار الأبوكريفا السبعة وغيرها مما زادوه في الكتاب ، أم أن الله سيمحض أسماء البروتستانت من سفر الحياة لما حذفه من كلمة الله التي يصر المؤمنون بها من الفريقين على أنها لا تزول ولا تتبدل «وأما كلمة إلهنا فثبتت إلى الأبد» (إشعياء ٤٠/٨) !.

ولنا أن نقول : أي هذه النصوص المختلفة كلمة الله ؟ وما الدليل الذي يقدم توراة العبرانيين (البروتستانت واليهود) على توراة السامريين أو على توراة الأرثوذكس والكاثوليك اليونانية أو اللاتينية المترجمة عنها ، فيجعل هذه مقدسة وتلك محضة ؟
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَنَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ١١١].

وأخيراً ، نتساءل : هل يمكن أن نستعيد النص الأصلي للتوراة من خلال الجمع

(١) ولرؤية المزيد من الصور والاختلافات بين النص اليوناني الكاثوليكي والنص العربي البروتستانتي ندعو القارئ للمقارنة بين نسخة الشرق الأوسط البروتستانتية ونسخة الرهبانية اليسوعية الكاثوليكية في عشرات الموضع ، ومنها (الشنبية ٣٢/١٤ ، ٤٣ ، ٥٩/١٥ ، يشوع ١/٢٤ ، ١٤/٤١ ، ٢٨/١٠ ، ٢٨/٤١ ، ١٤/١٤ ، ١٠/٢٨ ، ٤١/١٤ ، ٧/١٤١ ، ٢٨/١٠٥ ، ١٥/٨٠ ، ١٥/٧١ ، المزمور ١٥/١٥ ، راعوث ١/١٤ ، الأيام ١/١٦ ، ٧/١٥).

بين هذه النصوص المختلفة ، وتحبينا مقدمة الرهبانية اليسوعية في مدخلها للكتاب المقدس : «أي صيغة من النص تختار؟ أو بعبارة أخرى : كيف الوصول إلى نص عربي يكون أقرب نص ممكن إلى الأصل؟ .

الحل العلمي الحقيقي يفرض علينا أن نعامل الكتاب المقدس كما نعامل جميع مؤلفات الحضارة القديمة ، أي أن نضع شجرة النسب لكل ما نملكه من الشهود ، بعد أن تكون قد درسنا بدقة قائمة بجمل القراءات المختلفة : النص المسورى ، و مختلف نصوص قمران ، والتوراة السامرية ، والترجمات اليونانية السبعينية ، وغير السبعينية ، وترجمات الترجمون الآرامية ، والترجمات السريانية ، والترجمات اللاتينية القديمة .. الخ ، وبهذه المقارنات كلها نستطيع أن نستعيد النموذج الأصلي الكامن في أساس جميع الشهود ، والذي يرقى عادة إلى حوالي القرن الرابع قبل المسيح » .

إن غاية ما يمكن أن نصل إليه فيما لو جمعنا كل هذه النصوص ، أن نوفق في الوصول إلى نص يعود إلى القرن الرابع قبل الميلاد ، أي إلى نص كتب بعد موسى بألف سنة ، أما استعادة النص الذي كتبه موسى عليه السلام فدونه خرط القتاد .

مخطوطات الكتاب المقدس

يفتخر النصارى اليوم بوجود الآلاف من المخطوطات للكتاب المقدس تملأ جنبات المكتبات العالمية وتزين خزائنهما ، وهو أمر صحيح لا مراء فيه ولا ريبة ، لكن المفاجأة أن هذه الآلاف من المخطوطات لا يعرف كاتبها ، ولا يدرى عن مدى موثوقيته وأمانته وتمكنه من عمله .

ويفجأنا أن نعلم أيضاً أن هذه المخطوطات لا يوجد فيها مخطوطان متطابقان ، ونكتفي هنا بنقل شهادات ثلاثة : أولها جاء في مقدمة الكتاب المقدس لشهود يهوه ، وذلك في قوله : « في أثناء نسخ المخطوطات الأصلية باليد تدخل عنصر الضعف الإنساني ، ولذلك فلا توجد من بين آلاف النسخ الموجودة اليوم باللغة الأصلية نسختان متطابقتان » .

كما ننقل شهادة فريدرريك جرانت في كتابه (الأنجليل أصلها ، ونموها) حيث يقول : « إن أول نص مطبوع من العهد كان ذلك الذي قام به إرازموس عام ١٥١٦ م ، وقبل هذا التاريخ كان يحفظ النص في مخطوطات نسختها أيد مجده لكتبة كثرين ، ويوجد اليوم من هذه المخطوطات ٤٧٠٠ ما بين قصاصات من ورق إلى مخطوطات كاملة على رقائق من الجلد أو القماش .

إن نصوص جميع هذه المخطوطات تختلف اختلافاً كبيراً ، ولا يمكننا الاعتقاد بأن أيّاً منها نجا من الخطأ .. إن أغلب النسخ الموجودة من جميع الأحجام قد تعرضت للتغييرات أخرى على أيدي المصححين الذين لم يكن عملهم دائمًا إعادة القراءة الصحيحة » ^(١) .

(١) انظر: محاضرات في مقارنة الأديان ، إبراهيم خليل أحمد ، ص (٤٢-٤١).

وثلاث هذه الشهادات صدرت عن دائرة المعارف الأمريكية ، إذ تقول : « لم يصلنا أي نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم ، أما النصوص التي بين أيدينا ، فقد نقلتها إلينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ، ولدينا شواهد وفيرة تبين أن الكتبة قد غيروا - بقصد أو دون قصد منهم - في الوثائق والأسفار ، التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها ونقلها .

وقد حدث التغيير دون قصد حين أخطأوا في قراءة بعض الكلمات .. كذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحياناً ينسون كتابة كلمات بل فقرات بأكملها .

وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه مع فقرات كاملة ، حين كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ في الصورة التي بين أيديهم ، كما كانوا يمحظون بعض الكلمات أو الفقرات ، أو يضيفون على النص الأصلي فقرات توضيحية ..

ولا يوجد سبب يدعوه للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض للأنواع العادية من الفساد في عملية النسخ ، على الأقل في الفترة التي سبقت اعتبارها أسفاراً مقدسة » ^(١) .

وقام مجموعة من العلماء وكبار القسّيس في ألمانيا في القرن التاسع عشر بجمع كل المخطوطات اليونانية في العالم كله ، وقارنوا بينها سطراً سطراً ، فوجدو فيها مائتي ألف اختلاف ، كما أعلن مدير المعهد المختص بذلك في جامعة ميونيخ الأستاذ بريستل .

ويزداد أمر هذه المخطوطات سوءاً إذا علمنا أن موسى عليه السلام عاش في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، فيما أقدم المخطوطات التوراتية يعود لما بعد ميلاد

(١) انظر : الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص (٣٨ - ٣٩) ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص (١٠١ - ١٠٢).

المسيح - إذا استثنينا مخطوطات قمران المكتشفة حديثاً والتي تعود للقرن الثاني قبل الميلاد - أي أن بين هذه المخطوطات وبين موسى ما يقارب الستة عشر قرناً فقط ! ولبيان هذا نذكر أقدم المخطوطات الكتابية ، ونوضح أقدم تاريخ مفترض لكتابتها .

مخطوطات قمران والمكتشفة حديثاً ، وترجع للقرن الثاني والثالث قبل الميلاد . واكتشفت عام ١٩٤٧م بجوار البحر الميت . وما يزال الغموض يلف حقيقة هذه النصوص التي لم يعلن عن محتواها حتى الآن .

مخطوطة بردي جون ريلندز ، وفيها ما يساوي الخمس صفحات من سفر التثنية ، وقد كتبت في القرن الثاني قبل الميلاد .

مخطوطة شيسستر بيتي التي عثر عليها العلامة الإنجليزي بيني عام ١٩٢٩م ، وتتضمن أجزاء من تسعه أسفار من أسفار العهد القديم ، وقد كتبت بين القرنين الثاني والرابع الميلاديين .

مخطوطات برلين التي يعتقد أنها كتبت في القرن الميلادي الثالث ، وتضم مخطوطة فيها أجزاء من سفر التكوين ، وأخرى حملت إلينا أسفار الأنبياء الاثني عشر ، وثلاثة تضم بعض المزامير وسفر الأمثال .

مخطوطة الفاتيكان (محفوظة في الفاتيكان) ، وتعتبرها مقدمة الرهبانية اليسوعية أجمل المخطوطات اليونانية لأنها تحوي العهد القديم كاملاً ، وقد عثر عليها عام ١٤٨١م ، وتعود إلى القرن الرابع الميلادي .

مخطوطة الإسكندرية ، وقد حفظت هذه النسخة في المتحف البريطاني في لندن ، وتعود إلى القرن الرابع أو الخامس الميلادي ، وقيل أكثر من ذلك .

المخطوطة السينائية ، وتعود للقرن الرابع أو الخامس الميلادي ، وتضم أجزاء من سفر التكوين وأسفاراً من أسفار الأنبياء والحكمة ، إضافة إلى أسفار الأبوكريفا^(١) . وكمثال لما ذكره جرانت ودائرة المعارف البريطانية وغيرهما من إضافات النسخ وأخطائهم نسوق بعض الأمثلة :

ونبدأ بها جاء في سفر صموئيل من إدراج للناسخ وسهو في مكان إدراجه ، حيث يقول متحدثاً عن قصة ذهاب شاول وغلامه إلى النبي صموئيل : « فعاد الغلام وأجاب شاول ، وقال : هودا يوجد بيدي ربع شاقل فضة ، فأعطيه لرجل الله ، فيخبرنا عن طريقنا ، سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأ الله : هل نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً : الرائي ، فقال شاول لغلامه : كلامك حسن ، هل نذهب ، فذهبنا إلى المدينة التي فيها رجل الله ، وفيها هما صاعدان في مطلع المدينة صادفاً فتيات خارجات لاستقاء الماء ، فقالا لهنّ : أهنا الرائي ؟ فأجبنها وقلن : نعم ، هودا هو أمامكما » (صموئيل ٩/٨-١٢) .

فالتوضيح لمعنى الرائي ، وأنها لفظة قديمة بمعنى النبي ، هذا التوضيح ليس من كاتب السفر صموئيل (كما يقولون) ، بل هو من توضيح الناسخ الذي أدرك الغموض الذي سيواجهه قارئ السفر بعد أن اندثر استخدام كلمة (الرائي) منذ زمن بعيد .

هذا وقد اندثرت هذه الكلمة بعد صموئيل بوقت بعيد ، إذ نراها مستعملة أيام الملك عزيزاً ، حيث قال أوصيا للنبي عاموس : « فقال أوصيا لعاموس : أيها الرائي ، اذهب أهرب إلى أرض يهودا » (عاموس ٧/١٢) .

(١) انظر : المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٥٦-٥٨) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٨٤٦-٨٤٨) .

فكيف أضحت هذه الزيادة من الناسخ جزءاً من الوحي وفقرة من فقرات من الكتاب المقدس ؟

ومن المهم أيضاً أن نلاحظ أن هذا المقطع المدرج من الناسخ لم يرد في موضعه الصحيح ، بل ظهر في الفقرة التاسعة بلا مقدمات ولا معنى ، وسببه أن الناسخ قفز قلمه سطرين ، ووضع إضافته قبل مجيء محلها ، فالمفترض أن يكون بعد ورود كلمة الرائي ، عند الفقرة العاشرة ، فالنص لابد وأن يعاد ترتيب عباراته ، ليستقيم المعنى ، فيكون كالتالي : « فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله ، وفيها هما صاعدان في مطلع المدينة صادفاً فتيات خارجات لاستقاء الماء ، فقالا لهنّ : أهنا الرائي ؟ (سابقاً في إسرائيل هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه لسؤال الله : هل نذهب إلى الرائي ، لأن النبي اليوم كان يدعى سابقاً : الرائي) ، فأجبنها وقلن : نعم ، هوذا هو أمامكم » ، وبهذا فقط يستقيم النص المدرج من الناسخ مع بقية عبارات السفر .

وفي ثانياً سفر صموئيل الأول وردت كلمة الجلجال مرتين ، فأخذتا عين الناسخ الأولى منها ، فأثبتت الثانية فقط ، وسها عن الأولى وما بعدها في السياق ، يقول : « وقام صموئيل ، وصعد من الجلجال إلى جبعة بنiamin » (صموئيل (١ / ١٣)) ، وقد تنبه المترجم اليوناني إلى وجود السقط فأثبتته ، وهو في نسخة الرهبانية اليسوعية هكذا : « وقام صموئيل ، وصعد من الجلجال ، ليمضي في سبيله ، وصعد بقية الشعب وراء شاول للاقاء الشعب المحارب ، وذهب من الجلجال إلى جميع بنiamin » .

ومثله سواء بسواء صنع الناسخ في سفر الملوك ، حين تكررت في السياق كلمة « فأرسل » مرتين ، فأثبتت الثانية منها فقط ، وحذف ما بينها وبين الأولى ، وذلك في قوله : « هرب إلى خيمة الرب وها هو بجانب المذبح ، فأرسل سليمان بناياهو بن يهويادع » (الملوك (١) ٢٩ / ٢) ، وقد تنبه محققون الرهبانية اليسوعية للسقط فأكملوه ،

فالنص حسب نسختهم : « هرب إلى خيمة الرب ، وأنه بجانب المذبح ، فأرسل سليمان إلى يوآب قائلاً : ما بالك هربت إلى المذبح ؟ فقال يوآب : لأنني خفت من وجهك ، فهربت إلى الرب . فأرسل سليمان الملك بنايا بن يوباداع ». .

كما أخطأ النساخ في قراءة كلمة ، فتغير معنى النص وسياقه بسبب خطئه ، ففي سفر صموئيل يقول : « وكان داود يتوق إلى الخروج إلى أبشالوم ، لأنه تعزى عن أمنون حيث إنه مات » (صموئيل ٢/٣٩)، وليس في الأصل كلمة « داود » ، بل كلمة « روح » ، التي تشبهها في صورة الكتابة ، وقد نبهت الرهبانية اليسوعية على هذا الخطأ ، وصححته ، وغيرت السياق بموجبه ، فأضحت الكلمة فيها : « وكف روح الملك عن الغضب على أبشالوم ، لأنه تعزى عن موت أمنون ». .

وما أخطأ النساخ في قراءته ما جاء في مقدمة سفر نشيد الإنجاد ، فقالوا : « أنا سوداء وجميلة ، يا بنات أورشليم كخيام قيدار كشقق سليمان » (نشيد ١/٥) ، فإيراد كلمة سليمان خطأ من النساخ ، فالكلمة الأصلية كما في نسخة الرهبانية اليسوعية هي : « كخيام قيدار ، كسرادق سلمي ». .

وبيّنوا في الهاامش سبب التغيير فقالوا : « في النص العربي « سليمان » ، سلمى وقیدار قبيلتان من البدو العرب ، والفارق في قراءة (سلمى) و (سليمان) هو التحرير ». لقد تنبهوا للخطأ فأصلحوه ، فيما بقي الملائين من الناس يقرؤون العبارة خطأ ، ويظنو أن الله قال : « كشقق سليمان » ، وهي في الحقيقة عن قبيلة سلمى العربية ، لا سليمان . .

ومن أخطاء النساخ نسبتهم يهوناثان إلى منسى : « كان يهوناثان ابن جرشوم بن منسى هو وبنوه كهنة لسبط الدانيين » (القضاة ١٨/٣٠) ، وال صحيح أنه حفيد موسى المذكور في (الأيام ١٥/٢٣) ، وأن الكلمة منسى خطأ ناسخ ، وقد تنبه الآباء

اليسوعيون لهذا الخطأ ، فأصلحوه في نسختهم الرهبانية اليسوعية ، فقالوا : « وكان يوناثان بن جرشوم بن موسى .. » .

ومن أغلاط النسخ قول كاتب سفر القضاة « كوشان رشعتايم ملك أرام النهرين » (القضاة ٨/٣) ، فالمملك كوشان لم يكن ملكاً على أرام النهرين الواقعة في العراق وسوريا ، بل كان ملكاً على مملكة أدوم الواقعة في الأردن جنوب البحر الميت ^(١) .

وقد تنبه محققو الرهبانية اليسوعية للخطأ ، فصححوه « كوشان رشعتايم ملك أدوم » ، وكتبوا في الحاشية : « في النص العربي « ملك أرام النهرين » ، والراجح أنه قد وقع التباس بين أرام وأدوم » .

وهذا اللبس بين أدوم وأرام تكرر في مواضع أخرى (انظر : الملوك ٢/٣ ، ٢٦/٣ ، الملوك ٢/١٦ ، الأيام ٢/٢٠) ، وقد تنبه الآباء اليسوعيون في نسخة الرهبانية اليسوعية إلى الخلل في هذه الموضع ، فأصلحوه ، وكذا صنع محققو الترجمة العربية المشتركة ، بينما بقي المؤمنون باستحالة وجود خطأ في الكتاب يقرؤون نسخاً أخرى من الكتاب من غير أن يتبنوا إلى القراءات الخاطئة التي وقع فيها نسخ مخطوطات الكتاب المقدس ، الذين كثيراً ما أخطئوا بقراءة بعض الحروف ، لتختلف المعاني ، ويضيع على المؤمنين بها الصحيح .

وليس من كبير عجب أن تخلط النسخ بين أرام وأدوم ، لكن العجب أن يكون

(١) للتغريق بين أدوم وأرام نرجع لقاموس الكتاب المقدس ، فإذا قلتم أدوم يقع حالياً في الأردن ، لأنه « يمتد مسافة مائة ميل بين البحر الميت وخليج العقبة ، على جانبي غور العربة .. وكانت سالع عاصمة أدوم قديماً ، ثم تغير اسمها فيما بعد إلى البتراء .. » ، وأما أرض أرام فتقع فيما يسمى اليوم سوريا ، وكانت « تمتد من جبال لبنان في الغرب إلى ما وراء الفرات في الشرق ، ومن جبال طوروس في الشمال إلى دمشق وما وراءها في الجنوب » انظر قاموس الكتاب المقدس ، ص (مادة أدوم وأرام) .

ذلك في نسخة واحدة ، ففي حديث سفر صموئيل عن حروب داود يقول : « وهذه أيضاً قدسها الملك داود للرب مع الفضة والذهب الذي قدسه من جميع الشعوب الذين أخضعهم من أرام ومن موآب ومن بني عمون » (صموئيل ٢/٨-١١) ، فتحدث السفر عن خضوع أرام ، بينما يقول سفر الأيام : « وهذه أيضاً قدسها الملك داود للرب مع الفضة والذهب الذي أخذه من كل الأمم من أدوم ومن موآب ومن بني عمون » (الأيام ١١/١٨) ، فذكر خضوع أدوم ، فأيهما الصحيح أرام أم أدوم ؟ ومن المسؤول عن هذا الخلط ؟

ويتحدث المزמור ١٠٦ عن بني إسرائيل ، فيصفهم بأنهم : « تردوا عند البحر ، بحر سوف » (المزמור ٦/١٠٦) ، وهي قراءة خاطئة صحيحتها نسخة الرهبانية اليسوعية ، فجعلت النص : « تردوا على العلي ، عند بحر سوف » ، ونبهوا في الحاشية على أنها في الأصل العربي : « على البحر » ، وأنهم أجرروا تغييرًا طفيفاً على الكلمة ليصلوا إلى القراءة الصحيحة ، وهي قراءة لا علاقة لها من ناحية المعنى بالقراءة السابقة .

إن قراءات النسخ المخطأة أو المصححة للنص أو جدت المثال من الاختلافات في قراءة النص النصوص التوراتية ، ومنه ما جاء في مدح سبط نفتالي : « نفتالي أيلة مُسيَّبة ، يعطي أقوالاً حسنة » ، فالجملة الأخيرة يراها محققو الرهبانية اليسوعية غير أكيدة المعنى ، ويستبدلونها بقولهم : « تلد شودان ظريفة » .

وكذا اختلفت القراءات وهي تنقل عن داود ما أضمره في نفسه من الشر لنابال ، فقد قال عنه : « كافأني شرًا بدل خير ، هكذا يصنع الله لأعداء داود ، وهكذا يزيد » (صموئيل ١١/٢٥-٢١) ، بينما النص في نسخة الرهبانية اليسوعية : « كافأني شرًا بدل خير ، كذا يصنع الله بداود ، وكذا يزيد » ، والقراءتان تختلفان ، فإذا هما تحدثت عن داود ، والأخرى عن أعدائه .

ومثله في قول ناثان لداود عن خطبته المزعومة مع أمراة أوريا الحثي : « من أجل أنك قد جعلت بهذا الأمر أعداء الرب يشمتون ، فالابن المولود لك يموت » (صموئيل (٢) / ١٤) ، والنص مختلف في نسخة الرهبانية اليسوعية ، ففيها : « إنك بهذا الأمر أهنت الرب إهانة شديدة ، فالابن الذي يولد لك يموت » ، فالقراءة الأولى تتحدث عن سبب عقوبة داود ، وهو شهادة أعداء الرب بخطبته ، ولا يرد لهؤلاء الأعداء ذكر وفق القراءة الثانية التي تتحدث عن إهانة للرب - وحاشا لله - بسبب هذه الخطبته .

وأحياناً يضيف الناسخ ملاحظة ليذكّر بها نفسه ، فتصبح هذه الملاحظة جزءاً من وحي الله ، كما في قوله : « فمي يحدّث بعدِّك ، اليوم كلَّه بخلاصك ، لأنَّي لا أعرف لها أعداداً » (المزמור ١٥ / ٧١) ، فقوله : « لا أعرف له أعداداً » من كلام الناسخ ، وترجمته الصحيحة كما نقلت الرهبانية اليسوعية « لم أفهم الأحرف » ، وقد حذفه من النص ، وقالت في هامشها : « لاشك أن هذه العبارة تعليق لناسخ لم يفهم الكلمة » .

ونتساءل هنا كيف يبرر أولئك المؤمنون بقدسية الأسفار مثل هذا الأخطاء وتلك الاختلافات والزيادات ، ومتي سيصلحها القائمون على تنقيح الكتاب المقدس ؟ وإلى أن يتم توحيدها نتساءل : أي هذه القراءات المختلفة يعتبر - بحق - وحي الله وكلمته ؟ !

إبطال نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى

يزعم اليهود والنصارى أن موسى عليه السلام كتب الأسفار الخمسة ، يقول القس سوبيجارت في مناظرته التلفزيونية للعلامة ديدات : « ونحن نعتقد أن موسى كتب ما يسمى بالأسفار الخمسة ، تلك الكتب الخمسة الأولى باستثناء الترانيم القليلة ، وسفر الشنوية ، وربما يكون قد كتب هذا أيضاً ، لأننا نعلم أن للرب من القدرة ، بحيث يوحى إلى موسى بالضبط الكيفية التي يموت بها ، ويوحى إليه بدقة الهيئة التي تكون عليها جنازته ، وهذا ليس بمعضل على الرب » ^(١) .

وليس من دليل يؤيد هذا الزعم سوى ما ذكرته النصوص التوراتية والإنجيلية .

لكن عند الرجوع إلى هذه الأسفار والتمعن فيها يتبين أنها كتبت بعد موسى عليه السلام بوقت طويل ، وفيها يلي بعض هذه الأدلة :

قصر توراة موسى بالنسبة إلى التوراة الحالية

تحدث أسفار العهد القديم عن توراة موسى ، في سفر الشنوية « وكتب موسى هذه التوراة ، وسلمها للكهنة بين لاوي حاملي تابوت عهد الرب » (الشנوية ٩/٣١ - ١٠) وكان ينبغي أن تكون نهاية التوراة هنا ، ولكن الذي نراه أنه جاء بعدها ثلاثة إصلاحات ، والمفروض أن التوراة سلمت للكهنة من بنى لاوي ، مما دل على أن المكتوب من قبل موسى ليس النص الذي يمحكي القصة .

أن توراة موسى قصيرة ، فيها أسفاره الخمسة تبلغ ٤٠٠ صفحة ، والذي كتبه موسى قصير جداً بالنسبة إلى الأسفار الخمسة ، فقد أمر موسى بجمع بنى إسرائيل نساء

(١) وانظر المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٧).

وأطفالاً ورجالاً ، بل وحتى الغريب المار بأرضهم ، أمر بجمعهم كل سبع سنين في عيد المظال لتقرأ عليهم التوراة (انظر التثنية ٣١-٩ / ١٢) ، ولو كانت بالطول الذي بين أيدينا اليوم لشق سماع هؤلاء جميعاً وعسر طول مكثهم لسماعها .

ومن الدلائل على قصر توراة موسى أنه أمر بكتابتها على جدران المذبح « فيوم عبرون الأردن إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة ، وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس .. وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشاً جيداً » (التثنية ٢٧-٨ / ٨) ، وقد عمل بالوصية وصي موسى يشوع فكتبها على حجارة المذبح .

وبعد إتمام البناء قرأ يشوع التوراة على الجموع ، وهي له تسمع « كتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى .. بعد ذلك قرأ جميع كلام التوراة .. لم تكن كلمة في كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة إسرائيل النساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم » (يشوع ٨ / ٣٢-٣٥).

تناقض سفر يشوع مع الأسفار الخمسة

ومما يؤكد أن التوراة التي كتبها موسى ليست الأسفار الخمسة : مخالفة يشوع وصي موسى لما جاء فيها ، ولو كان يعرفها أو يعتقد صدقها لما خالفها ، فإما أن يقال بأن سفر يشوع مزور ، أو لا تصح نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى .

وبيان هذه المسألة أن موسى قال : « كلامني الرب قائلًا : أنت مار بتخم مؤاب بعار ، فمتى اقتربت إلى اتجاهبني عمون لا تعادوهم ، ولا تمجموا عليهم ، لأنني لا أعطيك من أرضبني عمون ميراثاً ، لأنني لبني لوط قد أعطيتهم ميراثاً » (التثنية ٢٠-١٦ / ٢) فكان أمر الله لموسى في حق أرض عمون أن لا يأخذ منها شيئاً .

ولكن يشوع في سفره ينسب إلى موسى أنه قسم أرض بني عمون ، يقول : « وأعطى موسى لسبط جاد بني جاد حسب عشائرهم ، فكان تخدمهم بعزيز ، وكل مدن جلعاد ، ونصف أرض بني عمون إلى غير ، وغير التي هي أمام ربة .. هذا نصيب بني جاد » (يشوع ١٣ / ٢٤ - ٢٨) ، فقد زعم سفر يشوع أن الله أعطى موسى نصف أرض بني عمون ، وهو مخالف لما أمر الله به موسى .

فلو كانت هذه الأسفار توراة موسى لما نسب يشوع إلى موسى هذه المخالفة الصريحة لأمر الله بتقسيم أرض عمون .

أحداث ذكرتها التوراة ، وقد حصلت بعد وفاة موسى

كما أن التوراة ذكرت أحداثاً حصلت بعد وفاة موسى في سيناء ، مما دل على أنها كتبت بعده ، ومنها :

تقول التوراة : « وأكل بنو إسرائيل المن أربعين سنة ، حتى جاؤوا إلى أرض عامرة ، أكلوا المن حتى جاءوا إلى أرض كنعان » (خروج ١٦ / ٣٥) ، فكاتب السفر أدرك انقطاع المن عن بني إسرائيل ، وعرف أن مدة أكلهم للمن كانت أربعين سنة .

وهو أمر لم يدركه موسى عليه السلام ، فقد انقطع المن زمن يشوع وبعد وفاة موسى بزمن ليس بقليل ، ففي سفر يشوع « فحل بنو إسرائيل في الجلجال .. في عربات أريحا ، وأكلوا من غلة الأرض .. وانقطع المن في الغد عند أكلهم من غلة الأرض » (يشوع ٥ / ١٠ - ١٢) . فكيف يتحدث موسى عن أمر حدث بعد وفاته ، وذلك حين دخلوا الأرض المقدسة مع النبي يشوع ، ومن المهم التنبيه إلى أن الخبر عن الماضي ، وليس إخباراً بالغيب والمستقبل ، لذا لا يمكننا أن نعتبره نبوة من موسى عليه السلام .

ثم إن سفر العدد يصف المن لقارئيه ، فمن المؤكد أنه يحدثهم عما لم يروه ، ومن

العجب أن ينسب هذا الوصف إلى موسى ، إذ ما الذي يدعوه لوصف المنّ وطعمه وطريقة طهيه لمن يصنعه وبأكله من معاصريه ، يقول السفر : « وأما المن فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المقل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحونه بالرحي ، أو يدقونه في الهاون ، ويطبخونه في القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت » (العدد ١١/٨-٧) و (انظر الخروج ٣١/١٦) ، إنه شاهد آخر براءة موسى من كتابة هذه الأسفار .

ويذكر سفر العدد ما يُشعر بأن الكاتب قد كتبه بعد جلاء بنى إسرائيل من برية سيناء ودخولهم فلسطين فيقول : « ولما كان بنو إسرائيل في البرية ، وجدوا رجلاً يختطب في السبت » (العدد ١٥/٣٢) ، فالكاتب ليس في البرية حتىّ . أي ليس موسى الكتاب ، فإنه قد مات في البرية قبل دخول الأرض المقدسة .

ومن أدلة براءة موسى من هذه الأسفار قول التوراة : « وسكنوا مكانهم كما فعل إسرائيل بأرض ميراثهم التي أعطاهم رب » (الثنية ٢/١٢) والنص يفيد أن الكاتب قد أدرك دخول بنى إسرائيل الأرض المقدسة ، وهو ما حصل بعد وفاة موسى الكتاب .

ومثله في قول التوراة ، والمفترض أن الكاتب هو موسى « اجتاز أبراام في الأرض إلى مكان شكيم إلى بلوطة مورة . وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض (فلسطين) » (التكوين ١٢/٦-٥) ، فالكاتب أدرك خروج الكنعانيين من الأرض بعد دخول بنى إسرائيل ، فهو ليس موسى .

ونحوه قول كاتب الأسفار : « وكان الكنعانيون والفرزّيون حينئذ ساكنين في الأرض » (التكوين ١٣/٧) ، وهذا النص جعلته نسخة الرهبانية اليهودية بين قوسين للإيهام بأنه ملحق بالسياق ، والصحيح أصالته ، وأن السفر متاخر التأليف .

ونحوه في قوله : « وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدون قبلما ملك ملكٌ

لبني إسرائيل » (التكوين ٣٦ / ٣١) ، فالكاتب قد أدركَ عهد الملکية الذي كان بعد موسى بأربعة قرون .

وقد أقر المحقق آدم كلارك بوقوع التحرير في هذا النص ، وقال : « غالباً ظني أن موسى ما كتب هذه الآية ، والآيات التي بعدها إلى التاسعة والثلاثين .. وأظن ظنّاً قوياً قريراً من اليقين أن هذه الآيات كانت مكتوبة على حاشية نسخة صحيحة ، فظن الناقل أنها جزء من المتن فأدخلها فيه » ^(١) ، ولم يبين دليله الذي دفعه لهذا الظن الذي قارب اليقين ، لكن هذا التبرير من كلارك يفضي إلى الشك بجملة الكتاب المقدس ، إذ كما جاز للناسخ أن يدخل في المتن هنا ما ليس فيه ، فإنه يجوز وقوع ذلك في سائر الكتاب .

لكن الطامة الكبرى والداهية العظمى أن يذكر خبر وفاة موسى عليه السلام وندب النبي إسرائيل له ، وذلك في أسفار تنسب إلى موسى ، فقد جاء في سفر التثنية « فمات هناك موسى عبد رب في أرض مؤاب حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم ، وكان موسى ابن مائة وعشرين سنة حين مات ، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته ، فبكى بنو إسرائيل في عربات مؤاب ثلاثة أيام يوماً ، فكملت أيام بكاء مناحة موسى » (التثنية ٣٤ / ٨-٥) ، والملاحظ دوماً أنه حديث عن الماضي البعيد ، وليس إخباراً عن المستقبل .

وما لا تقبل نسبته إلى موسى في الأسفار الخمسة ما جاء فيها من ثناء على موسى باستخدام صيغة الغائب ، وهذا الثناء هو بالحقيقة شهادات من الغير له ، فلا يعقل أن يقول موسى عن نفسه : « موسى رجلٌ حليماً جداً أكثر من جميع الناس » (العدد ٣ / ١٢) .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (٤٦٨ / ٢) .

ولا أن يقول : « موسى رجل الله » (التثنية ٣٣ / ١) .

وكذا قوله : « الرجل موسى كان عظيماً جداً في أرض مصر .. » (الخروج ١١ / ٣) ، فمثل هذه الشهادات لا يليق أن تصدر عنه ، إنما هي من غيره .

مسميات ظهرت بعد موسى

وتذكر الأسفار الخمسة أسماء كثيرة لمسميات لم يعرفها بنو إسرائيل إلا بعد موسى ، ولم تسم بهذه الأسماء إلا بعد قرون من وفاة موسى ، فكيف ذكرتها توراة موسى إذا ؟

ومنها « وتبعهم إلى دان » (التكوين ١٤ / ١٤) وقد سميت بهذا الاسم في عهد القضاة ، أي بعد موسى بـ١٠٠ سنة ، يقول سفر القضاة : « وجاؤوا إلى لاثش .. ودعوا اسم المدينة دان ، باسم دان أبيهم » (القضاة ١٨ / ٢٧-٢٩) .

ونحوه ما جاء في التكوين وفيه « لأنى قد سرقت من أرض العبرانيين » (التكوين ٤٠ / ١٥) ، ولم تسم فلسطين بهذا الاسم في عهد موسى ، إذ لم يدخل العبرانيون إليها بعد .

ومثله « وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممرا قرية أربع ، التي هي حبرون » (التكوين ٢٧ / ٣٥) ، ولم تسم حبرون (الخليل) بهذا الاسم إلا في عهد يشوع ، كما ورد في سفره « فباركه يشوع ، وأعطى حبرون لكايل .. واسم حبرون قبلًا قرية أربع ، الرجل الأعظم في العناقيين » (يشوع ١٤ / ١٣-١٥) ، فالكاتب لسفر التكوين أدرك دخول يشوع لفلسطين ، ورأى تغيير اسم المدينة من أربع إلى حبرون .

وهذا ما يقوله علماء الكتاب المقدس المحررلون من قوانين الكنيسة ، وأما العلماء المحافظون فينقل لنا القس صموئيل أنهم يرون « أن الإشارات السابقة لا تزيد عن

كونها إضافة توضيحية عند النسخ ثانية عبر المراحل الزمنية المتعاقبة بواسطة النسخ نفسه ، وبالوحي المقدس »^(١) ، فهم يعترفون بأنها من إضافات النسخ ، لكن هؤلاء النسخ لم يصنعوا ذلك من أنفسهم ، بل فعلوه بالوحي المقدس ! فهم أيضاً من يوحى إليه . !! فالمهم عندهم أن « يظل موسى كاتباً لسفر التكوين »^(٢) .

اعترافات مثيرة

وبعد هذا كله كان لابد من أن يعترف أهل الإنصاف من أهل الكتاب بعدم صحة نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى ، وقد كان من أوائل من فعل ذلك منهم ، ابن عزرا الحبر اليهودي الغرناطي (تـ ١١٦٧ م) حين ألغز اعترافه ببراءة موسى من هذه الأسفار ، وذلك لمخافته القتل والاضطهاد فقال في شرحه لسفر التثنية : « فيما وراء نهر الأردن .. لو كنت تعرف سر الإثني عشر .. كتب موسى شريعته أيضاً .. وكان الكنعاني على الأرض .. سيوحى به على جبل الله .. ها هوذا سريره ، سرير من حديد ، حينئذ تعرف الحقيقة » ولم يجرؤ ابن عزرا على كشف الحقيقة فألغزها .

وقد فسر اليهودي الناقد اسبيينوزا قول ابن عزرا بأنه أراد بأن موسى لم يكتب التوراة لأن موسى لم يعبر النهر ، ثم سفر موسى قد نقش على اثنى عشر حجراً بخط واضح ، فحجمه ليس بحجم التوراة ، ثم لا يصح أن تقول التوراة بأن موسى كتب التوراة ، ثم كيف يذكر أن الكنعانيين كانوا حينئذ على الأرض ؟ ، فهذا لا يكون إلا بعد طردتهم منها ، وأما جبل الله فسمي بهذا الاسم بعد قرون من موسى ، وسرير عوج الحديدي جاء ذكره في التثنية (٣/١١-١٢) بما يدل على أنه كتب بعده بزمن طويل .

(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٨٤).

(٢) المصدر السابق ، ص (٨٤).

ويعرف أيضًا في القرن التاسع عشر القس نورتن بعدم صحة نسبة الأسفار إلى موسى فيقول : « التوراة جعلية يقيناً ، ليست من تصنيف موسى »^(١) .

وفي مدخل طبعة للكتاب المقدس باللغة الانجليزية صدرت عام ١٩٧١ م سجل محرر الطبعة تشككًا في إصاق الأسفار بموسى فقالوا : « مؤلفه موسى على الأغلب » .

وفي مدخل التوراة الكاثوليكية نقرأ : « ما من عالم كاثوليكي في عصرنا يعتقد أن موسى ذاته كتب كل التوراة منذ قصة الخلقة ، أو أنه أشرف على وضع النص الذي كتبه عديدون بعده ، بل يجب القول بأن هناك ازدياداً تدريجياً سببه مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية » ، ومثله في المدخل الفرنسي للكتاب المقدس .

وتقول دائرة معارف القرن التاسع عشر : « العلم العصري ، ولاسيما النقد الألماني قد أثبتت بعد أبحاث مستفيضة في الآثار القديمة ، والتاريخ وعلم اللغات أن التوراة لم يكتبها موسى عليه السلام ، وإنما هي من عمل أحبار لم يذكروا أسماءهم عليها ، وألفوها على التعاقب معتمدين في تأليفها على روايات سماوية سمعوها قبل أسر بابل » .

ويقول نولدكه في كتابه (اللغات السامية) : « جمعت التوراة بعد موسى بتسعمائة سنة ، واستغرق تأليفها وجمعها زمناً متطاولاً تعرضت حاله للزيادة والنقص ، وإنه من العسير أن نجد كلمة متكاملة في التوراة مما جاء به موسى »^(٢) .

فهل يقال بعد ذلك : هذه الأسفار الخمسة من كلام موسى أو أنها وحي الله إلى نبيه موسى ؟

(١) انظر : في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوي ، ص (٧١ - ٧٥) ، الغفران بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحمد ، ص (٤٤ - ٤٦) .

(٢) انظر : الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص (١٠٠) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٧ - ٩٨) .

وصدق جارودي في كتابه (إسرائيل والصهيونية السياسية) حين قال : « ليس هناك عالم من علماء التوراة وتفسيرها لا يقر بأن أقدم نصوص التوراة قد ألف وكتب على الأكثر في عهد سليمان ، وهذه النصوص ليست إلا تجميعاً لروايات شفهية ، وإذا التزمنا بمعايير الموضوعية التاريخية كان علينا الإقرار بأن هذه الروايات التي تتحدث عن ملاحم مرت عليها قرون ليست أكثر تاريخية - بالمعنى الدقيق للكلمة - من الإلحاد أو الرامايانا » .

إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم

لا يملك اليهود ولا النصارى أي دليل - ولو كان ضعيفاً - يثبت صحة نسبة الأسفار المقدسة إلى أصحابها ، إذ هذه الكتب خالية من الأسانيد التي توثقها .

بل إن الأدلة ثبتت عكس ذلك ، وهو يتضح فيها نعرض من النصوص والشهادات التي تبطل نسبة أسفار العهد القديم إلى الأنبياء عليهم السلام ، ولسوف نكتفي بعرض بعض الشهادات عن بعض الأسفار ، ونترك للقارئ الكريم أن يقيس الغائب من الأسفار على الشاهد منها .

سفر يشوع

تنسب الدراسات التقليدية هذا السفر إلى النبي يشوع بن نون وصي موسى النبي ، لكن القراءة المتأنية لهذا السفر تكشف عن تأخر تاريخ كتابته عن يشوع بستين طويلاً ، فقد جاء فيه خبر موت يشوع « مات يشوع بن نون عبد الرب ابن مائة وعشرين سنين ، فدفنوه في قبر ملكه » (يشوع ٢٤/٢٩-٣٠) .

ويذكر سفر يشوع أحداً حصلت بعد موته كتعظيم بني إسرائيل له بعد وفاته ، بقاء شيوخهم على العهد في عصر القضاة بعده « وعبد إسرائيل الرب كل أيام يشوع وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل » (يشوع ٢٤/٣١) ، والسفر برمته يتحدث عن يشوع بضمير الغائب . (انظر ٨/٣٥، ٦/٢٧) .

ومن الأدلة التي نسردها سريعاً لنؤكد أن يشوع ليس بكاتب السفر المنسوب إليه أن سفر يشوع ذكر مراراً قرية دبیر التي حاربها يشوع ، ومن ذلك قوله : « ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دبیر وحاربها » (يشوع ١٠/٣٨) ، وكذا قوله : « وصعد

التخم إلى دبیر من وادی عخور» (يشوع ٧/١٥)، وغيرها من المواقع.

وهذا الاسم لم يطلق على هذه القرية إلا بعد وفاة يشوع، فقد كان اسمها في عهد يشوع قرية سفر، وتغير في عهد القضاة «واسم دبیر قبلًا قرية سفر» (القضاة ١١/١).

كما نجد في موضع كثيرة أن كاتب السفر يخبرنا ببقاء بعض المسميات التي سميت في عهد يشوع وأنها لم تتغير بتقادم الأيام وتصرم السنين، ومن المؤكد أن يشوع ليس القائل، إذ هذه المسميات ظهرت في عصره، وليس من المعتمد تغيير أسماء المدن في وقت قريب، يقول سفر يشوع: «فدعني اسم ذلك المكان الجلجال إلى هذا اليوم» (يشوع ٩/٥)، أي ما زال اسمه كذلك إلى زمن كتابة السفر.

ومثله قوله: «وأقاموا فوقه رجمة حجارة عظيمة إلى هذا اليوم، فرجع الرب عن حمو غضبه، ولذلك دعي اسم ذلك المكان وادي عخور إلى هذا اليوم» (يشوع ٢٦/٧).

وقد اعترف بمجهولية كاتب هذا السفر الناقد اليهودي اسبيينوزا، وبه أقرت مقدمة الكاثوليک للكتاب المقدس، حيث تقول: «لكن المؤلف المقدس الذي نجهل اسمه وعصره...».

وأما محررو قاموس الكتاب المقدس ينقل لنا عدداً من الأسماء المقترحة لكتابه هذا السفر، فيقول: «كاتب هذا السفر مجهول، ولكنه قد نسب إلى أشخاص متعددين، غير أن كثيرين يتمسكون بالاعتقاد المقبول عند اليهود والكتاب المسيحيين الأولين، وهو أن يشوع نفسه كاتب السفر.. وظنَّ كالفن أن كاتبه هو اليعازر بن هارون، وزعم آخرون أنه فيدحاس أو صموئيل، أو إرميا»^(١).

(١) قاموس الكتاب المقدس، ص (١٠٧٠).

ونبه على أن جميع هذه الاقتراحات تخرصات وظنون لا دليل عليها ، لكن أرجحها أن السفر مجهول الكاتب ، فكيف ينسب إلى الله ووحيه كتاب لا يعرف من قائله ؟ !

سفر القضاة

ويتحدث السفر عن الفترة التي تلت يشوع والتي سبقت الملكية ، وهي فترة مبكرة من تاريخبني إسرائيل ، ونسبة التقليد اليهودي إلى النبي صموئيل آخر قضاة بنى إسرائيل .

ولكن السفر يحوي ما يدل على أنه كتب في عهد الملوك فقد جاء فيه « في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل » (القضاة ٢١ / ٢٥) .

ونحوه يقول السفر : « وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل » (القضاة ١٧ / ٦) ، مما يفهم منه أن الكاتب قد أدرك الملكية ، وليس قاضياً يعيش في عصر القضاة .

وتذكر مقدمة السفر أن كاتبه « يحتمل أن يكون صموئيل » ، فهو مجرد احتمال يوافق عليه القس وليم مارش ، ويضيف إليه احتمالات أخرى ، حيث يرى - كما نقل عنه العلامة رحمة الله الهندي - أن كاتب السفر مجهول وأنه ينسب إلى صموئيل أو عزرا ، كما يحتمل أن كل قاض كتب في زمان ولايته .

ويقول مؤلفو المدخل إلى الكتاب المقدس : « لسنا نعلم من هو كاتب السفر ، ومن المحتمل أن تكون مادته قد جمعت وصنفت من واقع سجلات العصر ، في زمن لاحق لزمن القضاة ، وهو يذكر ثلاث مرات هذه العبارة ، « وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل » (القضاة ٦ / ١٧ ، ١٨ / ١ ، ٢١ / ٢٥) ، مما يدفعنا إلى الظن بأن مادة السفر قد تم جمعها وضمها إلى بعضها بعد قيام الملكية في إسرائيل »^(١) .

(١) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ص (٧٦).

يقول الأب لوفيفر : « إن سفر القضاة أعيدت كتابته وعدلت مرات كثيرة قبل أن يصل إلى صيغته النهائية ، وإن أحداهـ التـاريـخـية تعوزها الدقة »^(١) .

ولم يخبرنا لوفيفر إن كان يعتقد بعصمة وإلهامـية كل أولئك المجهولين الذين أسهموا في كتابة السفر وتنفيـحـه ، وإذا لم يكن كذلك فكيف أصبحـت زياـدـاتـهم وتعديـلـاتـهم جزءاً من وحي الله؟

سفر راعوث

وهذا السفر يحكي قصة راعوث المؤابية التي تزوجـت إسرائيلـياً ، ثم مات عنها زوجـها ثم تزوجـها بوعـزـ فـولـدتـ له عـوـيـدـ جـدـ دـاـوـدـ ، ولا يـعـرـفـ بالـتـحـدـيدـ منـ هوـ مؤـلـفـ هـذـهـ القـصـةـ .

لذلك يقول القس ولـيمـ مـارـشـ عنـ كـاتـبـ هـذـاـ السـفـرـ : « مـجـهـولـ » ، ويـضـيـفـ جـورـجـ بوـسـتـ : « لاـ يـمـكـنـ الجـزـمـ بـزـمـانـ هـذـهـ القـصـةـ ، ولاـ بـمـعـرـفـةـ مـؤـلـفـهاـ .. نـسـبـ بـعـضـهـمـ كـاتـبـهـاـ إـلـىـ صـمـوـئـيلـ ، وـآخـرـونـ إـلـىـ حـزـقـيـاـ وـآخـرـونـ إـلـىـ عـزـراـ .. » ، وـتـقـولـ مـقـدـمـةـ السـفـرـ عنـ الـكـاتـبـ : « لـيـسـ مـعـرـفـاـ بـالـتـحـدـيدـ » .

وفي مـقـدـمـةـ السـفـرـ فيـ التـفـسـيرـ التـطـبـيقـيـ « الـكـاتـبـ : غـيرـ مـعـرـفـ ، وـيـعـتـقـدـ الـبـعـضـ أـنـ صـمـوـئـيلـ ، وـإـنـ كـانـ السـفـرـ فيـ طـيـاتـهـ ماـ يـدـلـ عـلـىـ أـنـ كـتـبـ بـهـ وـفـاتـهـ »^(٢) .

وـأـمـاـ مـقـدـمـةـ السـفـرـ فيـ التـورـاـةـ الـكـاثـوـلـيـكـيـةـ فـتـرـىـ أـنـ كـاتـبـ المـجـهـولـ قدـ عـاشـ فيـ زـمـنـ مـتأـخـرـ « الـلـغـةـ ذـاتـهـاـ فيـ النـصـ الـعـبـرـيـ تـشـيرـ إـلـىـ حـدـاثـةـ عـهـدـهـ الـذـيـ يـعـودـ إـلـىـ مـاـ بـعـدـ السـبـيـ الـبـابـلـيـ »^(٣) .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله المحتدي (١/١٣٤) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين ، ص (٣٤-٣٥).

(٢) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٥٣٨).

(٣) انظر : اليهودية وال المسيحية ، محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ص (١١٠) ، هل الكتاب المقدس كلام الله؟ ،

سفراً صموئيل (الأول والثاني)

وينسب السفران إلى النبي صموئيل ، لكن السفر الأول منها يذكر وفاة النبي صموئيل ودفنه « فمات صموئيل ، فاجتمع إسرائيل ، وندبواه ، ودفنه » (صموئيل ١/٢٥) فمن الذي أكمل السفر الأول ؟ ومن كتب السفر الثاني ؟

يقول منقحو الكتاب المقدس الذي راجعه القسيس فانت السكريتير العام لجمعية الكتاب المقدس بنيويورك عن مؤلف السفرتين : « مجهول ، ويحتمل أن يكون عزرا هو الذي كتبه وراجعه » .

ويقول محررو طبعة ١٩٧١ م الإنجليزية في مدخلهم : « مؤلفه : صموئيل على الاحتمال » ، وقال آخرون الكاتب إرميا ، لكن مقدمة النسخة الكاثوليكية تعتبره « رأي صبياني ، على أنه من المحتمل أن يكون المؤلف أحد تلاميذ إرميا » (١) .

وأما مؤلفو التفسير التطبيقي ، فيقولون في مقدمة السفر : « الكاتب : غير معروف ، وقد رأى البعض أن زابود بن ناثان هو الكاتب » (الملوك ٤/٥) (٢) .

سفراً عزراً ونحومياً

ويتحدث السفران عن حياةبني إسرائيل بعد السبي ، ويفترض أن كاتباهما هما عزرا ونحوميا ، لكن يرجح الباحثون أن كاتباهما وكاتب سفر الأيام واحد ، وأن الكتابة كانت حوالي سنة ٣٠٠ ق.م ، ومن يرجح تأخر كتابة السفر عن عزرا ونحوميا المحققون توري وهو شر وموننكل .

(١) أحمد ديدات ، ص (٨٠ ، ١٢٦) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٩).

(٢) انظر : التحرير في التوراة ، محمد الخولي ، ص (٤ ، ١١٠ - ١١١) ، هل الكتاب المقدس كلام الله ؟ ، أحمد ديدات ، ص (٥٨) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٩).

(٣) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٦٣٢).

فنجحناها كان معاصرًا للنبي البابلي ، لكن كاتب السفر يتحدث فيه عن يشوع اللاوي الراجع في سبي بابل ، فيقول : « وهم الكهنة واللاويون الذين صعدوا مع زربابل بن شالتبييل ويشعو » (نحميا ١/١٢) ، ثم يذكر أن من بين الراجعين من النبي مع زربابل يشوع اللاوي ، فيقول : « واللاويون : يشوع وبنيه وقدمييل .. » (نحميا ٨/١٢) ، لكن كاتب سفر نحميا يحدثنا عن الجيل الخامس ليشوع اللاوي ، فيقول : « يشوع ولد يوياقيم ، ويوياقيم ولد ألياشيب ، وألياشيب ولد يويادع ، ويويادع ولد يوناثان ، ويوناثان ولد يدوع » (نحميا ١٢/١٠-١١) ، وهذا لا يمكن نسبة إلى نحميا ، الذي عاد من النبي ، فيما السفر يتحدث عن الجيل الخامس لأبناء العائدين من النبي .

وعليه فكاتب السفر عاش على أقل تقدير في الجيل الخامس من الرجوع البابلي .
فمن هو هذا الكاتب ؟

يحيى المدخل الفرنسي : « جرت العادة بأن تنسب مجموعة الأخبار وعزرا ونحميا إلى كاتب واحد لا يعرف اسمه ، يقال له : محرر الأخبار » .

ويقول القس وليم مارش : « كاتب السفر حسب تقليد اليهود هو عزرا ، وهذا قول أكثر رجال الكنيسة المسيحية أيضاً ، غير أن بعض العلماء حديثاً يقولون : إن كاتباً اسمه مجهول كتب سفر عزرا وكتب أيضاً سفر نحميا » ^(١) .

سفر أستير

وفي هذا السفر يتصور الخيال اليهودي ملكة فارس يهودية وذات نفوذ تستخدمه

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١٣٦/١) ، مقدمة المنشورة الحديثة ، أحد ديدات ، ص (٨٨) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين ، ص (٥٥-٥٢) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٩٦-١٠٠).

لصالح الشعب اليهودي . ولم يذكر اسم الله في هذا السفر أبداً ، وتبين ذلك مقدمة السفر في التوراة الكاثوليكية فتقول عن النص العبراني منه : « لربما كان ذلك خشية أن ترافق اسم الله هتافات وتظاهرات غير لائقة من قبل سامعين في نشوة من الأفراح ، وهذا أمر مضرة بالاحترام الواجب لاسم الله » ولا أدرى لماذا لم يُحترِّز عن ذكر اسم الله في سفر نشيد الإنجاد ، وهو أيضاً مجموعة من الأغاني الغرامية ؟

وعن مؤلفه يقول الدكتور سمعان كلهون في كتابه (مرشد الطالب) : « مجهول » ، ويقول الدكتور بوست : « ينسب البعض تأليف هذا السفر إلى عزرا ، وأخرون إلى كاهن يدعى يهوياقيم ، والبعض ينسبونه إلى أعضاء المجمع العظيم ، على أن الأكثرين ينسبونه إلى مردخاى » .

أما مقدمة السفر الكاثوليكي فترى تأخر تأليفه « فقد يرجع إلى الجيل الثاني قبل المسيح » .

وقد شكك البعض في قانونية السفر ، وحذفه مليتو أسقف سارديس عام ١٧٠ م (صاحب أول قائمة مسيحية لأسفار العهد القديم) من قائمه للأسفار المقدسة التي ذكرها في كتابه (الخلاصة) ، ومثله صنع القديس أثناسيوس في قائمته ، وعلى نهجهما مشى مارتن لوثر الذي رفض لوثرا اعتبار السفر ضمن الأسفار الموحى بها كما ذكر ذلك قاموس الكتاب المقدس ^(١) ، بل قال عنه : « ليت هذا السفر لم يوجد » .

وفي النسخة اليونانية التي يعتمدتها الكاثوليك زيادات غير موجودة في النسخة العبرانية ، مثل حلم مردوخاى وصلواته وسوى ذلك ، وقد صد المترجمون إلى اليونانية

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس (مادة إستير) ، وتاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (١٨٩) ، كيف يفكرون الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردون ، ص (١٧٠) .

بهذه الزيادات إضفاء صفة دينية على السفر العربي الذي ليس فيه ما يشير إلى أنه نص ديني ، كما صرحت المقدمة الكاثوليكية للسفر .

يقول محررو قاموس الكتاب المقدس : « لا يوجد تناقض أو انسجام بين السفر في العربية وبين هذه الزيادات ، بل إن هناك تناقضًا بينها ، فتذكر هذه الإضافات أن ملك الفرس في ذلك الحين هو ارتزركسيس بدلاً من روکسیس ، وتذكر أن هامان كان مقدونيًا بدلاً من كونه فارسيًا »^(١) .

سفر أیوب

من المفترض أن يكون هذا السفر من كتابة النبي أیوب ، لكن جاء في وسط السفر ما يدل على أن كاتبًا آخر غير أیوب قد تدخل فيه ، ففي نهاية الإصحاح ٣١ يقول : « تمت أقوال أیوب » (أیوب ٣١/٤٠) من غير أن يتنهى السفر حينذاك ، بل استمر بعده أحد عشر إصحاحاً تحدثت عن أیوب .

وفي نهاية السفر « وعاش أیوب بعد هذا مائة وأربعين سنة ورأى بنيه ، وبني بنيه إلى أربعة أجيال ، ثم مات أیوب شيخًا وسبعين الأيام » (أیوب ٤٢/١٦-١٧) ، فهل هذا أيضًا من كتابة أیوب ؟

ويرى الدكتور صموئيل شولتز أن تاريخ كتابة هذا السفر مجهول ، وكذلك زمن الخلافية التاريخية واسم المؤلف .

أما المقدمة الكاثوليكية للسفر فتحاول تحديد زمن التأليف ، فترى أن « كاتب هذا السفر يأتي بعد إرميا ، وقد استلهمه (أي من إرميا) وبعد حزقيال ، وهو سابق

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٦٦) ، وانظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١٤٧/١) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص (٥٦-٥٧) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٠١).

دون شك للعهد الإغريقي ، وأغلبظن أنه من أبناء الجيل الخامس »^(١) .

وأما محررو قاموس الكتاب المقدس فيحاولون من جهتهم تعريفنا بالكاتب المجهول وزمن تأليفه لهذا السفر فيقولون : « ويعتقد أن الكاتب من أهل فلسطين ، ولا يمكن تعين تاريخ كتابة السفر على وجه التحقيق ، وقد ظن بعض النقاد أنه كتب في عصر إرميا ، وظن آخرون أنه كتب بعد السبي .. إلا أن غيرهم يظنون أنه كتب في القرن الرابع قبل الميلاد .. يحتمل أنه يرجع إلى الألف الثانية قبل الميلاد » ، فما الذي يختاره القارئ من هذه التواريختي تحريرنا لبعدها ، لكنها على كل حال تتفق على أن هذا الكاتب مجهول^(٢) .

ويحسن أن ننبه هنا إلى أن النسخة الكاثوليكية اليونانية لسفر أیوب تنقص ما يقرب من خمس السفر المذكور في النسخة العبرانية .

سفر المزامير

يحوي سفر المزامير مائة وخمسين مزموراً تنساب إلى مؤلفين مختلفين ، إذ ينسب إلى النبي داود ثلاثة وسبعون مزموراً ، وإلى موسى مزמור واحد ، وإلى أسف اثنا عشر مزموراً ، وينسب إلىبني قورح تسعة مزامير ، ومزموران إلى سليمان ، وآخر إلى ايثان ، وتسمى المزامير الباقية (٥١ مزموراً) بالمزامير اليتيمة لأنه لا يعرف قائلها !!

فكيف وصفت بالوحى ؟ وهل كان بنو قورح أيضاً أنبياء ؟ وهل كان أسف كبير المغنين في بلاط داودنبياً ؟ وما أدلة نبوة هؤلاء ؟ إن أحداً لا يملك إجابة عن هذه الأسئلة .

(١) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٠١) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص (٦١ - ٦٢) .

(٢) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٤٨) .

والمتأمل في المزامير يدرك بوضوح كبير أن المزامير تعود إلى ما بعد داود وسليمان ، وتحديداً إلى القرن السادس قبل الميلاد ، إلى أيام السبي البابلي ، وذلك يظهر من أمثلة متعددة .

منها ما جاء في المزمور التاسع والسبعين والمنسوب لأساف كبير المغنيين في بلاط الملك داود ، حيث يقول : « اللهم إن الأمم قد دخلوا ميراثك ، ونجسوا هيكل قدسك ، وجعلوا أورشليم أكوااماً ، دفعوا جثت عبيدك طعاماً لطيور السماء » (٧٩ / ١ - ٢) .

ومثله في قوله : « الرب يبني أورشليم ، يجمع منفى إسرائيل يشفى المنكسرى القلوب ، ويجر كسرهم » (٤ / ١٤٧) .

ومثله « على أنهار بابل جلسنا .. بكينا أيضاً عندما ذكرنا صهيون .. لأنه هناك سألنا الذين سبونا (بعد السبي البابلي) كلام ترنيمة ، ومعذبونا سألوننا فرحاً قائلين : رنموا لنا من ترنيمات صهيون » (١ / ١٣٧) ... وغيرها .

وهذه الأمثلة تثبت أن كتابة المزامير تأخرت عن داود ما لا يقل عن أربعة قرون ، وعليه فلا تصح نسبتها إليه أو إلى معاصريه .

لكن الكنيسة تصر على أنها من وحي الله ، فلديها دليل غريب ، فإن هذه المزامير « تستعمل اليوم في عبادة الكنيسة المسيحية ، وتناسب ذوق جميع الطوائف على حد سواء ، ولعل هذا دليل على كونها موحى بها من الله » ^(١) .

سفر (الأمثال) و (الجامعة) و (نشيد الإنجاد)

وتنسب الأسفار الثلاثة حسب التقليد الكنسي واليهودي إلى النبي سليمان عليه السلام .

لكن التأمل في سفر الأمثال يظهر فقرات لا تصح نسبتها إلى سليمان ، فقراءتها

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٤٣١) .

تظهر أن لها أكثر من كاتب بدليل تكرار أكثر من مائة مثل باللفظ أو بالمعنى كما في (٢٤/١٩ و ٢٦/٨).

وقد نص السفر على أن بعض هذه الأمثال لسليمان ، فقد بدأ بقوله : « أمثال سليمان بن دجاد ملك إسرائيل » (١/١) ثم عاد في الإصلاح العاشر ، فأكمل عليه .

وكذا في الإصلاح الخامس والعشرين يؤكد أن سليمان هو قائل هذا السفر ، ويضيف بأن الذي نقلها عنه هم رجال الملك حزقيا ، فيقول : « هذه أيضًا أمثال سليمان التي نقلها رجال حزقيا ملك يهوذا » (١/٢٥) .

ولما نعرف من هم رجال حزقيا ، ولا كيف وصلت إليهم كلمات النبي سليمان ، وهل هم أيضًا أنبياء ، علمًا بأن حزقيا هو الملك الثاني عشر بعد سليمان ؟

وفي الإصلاح الثالثين تنسب مجموعة الأمثال إلى غير سليمان ، ففيه « كلام أجور ابن منقية مسا » (أمثال ١/٣٠) ولا يذكر السفر نبوته ولا إلهاميته ، وفي الإصلاح الذي يليه « كلام لموئيل ملك مسا ، علمته إياه أمه » (١/٣١) ، ولا يذكر لنا السفر كيف اعتبر هذا الذي علمته أمه من الوحي .

ويقول المدخل للآباء اليسوعيين (التوراة الكاثوليكية) : « السفر ليس بكامله من تأليف هذا الملك ، وهو يسند إلى مجموعتين مهمتين .. المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائي بعد السبي .. يستحيل تحديد أصل هذه المجموعات حتى المسندة منها إلى سليمان .. إن عدداً كبيراً من هذه الأمثال لا صفة دينية لها البتة » .

وأما مؤلفو المدخل إلى الكتاب المقدس ، فيرون أن السفر من إنتاج عدد غير معلوم من المؤلفين المجهولين ، وقد علم من السفر أسماء ثلاثة منهم فقط ، يقول المدخل : « اشتراك في كتابة سفر الأمثال العديد من الكتاب منهم ثلاثة مذكورون فيه

بالاسم وهم : سليمان وأجور ولmoidل ، وهناك قسم واحد من السفر على الأقل مجهول الكاتب »^(١) .

وأما سفر الجامعة فقد جاء في أوله : « كلام الجامعة بن داود الملك في أورشليم » (١/١) وفي موضع آخر يقول : « أنا الجامعة ، كنت ملكاً على إسرائيل في أورشليم » (١٢/١) .

وليس في ملوك بني إسرائيل من اسمه الجامعة ، وقد ذكروا في أيام (١/٣) - ٢٢ ، لذلك ينسبه الكهنوتيون إلى سليمان ، ولا يصح هذا لأنه يقول : « رأيت تحت الشمس موضع الحق هناك الظلم ، وموضع العدل هناك الجور .. » (١٦/٣) .

ومثل هذه الصورة التشاورية لا يمكن أن تصدر عن النبي سليمان الملك الذي يملك رفع الحق وثبتته ، ومثله « ثم رجعت ورأيت كل المظالم التي تجري تحت الشمس ، فهوذا دموع المظلومين ، ولا معز لهم من يد ظالميهم » (١/٤) ، ومثله كثير ، فالسفر يحمل صورة تشاورية لا يمكن أن تصدر عن النبي ملك .

وأما سفر نشيد الإنجاد فهو أشد الأسفار إثارة ، وقد تعرض لتردد كثير حتى قبل وأضيف للكتاب المقدس ، ويرى المحققون أنه يعود إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد ، وإن اشتمل على بعض الأغاني القديمة جداً .

يقول عنه المدخل الفرنسي : « إن هذا الكتاب الصغير يمثل مسألة من أشد الأمور المتنازع عليها في نصوص الكتاب المقدس ، فما معنى تلك القصيدة أو تلك المجموعة من القصائد الغزلية في العهد القديم .. لا نجد فيه أي مفتاح للسيرة . من الذي ألفه ؟ وفي أي تاريخ ؟ ولماذا ألف ؟ .. من الواضح أن مؤلفه ليس سليمان » ،

(١) انظر : مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ص (٢٠٧).

ويضيف فيلسيان شالي : « أما الأعمال الأخرى فقد نشأت عن مختلف المؤمنين من غير الذين تعزى إليهم تقليدياً ، وعلى سبيل المثال فإن نشيد الإنجاد بالتأكيد ليس من عمل سليمان » ^(١) .

وعن هذا السفر يقول مدخله في التوراة الكاثوليكية : « لا يقرأ نشيد الإنجاد إلا القليل من المؤمنين ، لأنه لا يلائمهم كثيراً » ، ويقول وشتن : « إنه غناه فسقي فليُخرج من الكتب المقدسة » ، وقال العالم وارد الكاثوليكي عنه : « غناه نجس » ^(٢) .

سفر إشعيا

وينسب السفر إلى النبي إشعيا في القرن الثامن قبل الميلاد ، فقد عاصر الملك عزيزا ثم يوئام ثم أحاز ثم حزقيا ، ولكن السفر يتحدث عن الفترة الممتدة بين القرنين الثامن وال السادس قبل الميلاد مما يؤكّد أن ثمة كاتباً أو كاتبين قد كتبوا ذلك بعد إشعيا ، ومن أمثلة ذلك حديثه عن بابل الدولة العظيمة وتنبؤه بإنهيارها .

وأيضاً حديثه عن كورش الفارسي الذي ردّ اليهود من السبي (انظر ٤٤/٢٨) .

كما يتحدث عن رجوع المسبين والشروع في بناء الهيكل في الإصلاحات ٥٦ - ٦٦ ، لذا يقول العالم الألماني أستاهلن : « لا يمكن أن يكون الباب الأربعون وما بعده حتى الباب السادس والستين من تصنيف إشعيا » ^(٣) .

(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٦٠).

(٢) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١٥٠/١) ، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد (٢٦٦/٢) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص (٧٦) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ص (١٠٣) ، المدخل للدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (٢٣٥ - ٢٣٦).

(٣) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/١٥٠).

لذا تنقل لنا مقدمة السفر الكاثوليكي أن « عدداً متزايداً من الشرائح الكاثوليك يعتبرون اليوم أن عمل إشعيا قد تابعه أنبياء آخرون ، لهم ما له من الأهمية ، لكنهم لم يخلفوا لنا أسماءهم ». .

سفر إرمياء

أما سفر إرمياء فإن تقاليد الكنيسة تنسبه إلى النبي إرمياء ، ولا تصح هذه النسبة ، إذ هو من عمل عدة مؤلفين ، بدليل تناقضه في ذكر الحادثة الواحدة ، ومن ذلك تناقضه في طريقة القبض على إرمياء وسجنه (انظر : إرمياء ٣٧/١١ - ١٥ و ٣٨/٦ - ١٣) .

كما يحمل السفر اعترافاً بزيادة لغير إرمياء ففيه « فأخذ إرمياء درجاً آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا ، كل كلام السفر الذي أحرقه يهويأقيم ملك يهودا بالنار ، وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله » (٣٦/٣٣) .

وفي موضع آخر « إلى هنا كلام إرمياء » (٥١/٦٤) ، ومع ذلك يستمر السفر ، فمن الذي أكمله ؟

خاتمة جامعة

ونخت مع اعتراف مهم يسجله مدخل التوراة الكاثوليكية وفيه : « صدرت جميع هذه الكتب عن أناس مقتطعين بأن الله دعاهم لتكوين شعب يحتل مكاناً في التاريخ .. ظل عدد كبير منهم مجهولاً .. معظم عملهم مستوفى من تقاليد الجماعة ، وقبل أن تتحذذ كتبهم صيغتها النهاية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب ، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيةات وتعليقات ، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ، لا بل أحدث الأسفار ما هي إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة » .

وقد صدق موريس فورن حين قال : « لو سألنا في أي وقت جمع كل كتاب من

كتب التوراة ، وفي أي حال ، وظروف ؟ وبأقلام من كتب ؟ لا نجد أحداً يجيئنا عن تلك الأسئلة وما شابها إلا بأجوبة متباعدة متخالفة جداً ..

والملايين أن المذاهب العلمية الجديدة ترفض أغلب أقوال علماء النقل التي هي أساس اعتقاد النصارى واليهود ، وتقوض بناء ادعاء السابقين ، وتبرئ الأنبياء من تلك الكتابات » .

ويواصل فيقول : « ما الحيلة ونحن من مائة سنة حيارى بين أسانيد يمحى بعضها بعضاً ، فالحديث ينافى سابقه ، والسابق ينافي الأسبق ، وقد تتناقض أجزاء الدليل الواحد .. وأيسنا من الوصول إلى معرفة صاحب الكتاب الحقيقى » ^(١) .

إذا هذه الأسفار مجھولة المؤلف ، لا تصح نسبتها إلى الأنبياء ، بل هي من عمل الشعب اليهودي طوال عصور التاريخ اليهودي ، وقد استلهموا هذه الكتابات من تقاليدهم ، لا من الله ووحيه ، وكل ذلك شاهد على أن هذه الأسفار ليست كلمة الله ، فما أدرانا ما هو حال هؤلاء المؤلفين المجھولين ؟ هل كانوا مؤمنين أم متھمين تركوا بصمات تلاعبهم - في الكتاب - واضحة لكل ذي عينين .

هل يقبل العلاء صكوك بيع أو شراء أو ائتمان أصدرها مجھولون في قضايا دنيوية بسيطة تتعلق بحفلة من الدولارات ؟ وإذا كانوا لا يقبلونها ، فكيف يقبلون روايات المجاهيل في قضية يتعلّق فيها مصير المليارات من بني الإنسان ؟ ! .

وصدق الله حين قال : « فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُؤُوا بِهِ ثَمَّا نَقِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ » [البقرة : ٧٩] .

(١) انظر : الفارق بين المخلوق والخالق ، عبد الرحمن باجji البغدادي ، ص (٤٦٨ - ٤٦٩).

حفظ التوراة (الأسفار الخمسة)

تلقى موسى من الله وهو على جبل الطور لوحين من الحجارة كتبها الله لبني إسرائيل تذكاراً « وقال رب موسى : اصعد إلى الجبل ، وكن هناك ، فأعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التي كتبتها لتعليمهم » (الخروج ٢٤/١٢) ، وقد كتب في اللوحين الوصايا العشر (انظر الخروج ٢٠/١٧-١) و (التثنية ٥/٥-٥) .

أمر موسى بوضع اللوحين في تابوت العهد ، « وفي التابوت تضع الشهادة التي أعطيك » (الخروج ٢٥/٢١) .

أوصى موسى بنى إسرائيل بأن تقرأ التوراة على جميع بنى إسرائيل كل سبع سنوات « وفي نهاية السبع سنين في ميعاد سنة الإبراء في المكان الذي اختاره تقرأ هذه التوراة أمام كل إسرائيل في مسامعهم » (التثنية ٣١/٩-١١) .

وقال للآوين : « خذوا كتاب التوراة هذا ، وضعوه بجانب تابوت عهد رب إلهكم ، ليكون هناك شاهداً عليكم ، لأنني أنا عارف تمركم ورقبكم الصلبة ، هؤلا وأنا بعد حتى معكم اليوم قد صرتم تقاومون رب ، فكيف بالحربي بعد موقي .. لأنني عارف بعد موقي تفسدون وتزيفون » (التثنية ٣١/٢٤-٣٠) .

أعاد يشوع كتابة التوراة ، فكتبها على أحجار المذبح بحروف واضحة « كتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى .. وبعد ذلك قرأ الجميع كلام التوراة البركة واللعنة حسب كل ما كتب في سفر التوراة ، ولم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأ يشوع قدام كل جماعة إسرائيل والنساء والأطفال والغريب السائر في وسطهم » (يشوع ٣٠-٣٥) .

وما سبق علمنا أن التوراة كتبها موسى ، وأمر بوضعها في تابوت عهد الله بين لوحى الحجر ، وأمر أن تقرأ على بنى إسرائيل كل سبع سنين .

ضياع التوراة (الأسفار الخمسة)

بدأ ضياع التوراة كما تحدث سفر (صموئيل ١١/٤) عند فقدتهم للتابوت في معركة مع الفلسطينيين، ثم عاد إليهم بعد سبعة شهور، ولما فتحوا التابوت «لم يكن في التابوت إلا لوحات الحجر اللذان وضعهما موسى» (الملوك ٩/٨).

كما تعرض بيت المقدس لغزو عام ٩٤٥ ق.م من قبل شيشق ملك مصر ، وكان هذا الغزو كفيلة بفقد كل ما في الهيكل من نسخ التوراة «وفي السنة الخامسة للملك رحيعام صعد شيشق ملك مصر إلى أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب ، وخزائن بيت الملك ، وأخذ كل شيء» (الملوك ١٤/٢٥-٢٦).

ثم فقدت التوراة سنين طويلة ، ولم توجد لها باقية ، إذ عاد بنو إسرائيل إلى الوثنية ، ولم يعد للتوراة ذكر .

ثم في عام ٦٢٢ ق.م ، وبعد ثمان عشرة سنة من حكم الملك يوشيا الذي أراد أن يعيد بنى إسرائيل إلى عبادة الله ، ادعى الكاهن حلقيا أنه وجد سفر الشريعة ، وقال : «قد وجدت سفر الشريعة في بيت الرب .. فلما سمع الملك كلام سفر الشريعة مزق ثيابه» (الملوك ٢/٢٣).

ولم تبين النصوص ما الذي وجده حلقيا بعد هذه السنين ؟ هل وجد لوح حجري أم ما كتبه موسى ، أم أن المقصود بسفر الشريعة هو سفر التثنية أو سفر اللاويين المختصين بالشرائع ؟^(١).

(١) يرجح محرو قاموس الكتاب المقدس ثم القس الدكتور صموئيل يوسف أن ما عثر عليه حلقيا هو الجزء الأكبر من سفر التثنية أو نواة هذا السفر. انظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١٢٠) ، والمدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٧٥).

وفي عام ٦٠٥ ق.م تسلط الملك بختنصر على بيت المقدس ، فنهب وسلب وأحرق وسبا عشرة آلاف من أهلها . (انظر الملوك (٢) ٢٤-١١) .

ثم في عام ٥٨٦ ق.م عاد بختنصر إلى أورشليم « وأحرق بيت الرب وبيت الملك وكل بيوت أورشليم ، وكل بيوت العظماء أحرقها بالنار » (الملوك (٢) ٢٥/٩) .

وهنا فقدت توراة حلقيا كما يشهد بذلك علماء أهل الكتاب ، يقول كليموني اسكندريانوس : « إن الكتب السماوية ضاعت ، فألمهم عزرا أن يكتبها مرة أخرى » .

ويؤكد هذه محررو قاموس الكتاب المقدس بقولهم : « مما لا شك فيه أن معظم الأسفار المقدسة أُتلف أو فقد في عصر الارتداد عن الله والاضطهاد في مدة حكم الملك منسي » ^(١) .

ويقول القس الدكتور صموئيل يوسف : « اعتقاد آباء الكنيسة الأولى ومنهم إيريناؤس وتريليان وكليموندس السكندرى وجيروم بأن موسى هو كاتب الأسفار الخمسة ، وذهبوا إلى الاعتقاد أيضاً أن هذه الأسفار أحرقها نبوخذ نصر وقت محاصرته أورشليم ، فأعاد عزرا كتابتها من جديد بإلهام من الروح القدس » ^(٢) .

ويحكي سفر نحميا عن حالة الفرح العارم التي أصابتبني إسرائيل لما كتب لهم عزرا التوراة المفقودة « ونحميا أي الترشاثا وعزرا الكاهن الكاتب واللاويون المفهمون الشعب قالوا لجميع الشعب : هذا اليوم مقدس للرب إلهكم ، لا تنوحوا ولا تبكون ، لأن جميع الشعب بكوا حين سمعوا كلام الشريعة .. وكان اللاويون يسكتون كل الشعب قائلين : اسكتوا لأن اليوم مقدس ، فلا تحزنوا .. وفي اليوم الثاني اجتمع رؤوس آباء

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١١٢٠) .

(٢) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٧٣) .

جميع الشعب والكهنة واللاويون إلى عزرا الكاتب ليفهمهم كلام الشريعة » (نحريا ١٤-٩/٨).

يقول إيريناؤس : « عندما أبىدت الأسفار المقدسة وعاد اليهود إلى وطنهم بعد سبعين سنة ؛ ألم عزرا الكاهن لاستعادة كل كلام الأنبياء السابقين ويعيد إلى الشعب شريعة موسى »^(١).

ويقول تهيوفلكت : « إن الكتب المقدسة انعدمت رأسا ، فأوجدها عزرا مرة أخرى بالإلهام » .

وقد كتب عزرا هذه الكتب وهو في سبي بابل ، فقد سماه ملك فارس بعزرا الكاتب ، حيث قال : « من ارتحستا ملك الملوك إلى عزرا الكاهن كاتب شريعة إله النساء الكامل » (عزرا ٧/١٢) .

ويشهد سفر عزرا في الحديث عن مهارات عزرا وإمكاناته التي يسرت له كتابة الأسفار المقدسة : « عزرا هذا صعد من بابل ، وهو كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها رب إله إسرائيل .. لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة رب ، والعمل بها ، ولি�علم إسرائيل فريضة وقضاء .. عزرا الكاهن كاتب شريعة إله النساء » (عزرا ٧/٥-١٠) .

ومتأمل في النص السابق يلحظ ما يدفع قول القائلين بنبوة عزرا أو إلهاميته ، حيث سماه الكاهن ، ولم يسمه النبي ، ولو كاننبيا لما حسن تسميته بالكافن ، كما أشار السفر إلى مهارة عزرا الشخصية ، وهي أيضاً خلاف ما عهد في الأنبياء الذين يعدهم الله لحمل كتبه ، فالنبوة عطاء ومنحة إلهية ، وليس كسباً شخصياً لعزرا أو غيره .

(١) تاريخ الكنائس ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢١٦).

هل الأسفار الخمسة الحالية هي توراة عزرا ، وala فمن الذي كتبها ؟

رأينا زعم البعض أن عزرا قد أعاد كتابة التوراة بإلهام من الله ، وهو أحد مزاعم
كثيرة يتعلق بها الغريق ، وهو يصارع في الأنفاس الأخيرة .

إذ لا يمكن الجزم بأن التوراة الموجودة (الأسفار الخمسة) من كتابة عزرا لأمور
من أهمها وجود تناقضات فيها وأخطاء لا يقع فيها كاتب واحد . وحين نقول ذلك فإننا
لأنهانع أن يكون عزرا قد قام بالتأليف بين الروايات التي وصلت إليه .

ولكن الدليل الأهم الذي يمنع أن يكون عزرا هو الكاتب ، ذلكم الفحص
الدقيق والعلمي الذي قام به المحققون النصارى عبر دراسات طويلة ، والذي يؤكّد أن
هذه الأسفار لها كتبة يربون على المائة ، ويتمون إلى أربع مدارس ظهرت في القرنين
الثامن والتاسع قبل الميلاد في مملكتي إسرائيل ويهودا . وتسمى هذه الدراسات نظرية
المصادر الأربع .

وقد تبلورت هذه النظرية بعد سلسلة من الدراسات ، بدأت بدراسة جان
استروك عام ١٧٥٣ م ، وقد نشرها من غير أن يجرؤ على ذكر اسمه ، وسار على خطاه
الباحث اينهورن وذلك في سنة ١٧٨٠-١٧٨٣ م ، وأيضاً إيلجن في عام ١٧٩٨ م ، ثم
العالم كار داود الجن ١٨٣٤ م ، ثم هرمن هوبفلد في عام ١٨٥٣ ، ثم العالم لودز عام
١٩٤١ م .

وقد أصبحت هذه النظرية مسلمة عند العلماء المحقّقين ، يقول إسرائيل لودز في
مقدمة كتابه «نشأة التقدم في القرن الثامن» (*dec origins au milieu du ٨ siecle*) : « وقد انتهى هذا الجهد العظيم إلى بعض النتائج المقبولة في خطوطها الكبرى

بما يشبه الإجماع^(١).

كما اعترف بنظرية المصادر الأربع مدخل الكاثوليك للكتاب المقدس . وتتلخص نظرية المصادر الأربع أنه ثمة أربع مدارس مختلفة ساهمت في كتابة التوراة ، ثم ضمت نصوص هذه المدارس إلى بعضها ، وكون نص موحد لا يخلو من كثير من التناقضات والأخطاء .

وهذه المصادر الأربع ، هي :

١- المصدر الأول : (اليهوي) .

وكتب نصه فيها بين القرن العاشر والثامن قبل الميلاد ، ورجح البعض أنه في التاسع قبل الميلاد وقد كانت كتابته في مملكة يهودا الجنوبية .

ولغة هذا النص قديمة فجة ، تتحدث عن الله بصورة بشريّة سيئة ، ويتحدث هذا النص عن بدء الخلق ويمتد إلى موت يعقوب ، ويظهر فيه الشعور القومي ، وسيطرة إسرائيل على كنعان ، وشغله الشاغل التأكيد على وعد الله لإسرائيل بأرض كنعان .

ويطغى هذا النص في سفر التكوين ، ويشارك مع الثاني والرابع في سفري الخروج والعدد .

وأهم ما يميز هذا النص تسميته الإله (يهوه) .

٢- المصدر الثاني : (اللوهيمي) .

وهو متاخر عن المصدر الأول في زمن كتابته ، إذ يرجع للقرن الثامن أو السابع

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٣٣ - ٣٤) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص (٢٦ - ٣٠) ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (٧٨) ، والتوراة بين الوثنية والتوحيد ، سهيل ديب ، ص (١٥ - ١٣) ، موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٥٩).

قبل الميلاد ، وكتب هذا النص عن الإله ، وجنبه النشاطات البشرية ، ويظهره بصفات مهيبة نسبياً .

ويركز النص على الأحداث الخاصة بـ إبراهيم ويعقوب ويوسف ، وهذا المصدر موجود في الأسفار الثلاثة (التكوين والخروج والعدد) ، ويعود إلى هذا المصدر والمصدر الأول معظم سفرى التكوين والخروج .

وأهم ما يميز هذا النص تسميته الإله (ألوهيم) .

٣- المصدر الثالث : (سفر التثنية) .

وقد عمل هذا المصدر في سفر التثنية فقط ، وبه سمي ، ويعود تاريخه للقرن الثامن أو السابع قبل الميلاد ، ولغة هذا المصدر خطابية داعية لاتباع الشريعة ، وتطبيق العهد ، ويكثر فيه « اسمع يا إسرائيل » ، ويمتلئ بالتشريعات ، وغايتها تركيز عبادة يهوه في مكان خاص هو أورشليم .

وقد خضع سفر التثنية لإصلاحات متأخرة جداً يمكن الوقوف عليها بمقارنة السفر مع بقية الأسفار الأربع .

٤- المصدر الرابع : (الكهنوتي) .

ويعود تاريخ كتابته لما بعد النفي البابلي ، أي للقرن السادس قبل الميلاد ، وهو من عمل بعض الأخبار . و موضوعه ذكر الشرائع والتعاليم الطقسية ، وكيفية تطبيق تعاليم الدين .

ويتميز مكتوب هذا المصدر أنه يذكر الخبر ونقشه بحسب كاتبه من الكهان (انظر العدد ٣/٤ ، والعدد ٢٤/٨) ، ويستخدم هذا المصدر اسم : ألوهيم وهو يتحدث عن الله .

ولهذا المصدر دور كبير في سفري اللاويين والعدد ، كما شارك قليلاً في سفري التكوين والخروج .

وقد بين الأب دوفو أرقام الفقرات التي تتبع النص الألوهيمي ، وتلك التي تتبع النص اليهوي ، وهكذا ..

ويقول الأب دوفو : « لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة ، جمعها محرون وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب ، وطوراً غيروا من شكل هذه الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة ، تاركين للعين أموراً غير معقولة ، وأخرى متنافة .. » .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : « إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة ، وبأيدي كتاب مختلفين ذوي ثقافات مختلفة متباعدة » .

ويرجح ول ديورانت في كتابه (قصة الحضارة) أن هذه الروايات قد امتزجت ، وأخذت صيغتها النهائية سنة ٣٠٠ ق.م ، فيقول : « إن العلماء مجتمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين ، وقد كتب بعضه في يهودا ، وبعضه في إسرائيل ، ثم تم التوفيق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط الدولتين . والرأي الغالب أن أسفار التوراة الخمسة اتخذت شكلها النهائي حوالي عام ٣٠٠ ق.م » .

لكن آخرين من العلماء قالوا بأن الأسفار الخمسة أخذت وضعها النهائي سنة ٤٠٠ ق.م ، بينما امتدت بقية أسفار العهد القديم إلى سنة ٢٠٠ ق.م ^(١) .

(١) انظر : التوراة والإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٢٨ - ٣٦) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٥) ، التوراة ، أحمد شلبي شتيوي ، ص (٥٦) .

الوثنيات القديمة والتوراة

اعتمد كتاب الأسفار من اليهود على ثقافات الأمم الوثنية المجاورة لبني إسرائيل ، بل كادت بعض سطورهم أن تكون نقلًا حرفيًا لما في تلك الكتابات .

فالكثير من القصص التوراتية انتحلها كتاب العهد القديم من أساطير الأمم السابقة لبني إسرائيل ، وظهر صداها واضحًا في أسفار العهد القديم .

ومن ذلك ما ذكره سفر التكوين عن مصاحبعة لوط . (انظر التكوين ١٩ / ٣٧ - ٣٠) والتي انتحلها العهد القديم وكتابه المجهولون من أسطورة مصرية ذكرها شوقي عبد الحكيم في كتابه (أساطير وفلكلور العالم العربي) .

وتتحدث الأسطورة عن إلهة الموت «أفروديث» التي كانت تمنى أن تنجب طفلاً من أخيها الأكبر أوزوريس ، فأسكته وضاجعته ، فولدت منه الإله أنوبيس .

وأما سفر إستير والذي يذكر قصة إستير وابن عمها مردخاي ، وانتقامها من هامان وزير ملك فارس أحشويرس ، فالقصة مشابهة لما جاء في التراث البابلي في ملحمة البابليين والعيلميين ، ولكل بطل من أبطال القصة التوراتية مقابل في الأسطورة البابلية .

فإستير اليهودية هي عشتير البابلية ، وهامان هو إله العيلميين ، ومردخاي هو مردوك البابلي .

وما يؤكد هذا الاقتباس أن التاريخ الفارسي لا يذكر شيئاً عن أبطال القصة التوراتية وخاصة إستير والملكة فشني ^(١) .

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٤ ، ١٥٨ ، ١٥٩).

وأما المزامير فتشابه مع الأناشيد والتراتيل المصرية وغيرها ، فالعلم أرمان في بحثه القيم (مصدر مصرى لأمثال سليمان) الذى قدمه عام ١٩٢٤م ، وتابعه فيه العالم برستيد ، فإنها يريان بأن المزمور ١٠٤ منقول بشكل شبه حرفى من نشيد أخناتون الكبير ، وخاصة الفقرات (٣٠-٢٠) .

وهذا ما أكدته دائرة المعارف الكتابية حيث تقول : « البحث الأركيولوجي في بابل وفي مصر قد كشف عن أناشيد متقدمة .. كما أن الكشف عن آداب الكنعانيين في أوغاريت .. قد أمدنا بقصائد هامة مشابهة للمزامير منذ عصر موسى » ^(١) .

كما يرى المحققون أن المزمور التاسع والعشرين مقتبس عن قصيدة من أوغاريت « للبعل » مع استبدال اسم « البعل » باسم « يهوه » .

وأما المزمور ١٩ فمقدمته هي الابتهالات عينها التي كانت تقدم لإله الشمس ^(٢) .
وأما سفر نشيد الإننشاد فىرى ول ديوانت أنه من وضع شعراء عبرانيين تأثروا بالروح الهيلينية التي وصلت مع غزو الإسكندر ، وقد يكون السفر مأخوذاً من آداب مصرية بدليل أن العاشقين كان يخاطب أحدهما الآخر : أخي . أخي ، وهو أسلوب مصرى قديم ^(٣) .

ويؤكد العالمان أرمان وبرستيد أن سفر الأمثال منقول بشكل واضح من كتاب (الحكم) لمنحوبى المصرى القديم ، وكان قد قسم كتابه إلى ثلاثة فصلات ، واشتهر باسم (ثلاثة فصلات من الحكم) ونقل كاتب السفر التوراتي هذه الحكم مع تغيير بسيط في ألفاظها .

(١) دائرة المعارف الكتابية (٤ / ٢٣٣-٢٣٤) ، وانظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٩٠٢) .

(٢) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٣١ ، ٢٢٣) .

(٣) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٥٤-١٥٥) .

ويذكر مصطفى محمود في كتابه (التوراة) بعضاً من صور التشابه ، إذ يقول أمنحوي : « الكاتب الماهر في وظيفته سيجد نفسه أهلاً للعمل في رجال البلاط » ويقول سفر الأمثال ناقلاً عنه : « أرأيت رجلاً مجتهداً في عمله ، إنه يقف أمام الملوك » (الأمثال ٢٩/٢٢).

وأيضاً يقول أمنحوي : « لا تصاحب رجلاً حاد الطبع ، ولا ترحب في محادثه » ، وفي سفر الأمثال : « لا تستصحب غضوياً ، ومع رجل ساخط لا تنجيء » (الأمثال ٢٤/٢٢^(١)).

وأما سفر الجامعة فلا يمكن أن يصدر من النبي للروح التشاورية والنظرية السوداوية التي تسيطر على كاتبه الذي اقتبس من الأساطير البابلية ، ومنها أن الآلة نصحت جلجامش بقولها : « أي جلجامش ، املأ بطنك ، وكن مرحاً بالليل والنهار ، بالليل والنهار كن مبتهجاً ، راضياً ، طهر ثيابك ، واغسل رأسك بالماء ، وألق بالك إلى الصغير الذي يمسك بيده . واستمتع بالزوجة التي تضمها إلى صدرك » .

ويشبه هذا ما جاء في سفر الجامعة وفيه « اذهب . كُل خبزك بفرح ، واشرب خرك بقلب طيب ، لأن الله منذ زمان قد رضي عن عملك ، لتكن ثيابك في كل حين بيضاء ، ولا يعوز رأسك الدهن ، إلتذ عيشاً مع المرأة التي أحببها » (الجامعة ٩/٧^(٢)).

كما نقل كتاب التوراة قصة الطوفان من السومريين ، وتعود مخطوطاتهم إلى ٣٠٠٠ ق.م ، حيث يتشابه العمود الثالث والرابع من اللوح الحادي عشر من ملحمة جلجامش كما أوردهما فراس سواح في كتابه (كنوز الأعماق قراءة في ملحمة جلجامش) ،

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٢٩ - ١٣١) ، التوراة عرض وتحليل ، فؤاد حسين علي ، ص (٦٨ - ٧١) ، التوراة ، مصطفى محمود ، ص (١٣).

(٢) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٧٤).

حيث جاء في الملhma : « وما أن لاحت تباشير الصباح ، حتى علت الأفق غيمة كبيرة سوداء .. اقتعلع أريجال الدعائم ، ثم أتى نورتا ، وفتح السدود .. بلغت ثورة حدد تخوم السماء ، أحالت كل نور إلى ظلمة ، والأرض [الفسيحة] قد تحطم [كما الجرة] ، ثارت العاصفة يوماً (كاملاً) ، تزايدت سرعاتها حتى حجبت الجبال ، أتت على الناس ، (حصدتهم) كما الحرب ، عمّي الأخ عن أخيه ، وبات أهل السماء لا يرون الأرض ، حتى الآلهة ذعرت من هول الطوفان .. ستة أيام وست ليال ، الريح تهب ، والعاصفة وسيول المطر تطفى على الأرض .

ومع حلول اليوم السابع . العاصفة والطوفان ، التي داهمت كجيش ، خفت شدتها ، هدا البحر وسكنت العاصفة وتراجع الطوفان .. واستقرت السفينة على جبل نصير .. أتيت بحثامة وأطلقتها .. طارت الحثامة بعيداً ثم عادت إلى .. أتيت بغراب وأطلقته .. طار الغراب بعيداً ، فلما رأى الماء قد انحسر ، حام وحط وأكل . ولم يعد » .

وهذه المقططفات من الملhma تشبه كثيراً ما جاء في قصة الطوفان في سفر التكوين ، حيث جاء فيه : « وتعاظمت المياه وتكاثرت جداً على الأرض . فكان الفلك يسير على وجه المياه . وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض . فتفطرت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء . وانسدّت ينابيع الغمر وطبقات السماء . فامتنع المطر من السماء . ورجعت المياه عن الأرض رجوعاً متوايلاً . وبعد مائة وخمسين يوماً نقصت المياه .

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال أراراط . وأرسل الغراب . فخرج متربداً حتى نشفت المياه عن الأرض .. ثم أرسل الحثامة من عنده ليرى هل قلت المياه عن وجه الأرض . فلم تجد الحثامة مقرراً للرجلها . فرجعت إليه إلى الفلك . لأن مياهاً كانت على وجه كل الأرض ، فمدّ يده وأخذها ، وأدخلها عنده إلى الفلك . فأتت إليه الحثامة عند المساء ، وإذا ورقة زيتون خضراء في فمها . فعلم نوح

أن المياه قد قلت عن الأرض . فلبث أيضاً سبعة أيام آخر ، وأرسل الحمامه فلم تعد ترجع إليه أيضاً» (التكوين ٧/١٨-٢١).

وقد قارب الحقيقة صبري جرجس حين وصف التوراة في كتابه (التراث اليهودي الصهيوني) بأنها : « لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة ، مجاف للعقل والمنطق ، غاص بالمتناقضات ، مشبع بالسخف .. »^(١).

ويعرف بأثر هذه الأمم على التوراة المدخل الفرنسي للتوراة ، فيقول : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس وهم يرون بداية العالم والبشرية أن يستقروا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية ».

ويقول فيلسيان شالي : « ألف بعض الإسرائيليين تعظيمًا لإلههم - منذ القرن العاشر حتى السابع - مجموعة الأساطير التي ستوضع بعد ذلك في كتابهم المقدس ، مثل خلق العالم والإنسان ، والجنة المفقودة ، والطوفان ، وكثير من عناصر هذه الأساطير مستعار من البلاد التي كانت إسرائيل على صلة بها ، أي من مصر وبابل خاصة »^(٢).

وتتشابه كثيراً الشرائع التوراتية مع قوانين حمورابي ، الذي سبق ظهور اليهود وكتبهم بعدة قرون ، وصور التشابه كثيرة ، حتى يخيل للناظر إلى كثرتها أن التوراة بشرائعها نسخة من قوانين حمورابي الوثني ، ومن صور التشابه ما جاء في الأسفار بخصوص الثور النطاح : « إذا نطح ثور رجلاً أو امرأة فمات يرجم الثور ولا يؤكل

(١) انظر : دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٤٠) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٨٤-٥٨٢).

(٢) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٧٦).

لحمه ، وأما صاحب الثور فيكون بريئاً . ولكن إن كان ثوراً ناطحاً من قبل ، وقد أشهد على صاحبه ولم يضبطه ، فقتل رجلاً أو امرأة ، فالثور يرجم ، وصاحبته يقتل أيضاً .. إن نطح الثور عبداً أو أمة . يعطى سيدُه ثلاثة شاقل فضة ، والثور يرجم » (الخروج ٢١-٣٢) .

ويقابل ذلك ما جاء في قوانين حمورابي « مادة ٢٥٠-٢٥٢ » وفيه : (إذا نطح ثور أثناء سيره في الشارع رجلاً فقتله ، فلا وجه لتقديم مطالبات من أي نوع . أما إذا كان الثور ناطحاً من قبل ، وتبيّنت لصاحبته هذه الحقيقة ، ومع ذلك لم يكسر قرونها أو يربطها ، فإذا نطح هذا الثور رجلاً حراً فقتله ، فعلى صاحب الثور أن يدفع ثلاثة شاقلاً من الفضة . أما إذا نطح عبداً فيعطى سيده عشرين شاقلاً من الفضة) .

ومثله التشابه بين (الخروج ٧/٢٢) والمادة ١٢٤ من حمورابي . وكذا التشابه بين (الخروج ١٢-١٠/٢٢) والمواد ٢٤٤-٢٤٦-٢٦٦ من قوانين حمورابي ، وكذا (الخروج ١٩-١٨/٢١) والذي يشبه المادة ٢٠٦ من شريعة حمورابي ، في حين يتشاربه (الخروج ٢١: ٢٢) مع مادة ٢٠٩ من شريعة حمورابي .

وتعقب دائرة المعارف الكتابية : « وهكذا نجد العديد من المشابهات في المواقف والأحكام ، بين شريعة موسى وقوانين حمورابي .. لا نستطيع الجزم بأن التوافقات التي عرضناها قد جاءت نتيجة مصادفة عشوائية .. وعندما اتصل الإسرائيليون بالحضارة البابلية بعد دخولهم إلى أرض كنعان ، كان من الطبيعي أن يستخدموا ما أفرزته تلك الحضارة ، مما وجدوه فيها نافعاً لهم »^(١) .

(١) دائرة المعارف الكتابية (٣/١٧٨-١٧٩)، وانظر: قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠١٨).

قانونية التوراة (قدسيتها)

وإذا كانت التوراة نتاج عمل العشرات من المؤلفين الذين اجتهدوا في تسجيل تاريخ بني إسرائيل ، ولم يُدْرِّب بخلدهم أن تعتبر كتاباتهم مقدسة ، إذ لو خطر على باهم لصاغوها بطريقة أخرى ..

إذا كان الأمر كذلك ، فمتى اكتسبت هذه النصوص قداستها ؟ وهل تم ذلك لجميع أسفارها معًا أو أنه تم بالتدريج ؟

وفي الإجابة نقول : من الطبيعي عندما نتحدث عن كتاب إلهي آنا لا نحتاج إلى الحديث عن قانونيته ، إذ هو يستمدّها من مصدره الإلهي ، ويكتسبها منذ اللحظات الأولى التي ينزله الله فيها إلى البشر ، وهذا الأمر لم يحدث مع الأسفار التوراتية التي احتجت إلى قرارات بشرية تقدسها ، فالأسفار الخمسة أقرت في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، وتحديداً في عام ٣٩٨ ق.م ، حين اعترفت الامبراطورية الفارسية بناموس اليهود حسبما جاء في دائرة المعارف الأمريكية .

ويقول اسبيينوزا : « يظهر بوضوح أنه لم تكن هناك مجموعة مقتنة من الكتب المقدسة قبل عصر المكابيين (أي القرن الثاني قبل الميلاد) ، أما الكتب المقتنة الآن فقد اختارها فريسيو الهيكل الثاني بعد أن أعاد بناءه عزرا (الكاتب) .

وهذا الاختيار من الفريسيين في ذلك العهد لم يكن بموافقة طوائف اليهودية المختلفة ، يقول اسبيينوزا : « فقد اختارها الفريسيون في ذلك العهد من بين كثير غيرها ، وذلك بقرار منهم وحدهم » .

وقد كان مما أقره فريسيو العهد الثاني برأي اسبيينوزا الأسفار الخمسة مضافاً إليها ما يسمى بأسفار الأنبياء وهي (يشوع - القضاة - صموئيل - الملوك) .

ولم تعتبر هذه المجموعة معادلة لسلطة الأسفار الخمسة ، ورغم ذلك ألحقت بها ، وقد كان ينظر إليها على أنها شروح وامتداد للأسفار الخمسة^(١) .

وفي عام ٩٠ م عقد الفريسيون مجمعًا في جامينيا ، وقرروا اعتبار بعض الأسفار أسفارًا قانونية وهي : المزامير - الأمثال - نشيد الإنجاد - راعوث ، دانيال ، أيوب ، عزرا ، نحوميا ، الأيام ..) ، واعتبروا هذه القائمة نهائية ، ورفضوا ما عدتها من الأسفار ، وقد بلغ عدد هذه الأسفار ستًا وثلاثين سفراً .

يقول القس إلياس مقار : « وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود أسفار العهد القديم التي قررها اليهود في مجمع « جامينيا (عام ٩٠ م) .

ولم تكن هذه القائمة محل اتفاق بين اليهود ، فمثلاً كان الفريسيون يعتبرون سفر دانيال قانونيًا ، فيما لم يعتبره الصدوقيون كذلك^(٢) ، بينما كان مجتمع قمرانأسفار كثيرة لم ترد في القائمة القانونية ، منها أخنوح واليوبيلات وغيرها ، والأسفار التي لم تدخل في القائمة كانت خمساً وثلاثين سفراً كما عدتها تشارلز في مقدمة كتابه : (أبوكريفا) .

وفي مجمع (نيقية) ٣٢٥م أقر المجتمعون النصارى سفر يهوديت فقط ، وأبقوا ثمانية أسفار مشكوكاً فيها . وفي مجمع (لوديسيا) ٣٦٤م أقر المجتمعون سفراً آخر هو سفر أستير ، وفي ٣٩٧م عقد مجمع (قرطاجة) بحضور أكتستين ، فأضاف المجمع للقائمة ستة أسفار هي (زوم ، وطوبيا وباروخ وإيكليزنا سيتكس (يشوع بن سيراخ) والمكابيين الأول والثاني) ، واعتبر المجتمعون سفر باروخ جزءاً من إرميا ، ثم فصلوهما

(١) انظر : الغرaran بين الإسلام والمسيحية ، إبراهيم خليل أحد ، ص (٣٦-٣٧) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٦٦-١٦٧) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٨٥-٨٦).

(٢) انظر المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٣٩).

في مجمع (ترلو) ٦٩٢ م، وأصبحت هذه الأسفار متفقاً عليها عند جمهور النصارى إلى حين ظهور البروتستان في القرن السادس عشر^(١).

ولا تزال الكنيسة الأثيوبية تعتقد بقانونية بعض الأسفار «فإنهم يقبلون راعي هرmas وقوانين المجامع ورسائل أكليمندس ، والمكابيين وطوبيا ويهوديت والحكمة ويشوع بن سيراخ وباروخ ، وأسفار أسدراس الأربع ، وصعود إشعيا ، وسفر آدم ويوفس بن جوريون وأخنوح واليوبيل »^(٢).

فيها اعتبر جمهور الآباء الأوائل رسالة إرميا - المرفوضة اليوم - جزءاً من كلمة الله الموحى بها ، كما صنع أوريجانوس عند تفسيره للمزמור الأول ، فقد أوردها وغيره ضمن قائمة الأسفار القانونية ، ثم رفضتها المجامع فيما بعد^(٣).

ومن ذلك كله نستطيع القول إن هذه الكتب قد كتبها القوم بأيديهم ، ثم نسبوها إلى الله ، وأعطتها المجامع البشرية صفة القدسية .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١٠٥ - ١٠٨ / ١٠٥) ، أقانيم النصارى ، أحمد حجازي السقا ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، في مقارنة الأديان ، محمد عبد الله الشرقاوى ، ص (٣٤ - ٣٢) ، المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ، عبد الكريم الخطيب ، ص (٧٠) ، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٦٩) ، الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (٨٥) ، المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، أحمد عبد الوهاب ، ص (١٣ - ١٤).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (مادة أثيوبيا).

(٣) دائرة المعارف الكتابية (مادة إرميا النبي) ، وانظر تاريخ الكنيسة ، يوسابيوس القيصري ، ص (٢٧٤).

نقد متن العهد القديم

يقول بولس : « كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوجيه ، للتقويم والتأديب الذي في البر » (تيموثاوس ٢/٣) ، وهو كلام جيد ومقاييس لا بأس فيه للحكم على الكتاب المقدس ، إذ لا يقبل أن ينسب إلى الله كلام هذر لا نفع فيه ولا فائدة ، فضلاً عن الكلام الساقط الذي يُشيع الرذيلة والانحراف السلوكى أو الإيمان .

ولنببدأ بتطبيق المقاييس على نظرة التوراة إلى الله ثم إلى أنبيائه ثم إلى الأخلاق ، ونرى إن كانت الأسفار صالحة للتأديب والتهذيب والتعليم .

من الطبيعي عندما نتحدث عن كتاب ينسب إلى الله تعالى أن نجده مفعماً بالحديث عن الله وصفاته وأنبيائه ودينه وصور عبادته ، وعن الجنة والنار دارِيُّ جزائه ..

لكن التوراة هي بحق كتاب تاريخ لبني إسرائيل ، ويفتقد القارئ في أسفارها الحديث عن الله إلا فيما يتعلق بالناحية التاريخية ، فهذا تقول التوراة عن الله وأنبيائه واليوم الآخر ؟

الله وصفاته في العهد القديم

تحدث الأسفار التوراتية في أماكن متفرقة عن الله العظيم بما يليق بجلاله وعظمته ، ومن ذلك قوله : « اسمع يا إسرائيل : الرب إلها رب واحد ، فتحب الرب إلهك من كل قلبك » (التثنية ٦/٤-٥) ، وتذكر أيضاً الرب لا يرى « حقا أنت إله متحجب ، يا إله إسرائيل » (إشعياء ٤٥/١٥) ، وقد قال الله لموسى : « لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش » (خروج ٣٣/٢٠-٢١) .

والله ~~ذلك~~ ليس كمثله شيء ، وفي ذلك يقول موسى : « ليس مثل الله » (التثنية ٣٦/٣٤) ، ويقول سليمان : « أيها الرب إله إسرائيل ، لا إله مثلك في السماء والأرض » (الأيام ٢/٦) .

وهو حي جل وعلا إلى الأبد « وأقول حي أنا إلى الأبد » (التثنية ٣٢/٤٠) إلى غير ذلك من الصفات الكاملة الحسنة التي تذكرها التوراة لله العظيم ، وما لا ريب أن في هذه الفقرات أثار الأنبياء ، وبقايا وحي السماء في أسفار العهد القديم .

لكن التوراة في مواضع لا تعد - لكثرتها - تتحدث عن الله ، فتجعله كائناً بشرياً ، وتصفه بصفات البشر ، وتصفه بنقصهم ، بل وأخطائهم وضلالهم ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً ، فهل هو إله أم إنسان ؟

إله أم إنسان ؟

يتحدث سفر التكوين عن خلق الله الإنسان على صورته وشبهه « وقال الله : نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا » (التكوين ١/٢٦) ، وفي أكبر كنائس الكاثوليك في روما - كنيسة (سانت بيتر) - رسم الرسام مايكل أنجلو صورة الله تشبه البشر .

وتتحدث النصوص عن صور التشابه كما رسمها كتب العهد القديم ، ومن ذلك

ما جاء في رؤيا دانيال أن له رأسا ، شعره أبيض « وجلس القديم الأيام ، لباسه أبيض كالثلج ، شعر رأسه كالصوف النقي ، وعرشه لهيب نار » (Daniyal ٧/٩).

وله عينان وأجفان « عيناها تنظران ، أجفانه تتحنن بني آدم » (المزمور ١١/٤).

وله شفتان « شفتاه ممتلئتان سخطا ، ولسانه كنار أكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ إلى الرقبة » (إشعيا ٣٠/٢٧-٢٨).

وله رجالان ترى « نزل وضباب تحت رجليه » (المزمور ١٨/٩) ، و « لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل ، وتحت رجليه حلية من العقيق الأزرق الشفاف ، كالسماء في النقاء ، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف إسرائيل » (الخروج ٢٤/٩-١١).

وأيضا له فم وأنف يخرج منها دخان ونار « صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه » (المزمور ١٨/٩).

وألوهيته وعظمته لا تمنع من ركوبه الملائكة في تنقلاته ، كما لا تمنع أن يكون له أذنان « وإلى إلهي صرخت ، فسمع من هيكله صوتي ، وصراغي دخل أذنيه ، فارتبت الأرض وارتعدت ، أسس السماوات ارتعدت وارتبت ، لأنه غضب ، صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت ، جمر اشتعلت منه ، طأطا السماوات ونزل ، وضباب تحت رجليه ، ركب على كروب ، وطار ، ورئي على أجنة الريح .. » (صوموئيل ٢/١١-٧ ، ٢٢/١١) ، والكروب كما في قاموس الكتاب المقدس هم نوع من الملائكة ، وقد ذكر سفر حزقيال أن لكل واحد منهم وجهان أحدهما على شكل وجه إنسان والأخر على شكل وجه شبل (انظر حزقيال ٤١/١٨).

وقد تكرر ركوبه على الكروبيم « ومجده إله إسرائيل صعد عن الكروب الذي كان عليه إلى عتبة البيت » (حزقيال ٩/٦).

ولما أصبح ركوبه على الكروبيم فعلاً معتاداً له - جل وعز - ، ناجاه الملك حزقيا مثنى عليه بهذا الفعل : « صلي حزقيا أمام الرب ، وقال : أيها الرب إله إسرائيل ، الجالس فوق الكروبيم ، أنت هو الإله وحدك لكل مالك الأرض ، أنت صنعت السماء والأرض » (الملوك ٢/١٥) .

وهكذا فإن إسرائيل لودز في كتابه (نشأة التقدم في القرن الثامن) (dec origins au milieu du ٨ siecle أحيايي ، وعلى صورة الإنسان ، ويبدو أن يهوه يملك نوعاً من الجسم الروحاني ، وعلى كل حال ؛ فإن له أعضاء شبيهة بأعضاء الإنسان ، كالعيون والأذان والفم والخياشيم والأيدي والقلب والأحشاء .. له بشكل خاص عقل وعواطف شبيهة بمثيلاتها لدى الإنسان ، ويتميز بشكل خاص بعنف الغضب إذا أسيء إليه » ^(١) .

أفعال الإله البشرية

وتحكي أسفار العهد القديم عن أفعال بشرية تنسبها إلى الله ، وهي فرع من عقيدتهم المحسنة لله ، ومن ذلك أن الله يمشي ، ولكن على شوامخ الجبال « فإنه هو الذي يخرج من مكانه ، وينزل ويمشي على شوامخ الأرض .. كل هذا من أجل إثم يعقوب » (ميخا ١/٣-٥) .

ومنه حديث الأسفار عن مشي الله في الجنة ، وساع آدم لوقع خطواته : « وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار .. فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟ فقال : سمعت صوتك في الجنة ، فخشيت لأنني عريان ، فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ » (التكوين ٣/٨) .

(١) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيلان شالي ، ص (١٧٢) ، وهو تلخيص منه لكلام لودز.

ويزور الربُ إبراهيم - تعالى الله عن ذلك - ويأكل عنده زيداً ولبناً « وظهر له الرب عند بلوطات ممرا ، وهو جالس في باب الخيمة وقت حر النهار ، فرفع عينيه ، وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه ، فلما نظر ركض لاستقباهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض .. ثم أخذ زيداً ولبناً والعجل الذي عمله ، ووضعه قدامهم ، وإذا كان هو واقفاً لديهم تحت الشجرة أكلوا .. وذهب الرب عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم » (التكوين ١/٢٣).

وفي موضع آخر تذكر الأسفار أن الرب ظهر ليعقوب ، وصارعه حتى الفجر : « فدعا يعقوب اسم المكان : (فيتليل) قائلاً : لأنى نظرت الله وجهاً لوجه ، ونجحت نفسي » (التكوين ٣٢/٣٠).

ولما أغضبه مريم وهارون « فنزل الرب في عمود سحاب ، ووقف في باب الخيمة .. فقال اسماعيل كلامي .. قاما إلى فم ، وعياناً أتكلم معه لا بالألغاز » (العدد ١٢/٥-٨).

وفي موضع آخر رأه موسى « ويكلم الرب موسى وجهها لوجه ، كما يكلم الرجل صاحبه » (الخروج ٣٣/١١).

وللمزید من صور رؤية الله انظر (إشعياء ٦/١-١١).

ويذكر سفر التكوين أن الله رضي عن نوح وقومه بعد أن شم رائحة شواء المحرقات التي قدمها نوح على المذبح « وبني نوح مذبحاً للرب ، وأخذ من كل البهائم الطاهرة ، ومن كل الطيور الطاهرة ، وأصعد محرقات على المذبح ، فتنسم الرب رائحة الرضا .. » (التكوين ٨/٢٠-٢١).

ونقرأ في رؤيا حزقيال أن الله دخل الهيكل من باب ، وأمر بإغلاقه إلى الأبد « فقال لي الرب : هذا الباب يكون مغلقاً لا يفتح ، ولا يدخل منه إنسان ، لأن الرب إله إسرائيل دخل منه فيكون مغلقاً » (حزقيال ٤٤/٢).

هل يعجز الإله أو يجهل ؟

كما وتنسب النصوص إلى الله أفعالاً كتلك التي تصدر عن البشر بسبب جبلتهم وضعفهم الذي خلقهم الله عليه ، ومن ذلك عجز الإله عند مصارعة يعقوب ، يقول سفر التكوين : « فبقي يعقوب وحده ، وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حَقْ فخذنِعَ حَقَ فخذنِعَ يعقوب في مصارعته معه .

وقال : أطلقني لأنه قد طلع الفجر ، فقال : لا أطلقك إن لم تباركني . فقال له : ما اسمك ؟ فقال يعقوب : فقال : لا يدعني اسمك في ما بعد يعقوب ، بل إسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمي ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيثيل ، قائلاً : لأن نظرت الله وجهاً لوجه » (التكوين ٣٢ / ٣٢ - ٤٢) . فقد صارع يعقوب الله وقدر عليه ! ومعنى الكلمة فنيثيل وجه الله .

وتعليقًا على النص يقول محقق نسخة الرهبانية اليسوعية : « المقصود من هذه الرواية الغامضة هو الصراع الجسدي ، أي صراع مع الله ، يبدو فيه يعقوب غالب أولاً ، لكنه حين عرف طبيعة خصميه السامية اغتصب بركته ، مع العلم أن النص يتتجنب اسم رب » .

ومن العجز أيضًا قوله : « وكان الرب مع يهودا ، فملك الجبل ، ولم يطرد سكان الوادي ، لأن لهم مركبات من حديد » (القضاة ١ / ١٩) ، فكان ذلك سبباً لعجزه عنهم ، فكيف يكون الحال مع الأسلحة الحديثة المتطورة ، وهل يعجز الإله عن حرب الدول التي تملك هذه الأسلحة ؟

كما تنسب التوراة إلى الله العظيم التعب ، فهو حسب أسفارها رب يحتاج للراحة ، فيسكن في مساكن متعددة « وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح »

(التكوين ١/٢) « هكذا قال رب .. أين البيت الذي تبنون لي ؟ وأين مكان راحتني ؟ » (إشعياء ٦/٦).

كما تنسب التوراة إلى رب - جل وعلا - الجهل والقصور والضعف ، ومن ذلك أنه لما أراد معاقبة المصريين « كلام رب موسى وهارون .. فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة ، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم ، وأصنع أحکاماً بكل آلة المصريين . أنا رب ، ويكون لكم الدم علامة على البيوت التي أنتم فيها ، فأرى الدم ، وأعبر عنكم ، فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حين أضرب أرض مصر » (الخروج ١٣-١/١٢) .

فجعل الدم علامة على البيوت الإسرائيلية حتى لا يهلكها مع بقية البيوت ، فهل يحتاج رب العليم مثل هذه العلامة حتى يفرق بين بيوت المصريين وبيوت الإسرائيليين ؟

وتحدث التوراة عن الله وكأن آدم قد قهره حين أكل من شجرة المعرفة والتفرقة بين الخير والشر ، وكأنه خلقنا ولم يرد منا أن نميز الخير من الشر ، ثم خاف وخشي أن يأكل آدم من شجرة الحياة ، فيصبح كالرب من الخالدين ، فأقام حرساً من الملائكة في طريق هذه الشجرة « أوصى رب الإله آدم قائلاً : من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها .. وقال رب الإله : هوذا الإنسان قد صار كواحد منا ، عارفاً بالخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضاً ، ويأكل ويحيا إلى الأبد . فأخرجه رب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . فطرد الإنسان ، وأقام شرقيًّا جنة عدن الكروبيم ، وهب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة » (التكوين ٢/٢ - ٣/٢٣) ، ومثل هذا التصور عن الله غير مقبول ، فالسفر يصوّره حريصاً على جهل الإنسان ، خائفاً من تعلمه ثم من خلوته إذا فاجأه وأكل من شجرة الحياة .

ومرة أخرى تذكر التوراة أن الله خاف من اجتماع البشر وتألفهم وعزمهم على بناء برج عظيم رأسه في السماء ، فنزل وبدهم قبل أن يتحققوا غايتهم « قالوا : هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجًا رأسه بالسماء . ونصنع لأنفسنا إسماً ، لثلا نتبدد على وجه كل الأرض ، فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونهما . وقال الرب : هؤلاء شعب واحد ، ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم ننزل ونبلي هناك لسانهم ، حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض . فبدهم الرب من هناك على وجه كل الأرض . فكفوا عن بناء المدينة » (التكوين ١١-٤) ، فهل يعقل أن خالق السماوات والأرض ، الرب العظيم يخشى من تمام هذا البرج ، فيسعى لتفريق البشر قبل أن يصل برجهم السماء ، وهنا نتساءل عن الطول الذي كان سيصل إليه بناء البشر قبل آلاف السنين ، بل نتساءل : أولاً يعلم الرب أن البشر يعجزون عن مناطحة السحاب فضلاً عن قرع أبواب السماء !

ومثله في العجز والنقص المنسوب إلى الله العظيم ما تذكره التوراة من أن الرب بعد ما أغرق الأرض بالطوفان زمن نوح الكتاب قال لنوح ومن معه : « أقيم ميثاق معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضًا بمياه الطوفان .. وضعت قوسي في السحاب ، فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض .. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً .. » (التكوين ٩/١١ - ١٧) ، فجعل قوس قزح علامة تذكره بالميثاق الذي ضربه لنوح ومن معه .

وكما يفيد البشر من مشورة بعضهم لقصورهم عن إدراك عواقب الأمور ، أيضاً تذكر التوراة أن الرب شاور الملائكة الذين رافقاه في ذهابه إلى إبراهيم ثم لوط « فقال الرب : هل أخفى عن إبراهيم ما أنا فاعله ؟ أي في قوم لوط .

ثم ما كان منه إلا أن قال : « أنزل وأرى هل فعلوا بالتهام حسب صراخهم الآتي

إلي ، وإلا فأعلم » (أي ما أصنع بهم) (التكوين ١٨/٢١-٢١).

وتنسب التوراة إلى الله الندم على أمور صنعوا ، والنندم فرع عن الجهل ، ومن ذلك « ندمت على أنني جعلت شاول ملكاً ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي » (صموئيل ١/١٥).

وتذكر التوراة أنه لما عبد بنو إسرائيل العجل غضب الرب عليهم « وقال الرب لموسى .. فالآن اتركني ليحمي غضبي عليهم وأفنيهم » ، فكان من جواب موسى أن قال : « ارجع عن حمو غضبك ، واندم على الشر بشعبك . اذكر إبراهيم وإسحاق وإسرائيل عبيدك الذين حلفت لهم بنفسك ، وقلت لهم : أكثر نسلكم كنجوم السماء ، وأعطي نسلكم كل هذه الأرض التي تكلمت عنها فيملكونها إلى الأبد ، فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه » (خروج ٣٢/٩-١٤).

وفي مرة أخرى « كان الرب مع القاضي ، وخلصهم من يد أعدائهم ، كل أيام القاضي ، لأن الرب ندم من أجل أنينهم » (القضاة ٢/١٨).

ومثله ندم الرب بعد أن قتل مقتلة كبيرة فيبني إسرائيل ، فقد « جعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد ، فمات من الشعب - من دان إلى بئر سبع - سبعون ألف رجل ، وبسط الملائكة يده على أورشليم ليهلكها ، فندم الرب عن الشر ، وقال للملائكة المهلك الشعب : كفى ، الآن رد يدك » (صموئيل ٢/١٥-١٦).

وكانت التوراة قد نسبت قبل الندم والحزن إلى الله في زمن نوح ، وذلك حين رأى شرور الإنسان ، فقد : « رأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض ، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم ، فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض ، وتأسف في قلبه ، فقال الرب : .. لأنني حزنت لأنني عملتهم » (التكوين ٦/٥-٧) ومثل هذا الندم في الأسفار كثير (انظر إرميا ٢٦/١٩ ، ٤٢/١١ ، عاموس ٧/٦ ، التكوين ١٨/٢٠).

هل يأمر الله بمثل هذا ؟

كما تذكر التوراة أن الله أمر أوامر غريبة يظهر لمن تدبرها مقدار العبث فيها والذي ينزعه عنه الله جل وعلا .

ومن ذلك أن الله أراد أن يصور حال بني إسرائيل معه وإدبارهم عن عبادته إلى عبادة الأصنام ، فأمر نبيه بالتحاذ جومر الزانية زوجة تنجذب له من غيره أبناء زنا « أول ما كلام الرب هوشع قال له : اذهب خذ لنفسك امرأة زنا وأولاد زنا ، لأن الأرض قد ذنت زنى تاركة الرب » (هوشع ٢ / ١) ، وفي موضع آخر « وقال الرب لي : اذهب أيضاً أحب امرأة ، حبيبة صاحب وزانية ، كمحبة الرب لبني إسرائيل ، وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى » (هوشع ٣ / ١) .

تقول مقدمة السفر في نسخة الرهبانية اليسوعية : « في جرأة هوشع النبي ما يدهش ، فإنه يجسد في حياته الخاصة تجسيداً رمزياً ما من علاقات بين الرب وشعبه الخائن .. كان ولا يزال زواج هوشع أكثر الأمور جدلًا في التفسير الكتابي .. ولا يرجح على كل حال أنها أمام مجرد استعارة .. ليس زواج هوشع خيالاً ، بل رمز ، ولذلك فمن شبه المستحيل وغير المفید أن نهتدي إلى الحدث التاريخي الذي فيه ، إنه عمل نبوى ، مثل تلك الأعمال التي قام بها الأنبياء (راجع إشعيا ٢٠ / ٦ - ١ ، وأعمال الرسل ٢١ / ١٠ - ١٤) ، والتي يفسرونها هم بأنفسهم » .

فهل يأمر الرب بمثل هذا ليصور لبني إسرائيل حاهم مع الله ، هل يأمر الله بفعل الفاحشة ليعلمنا درساً في الأمانة ، إن نسبة الأمر بهذه الفاحشة إلى الشيطان أليق وأولى من الرب العظيم .

ومثل هذه القصة ما تنسبه التوراة إلى الله من أمره لنبيه إشعيا بالتعري ، ولماذا ؟ لكي يرى بني إسرائيل ما ينتظرون من الهوان والذل والعرى على يد ملك آشور « تكلم

الرب عن يد إشعيا بن آموس قائلًا : اذهب وحل المصح عن حقويك ، واخلع حذاءك عن رجليك ، ففعل هكذا ، ومشى معرى وحافياً .

فقال الرب : كما مشى عبدي إشعيا معرى وحافياً ثلاثة سنين آية وأعجبوبة على مصر وعلى كوش ، هكذا يسوق ملك أشور سبي مصر وجلاء كوش ، الفتىان والشيوخ ، عراة وحفاء ، ومكشوف الأستاه خزيًا لمصر » (إشعيا ٢٠/٤) .

يقول التفسير التطبيقي تعليقاً على هذه الفقرة : « كان أمر الله لإشعيا أن يتتجول عارياً لمدة ثلاثة سنوات ، وهو اختبار مُذِل ، فقد كان الله يستخدم إشعيا ليبيان ما مستختبره مصر وكوش من إدلال على يد آشور ، ولكن كانت الرسالة في الواقع ليهودا » ^(١) .

وهكذا فإن رؤيةبني إسرائيل لنبيهم عرياناً ثلاثة سنين درس كبير وعظة بالغة ! أما من وسيلة للإيضاح أفضل من هذه الوسيلة العارية ؟ فهل يعقل هذا ؟ هل يأمر الرب نبيه بالتعري ثلاثة سنين ؟

ويذكر سفر حزقيال أن الله أمر نبيه حزقيال بأوامر كثيرة منها أنه أمره وبني إسرائيل أن يأكلوا كعك الشعير مخبوزاً مع فضلات الإنسان ، ولما صعب الأمر على حزقيال ، خصه وسمح له أن يخبز كعكة الشعير مع فضلات البقر ، بدلاً من فضلات الإنسان .

والنص بتلاته : « وتأكل كعكاً من الشعير ، على الخراء الذي يخرج من الإنسان ، تخبوه أمام عيونهم . وقال الرب : هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم .

فقلت : آه يا سيد ، الرب ، ها نفسي لم تتنجس ، ومن صباي إلى الآن لم أكل ميتة

(١) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (١٤٠٦).

أو فريسة ، ولا دخل فمي لحم نجس ، فقال لي : انظر . قد جعلت لك خثي البقر بدل خراء الإنسان ، فتصنع خبرتك عليه » (حزقيال ٤/١٢-١٥) .

وتحدثنا النصوص التوراتية كيف يقذف الله - تعالى عن ذل : - الروث الحيواني في وجوه عصاةبني إسرائيل : « قال رب الجنود : فإني أرسل عليكم اللعن ، وألعن بركاتكم ، بل قد لعنتها ، لأنكم لستم جاعلين في القلب ، هانذا أنتهر لكم الزرع ، وأمد الفرث على وجوهكم فرث أعيادكم ، فتنزعون معه ، فتعلمون أنّي أرسلت إليّكم هذه الوصية » (ملachi ٢/٤-٢) ، فمثل هذا لا يقبل ولو كان في باب الاستعارة والمجاز .

وتتحدث الأسفار أن الله أمربني إسرائيل بسرقة أصحابهم من المصريين ، وأنه شارك بهذا الغش عندما أمال قلوب المصريين إلى الموافقة على إعارةبني إسرائيل ما يطلبوه من ذهب وجواهر وثياب فتقول : « ثم قال الرب لموسى : ضربة واحدة أجلب على فرعون وعلى مصر بعد ذلك ، يطلقكم من هنا ، وعندما يطلقكم يطردكم طرداً من هنا ، بالتمام تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبتها ، أمتعة فضة وأمتعة ذهب ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين .. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى طلبوا من المصريين أمتعة من فضة وأمتعة ذهباً وثياباً ، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين حتى أغاروهم ، فسلبوا المصريين » (خروج ١١/١٢-٣٦) .

وتتحدث الأسفار عن الرب وهو يأمر بالإغواء والكذب ، ويبحث عنمن يرشده إلى طريقة لإغواء آخاب « فقال الرب : من يغوي آخاب ، فيصعد ويسقط في راموت جلعاد ؟ فقال هذا : هكذا وقال ذاك : هكذا . ثم خرج الروح ، ووقف أمام الرب وقال : أنا أغويه . وقال له الرب : بماذا ؟ فقال : أخرج وأكون روح كذب في أفواه جميع أنبيائه . فقال : إنك تغويه وتقتدر . فاخذ وافعل هكذا » (الموك ١/٢٠-٢٢) .

وتصور الأسفار في موضع آخر استجابة الرب لدعاء نبيه ونصرته لأوليائه ، تصوره بصورة ساذجة ، ينظر إلى يدي موسى وهو يدعوه ، فإذا هوت يداه تعباً هزمبني إسرائيل ، وإذا أجهد نفسه أو أعانه الآخرون على رفعها ، نصره وأيده ، فتقول : « وأما موسى وهارون وحور ، فصعدوا على رأس التلة ، وكان إذا رفع موسى يده أن إسرائيل يغلب ، وإذا خفض يده أن عماليق يغلب ، فلما صارت يدا موسى ثقيلتين أخذنا [أي هارون وحور] حجراً ، ووضعاه تحته فجلس عليه ، ودعم هارون وحور يديه ، الواحد من هنا ، والآخر من هناك ، فكانت يداه ثابتتين إلى غروب الشمس ، فهزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف » (الخروج ١٧ / ١٣ - ١٥) ، فهل هذا هو ما يحمل الرب على نصرة أنبيائه وأوليائه ؟

ويتحدث سفر العدد عن شريعة غريبة يكتشف الرجل بموجبها خيانة زوجته أو براءتها ، ألا وهو شرب ماء اللعنة الممزوج بغبار البيت ، فإن ورمت بطنها وسقطت فخذها ، فهي مذنبة ، وإن قدر لها النجاة من هذا الماء الغريب ، فإنها تكون بريئة .

ودعونا نتأمل طقوس هذا الاختبار الغريب ، يقول سفر العدد : « يأتي الرجل بامرأته إلى الكاهن ، ويأتي بقربانها معها عشر الإيفنة من طحين شعير ، لا يصبّ عليه زيتاً ، ولا يجعل عليه لباناً .. فيقدمها الكاهن ويوقفها أمام الرب ، ويأخذ الكاهن ماء مقدساً في إناء خزف ، ويأخذ الكاهن من الغبار الذي في أرض المسكن ، ويجعل في الماء ، ويوقف الكاهن المرأة أمام الرب ، ويكشف رأس المرأة ، ويجعل في يديها تقدمة التذكرة التي هي تقدمة الغيرة ، وفي يد الكاهن يكون ماء اللعنة المز .

ويستحلف الكاهن المرأة ويقول لها : إن كان لم يضطجع معك رجل ، وإن كنت لم تزيغي إلى نجاسة من تحت رجلك ، فكوني بريئة من ماء اللعنة هذا المز .. يستحلف الكاهن المرأة بحلف اللعنة ويقول الكاهن للمرأة : يجعلك الرب لعنة وحلفاً بين شعبك

بأن يجعل الرب فخذك ساقطة وبطنك وارما ، ويدخل ماء اللعنة هذا في أحشائك لورم البطن والإسقاط الفخذ . فتقول المرأة : آمين آمين .

ويكتب الكاهن هذه اللعنات في الكتاب ثم يمحوها في الماء المر ، ويستقي المرأة ماء اللعنة المر ، فيدخل فيها ماء اللعنة للمرارة .. ومتى سقاها الماء فإن كانت قد تنجست وخانت رجلها يدخل فيها ماء اللعنة للمرارة ، فيرم بطنها وتسقط فخذها ، فتصير المرأة لعنة في وسط شعبها ، وإن لم تكن المرأة قد تنجست ، بل كانت طاهرة تبرأ وتخلب بزرع ، هذه شريعة الغيرة ، إذا زاغت امرأة من تحت رجلها وتنجست » (العدد ٢٩-٥) ، فهل يأمر الرب العليم بمثل هذا ؟ وهل هذه طريقة منصفة أو كافية في إثبات طهارة أو تلاعيب النساء ؟ وماذا لو مرضت المرأة وانتفخت بطنها بسبب هذا الماء الغريب وما ألقى فيه ، لا بسبب لعنته ، هل تعتبرها آثمة مذنبة ، فتخرج للحرق أو الجلد أو الرجم ؟

ومن غريب تشريعات العهد القديم إزدراوه للمرأة الحائض واعتبارها مباءة ومجمعاً للنجاسة ، يتتجس بسببها كل من لمسها « وإذا كانت امرأة لها سيل ، وكان سيلها دمًا في لحمها فسبعة أيام تكون في طمثها ، وكل من مسها يكون نجساً إلى المساء ، وكل ما تضطجع عليه في طمثها يكون نجساً ، وكل ما تجلس عليه يكون نجساً ، وكل من مس فراشها يغسل ثيابه ويستحم بهاء ، ويكون نجساً إلى المساء ، وكل من مس متاعاً تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بهاء ويكون نجساً إلى المساء ، وإن كان على الفراش أو على المتاع الذي هي جالسة عليه عندما يمسه يكون نجساً إلى المساء .. وإذا كانت امرأة يسيل سيل دمها أيامًا كثيرة في غير وقت طمثها ، أو إذا سال بعد طمثها ، فتكون كل أيام سيلان نجاستها كما في أيام طمثها ، إنها نجسة ، كل فراش تضطجع عليه كل أيام سيلها يكون لها كفراش طمثها ، وكل الأمتعة التي تجلس عليها تكون نجسة كنجاسة

طمثها ، وكل من مسّهـن يكون نجسـا ، فيغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسـا إلى المسـاء » (اللاوين ١٥/٢٧-١٩) ، ويتسـأـلـ المـرـءـ لمـ كـلـ هـذـاـ ؟ـ ماـ الـذـيـ اـرـتكـبـتـهـ الـمـرـأـةـ عـنـ حـيـضـهـاـ حـتـىـ تـكـوـنـ فـيـ هـذـهـ المـزـلـةـ الـوـضـيـعـةـ ؟ـ

ومن غـرـائـبـ العـهـدـ القـدـيـمـ -ـ وـلـاـ تـنـقـضـيـ غـرـائـبـهـ -ـ شـرـيعـةـ رـجـمـ الثـورـ القـاتـلـ ،ـ بلـ وـرـجـمـ صـاحـبـهـ إـنـ كـانـ يـعـلـمـ أـنـ ثـورـهـ نـطـاحـ ،ـ يـقـولـ سـفـرـ الـخـروـجـ :ـ «ـ وـإـذـاـ نـطـحـ ثـورـ رـجـلـاـ أوـ اـمـرـأـةـ فـهـاتـ ،ـ يـرـجـمـ الثـورـ ،ـ وـلـاـ يـؤـكـلـ لـحـمـهـ ،ـ وـأـمـاـ صـاحـبـ الثـورـ فـيـكـونـ بـرـيـئـاـ ،ـ وـلـكـنـ إـنـ كـانـ ثـورـاـ نـطـاحـاـ مـنـ قـبـلـ ،ـ وـقـدـ أـشـهـدـ عـلـىـ صـاحـبـهـ ،ـ وـلـمـ يـضـبـطـهـ ،ـ فـقـتـلـ رـجـلـاـ أوـ اـمـرـأـةـ ،ـ فـالـثـورـ يـرـجـمـ ،ـ وـصـاحـبـهـ أـيـضـاـ يـقـتـلـ »ـ (ـ الـخـروـجـ ٢١-٢٩ـ)ـ ،ـ فـهـاـ ذـنـبـ صـاحـبـ الثـورـ لـيـؤـخـذـ بـجـرـيـرـةـ ثـورـهـ ،ـ سـوـاءـ بـسـوـاءـ ،ـ قـدـ قـصـرـ -ـ وـلـاـ رـيبـ -ـ لـكـنـ ذـلـكـ لـاـ يـسـتـحـقـ قـتـلـهـ بـحـالـ مـنـ الـأـحـوـالـ .ـ

ويـتـحدـثـ سـفـرـ الـلـاوـيـنـ عـنـ أـحـكـامـ مـرـيـضـ الـبـرـصـ وـكـيـفـيـةـ التـطـهـرـ مـنـهـ ،ـ ثـمـ يـتـنـقلـ لـلـحـدـيـثـ عـنـ الـبـرـصـ الـذـيـ يـصـيـبـ الـثـيـابـ وـالـجـدـرـانـ ،ـ وـيـفـصـلـ فـيـ ذـكـرـ طـرـيـقـةـ التـخلـصـ مـنـ الـبـرـصـ بـمـسـاعـدـةـ الـكـاهـنـ خـشـيـةـ اـنـتـقـالـ عـدـوـيـ الـمـرـضـ إـلـىـ ثـيـابـ أـخـرـ وـجـدـرـانـ أـخـرـ ،ـ يـقـولـ السـفـرـ :ـ «ـ يـأـتـيـ الـذـيـ لـهـ الـبـيـتـ وـيـخـبـرـ الـكـاهـنـ قـائـلـاـ :ـ قـدـ ظـهـرـ لـيـ شـبـهـ ضـرـبةـ فـيـ الـبـيـتـ ،ـ فـيـأـمـرـ الـكـاهـنـ أـنـ يـفـرـغـواـ الـبـيـتـ قـبـلـ دـخـولـ الـكـاهـنـ ..ـ وـإـذـاـ الضـرـبةـ فـيـ حـيـطـانـ الـبـيـتـ نـقـرـ ضـارـبـةـ إـلـىـ الـخـضـرـةـ أـوـ إـلـىـ الـحـمـرـةـ وـمـنـظـرـهـ أـعـقـمـ مـنـ الـحـائـطـ ،ـ يـخـرـجـ الـكـاهـنـ مـنـ الـبـيـتـ إـلـىـ بـابـ الـبـيـتـ وـيـغـلـقـ الـبـيـتـ سـبـعـةـ أـيـامـ .ـ

فـإـذـاـ رـجـعـ الـكـاهـنـ فـيـ الـيـوـمـ السـابـعـ وـرـأـيـ وـإـذـاـ الضـرـبةـ قـدـ اـمـتدـتـ فـيـ حـيـطـانـ الـبـيـتـ يـأـمـرـ الـكـاهـنـ أـنـ يـقـلـعـواـ الـحـجـارـةـ التـيـ فـيـهـاـ الـضـرـبةـ وـيـطـرـحـوـهـاـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ مـكـانـ نـجـسـ ،ـ وـيـقـشـرـ الـبـيـتـ مـنـ دـاخـلـ حـوـالـيـهـ ،ـ وـيـطـرـحـوـنـ التـرـابـ الـذـيـ يـقـشـرـوـنـهـ خـارـجـ الـمـدـيـنـةـ فـيـ مـكـانـ نـجـسـ ،ـ وـيـأـخـذـوـنـ حـجـارـةـ أـخـرـىـ وـيـدـخـلـوـنـهـاـ فـيـ مـكـانـ الـحـجـارـةـ وـيـأـخـذـ تـرـابـاـ آخـرـ

ويطين البيت ، فإن رجعت الضربة وأفرخت في البيت بعد قلع الحجارة وقشر البيت وتطيئنه ، وأتى الكاهن ورأى وإذا الضربة قد امتدت في البيت فهني برص مفسد (أي : معدي كما في ترجمة أخرى) في البيت ، إنه نجس ، فيهدم البيت ، حجارته وأخشابه وكل تراب البيت وينخرجها إلى خارج المدينة ، إلى مكان نجس ، ومن دخل إلى البيت في كل أيام انغلاقه يكون نجساً إلى المساء ، ومن نام في البيت يغسل ثيابه ، ومن أكل في البيت يغسل ثيابه » (اللاوين ٤٧-٣٥ / ١٤) ، ونعجب ونسأل كيف يمكن تطبيق هذا التشريع لو ظهر البرص المعدي في ناطحة سحاب ، هل ستهدم ويحمل حديدها وحجاراتها إلى خارج المدينة !

ومثل هذا الهراء ورد حين الحديث عن برص الثياب ، يقول السفر : « وأما الثوب فإذا كان فيه ضربة برص ثوب صوف أو ثوب كتان ، في السدى أو اللحمة من الصوف أو الكتان أو في جلد أو في كل مصنوع من جلد ، وكانت الضربة ضاربة إلى الخضرة أو إلى الحمرة في الثوب أو في الجلد في السدى أو اللحمة أو في متاع ما من جلد فإنها ضربة برص ، فتعرض على الكاهن ، فيرى الكاهن الضربة ويبحز المضروب سبعة أيام ، فمتى رأى الضربة في اليوم السابع ، إذا كانت الضربة قد امتدت في الثوب في السدى أو اللحمة أو في الجلد من كل ما يصنع من جلد للعمل ، فالضربة برص مفسد (أي : معدي كما في ترجمة أخرى) ، إنها نجسة فيحرق الثوب أو السدى أو اللحمة من الصوف أو الكتان أو متاع الجلد الذي كانت فيه الضربة لأنها برص مفسد ، بالنار يحرق » (اللاوين ٤٧-٥١ / ١٣) . فأين سمعت الدنيا عن مثل هذه الأمراض وعن مثل هذه الطريقة في علاج الجدران والثياب ، تعالى الله عنها يقوله الظالمون علواً كبيراً .

ويأمر سفر الشنية الأخ أن يتزوج بأرمدة أخيه في بعض الأحوال الاجتماعية ، فإن أبي تحقق به العقوبة التي يقررها السفر ، وهي أن تسلبه حذاءه ، وتقصق في وجهه ، يقول السفر : « وإن لم يرض الرجل أن يأخذ امرأة أخيه تصعد امرأة أخيه إلى الباب إلى

الشيوخ ، وتقول : قد أبى أخو زوجي أن يقيم لأخيه استئنافاً في إسرائيل ، لم يشأ أن يقوم لي بواجب أخي الزوج ، فيدعوه شيخ مدینته ويتكلمون معه ، فإن أصر وقال : لا أرضي أن أخذها ، تقدم امرأة أخيه إليه أمام أعين الشيوخ ، وتخلع نعله من رجله ، وتبصق في وجهه ، وتصرخ ، وتقول : هكذا يفعل بالرجل الذي لا يبني بيته أخيه ، فيدعى اسمه في إسرائيل بيت مخلوع النعل » (التكوين ٢٥ / ٧ - ١٠) ، ومثل هذا التشريع يتضمن الإكراه على الزواج ، والبيوت لا تقوم على مثل هذا ، وهنا نتساءل كيف لمثل هذا الزواج أن يتم لو كانت أرملة الأخ كبيرة تكبر زوجها الجديد بأربعين سنة مثلاً؟!

كما تتضمن العقوبة بالبصاق وخلع الحذاء لوناً من السخف ، يترفع عنه شرع الله ودينه ، ويظهر فيه ضعف البشر وسذاجة تفكيرهم .

كما تتحدث الأسفار عن أمر الله بقتل النساء والأطفال والأبرياء ، فقد أمر بني إسرائيل بقتل الشعوب التي في فلسطين « وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك رب إلهك ، فلا تستبق منهم نسمة ما » (التثنية ٢٠ / ١٦).

وقتل الأبرياء من بني إسرائيل لما غضب على داود فقتل الملائكة - بأمره - منهم سبعين ألف رجل بلا ذنب أو جريمة ، فقال داود : « ها أنا قد أخطأت وأنا أذنبت . وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا؟ فلتكن يدك علي وعلى بيتي أبي » (صموئيل ٢ / ٢٤).

وكذا تذكر الأسفار أن الله أمر نبيه يشوع بقتل جميع سكان مدينة عاي ، ففعل النبي بحسب الأمر ، فحرق المدينة ، وأفني أهلها امثيلاً لهذا الأمر الرهيب : « تمتلكون المدينة ويدفعها ربكم بيدكم . ويكون عندأخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار ، كقول ربكم تفعلون . انظروا . قد أوصيتكم .. ودخلوا المدينة ، وأخذوها ، وأسرعوا ، وأحرقوا المدينة بالنار .. وكان لما انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية ، حيث لحقوهم وسقطوا جميعاً بحد السيف ، حتى فروا .. فكان جميع

الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفاً ، جميع أهل عاي ، ويشوع لم يرد يده التي مدها بالمزرق حتى حرم جميع سكان عاي . لكن البهائم وغниمة تلك المدينة نهبها إسرائيل لأنفسهم حسب قول الرب الذي أمر به يشوع . وأحرق يشوع عاي ، وجعلها تلأً أبداً خراباً إلى هذا اليوم » (يشوع ٨/٨-٩) .

ثم تزعم الأسفار أن الله بعث نبيه صموئيل إلى الملك شاول يخبره باصطفاء الله له للملك ، ويقول : « هكذا يقول رب الجنود : .. فالآن اذهب ، واضرب عماليق ، وحرموا كل ماله ، ولا تغاف عنهم ، بل اقتل رجلاً وامرأة ، طفلاً ورضيعاً ، بقرًا وغنمًا ، جملًا وحمارًا » (صموئيل ١/١٥-٢) ، لقد أمره بقتل وسحق كل أحد من أهل مدينة عماليق ، وحتى لا يستثنى منهم أحدًا أمره بقتل الرضع والأطفال والنساء ، بل وحتى الحيوان .

لكن شاول لم يلتزم أمر الرب بدقة « وأمسك أجاج ملك عماليق حيًّا ، وحرم جميع الشعب بحد السيف ، وعفا شاول والشعب عن أجاج ، وعن خيار الغنم والبقر والثياب والخراف ، وعن كل الجيد ، ولم يرضوا أن يحرمواها . وكل الأملاك المحتقرة والمهزولة حرمواها » (صموئيل ١/١٥-٩) ، لقد قتلوا البشر والحيوانات الهزلية ، وغفوا عن الحيوانات القوية ، فماذا كان ؟ لقد سخط الله على شاول « وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً : ندمت على أني قد جعلت شاول ملكًا ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي » (صموئيل ١/١٥-١٠) .

وفسرته روح النبي صموئيل حين استحضرتها العرافة لشاول ، فقالت روحه : « لأنك لم تسمع لصوت الرب ، ولم تفعل حمو غضبه في عماليق ، لذلك قد فعل الرب بك هذا الأمر اليوم » (صموئيل ١/٢٨-١٨) ، لقدباء بغضب الرب وندمه ، لأنه لم يكمل المجزرة إلى آخر فصوتها ، فهل يأمر الله بمثل هذا ؟ ! سبحانه هذا بهتان عظيم .

ومرة أخرى تتكرر الوصاية - المنسوبة زوراً إلى الرب - بقتل الأطفال ، لكنها هذه المرة مع التأكيد على قتل الأجنة في بطون الأمهات ، حتى لا ينجو أولئك الذين لم يروا الدنيا بعد « تجازى السامرة ، لأنها قد تمردت على إلهها ، بالسيف يسقطون ، تحطم أطفالهم ، والحوامل تشق » (هوشع ١٣ / ١٦) ، لقد عوقبوا بجريرة آبائهم ، فهل يأمر الله بمثل هذا الظلم ؟

وكما رأينا فإن للأطفال نصيباً مستحقاً من القتل والتدمير ، وهو حق ما فتئت النصوص تذكر به ، ومنه ما يتطرق لأطفال بابل فطوبى لمن يقتلهم « يا بنت بابل المخربة ، طوبى لمن يجازيك جزاءك الذي جازيتنا ، طوبى لمن يمسك أطفالك ، ويضرب بهم الصخرة » (المزמור ١٣٧ / ٨-٩).

وأما يوم الرب الذي سيصيب بابل ، ففي ذلك اليوم « كل من وجد يُطعن ، وكل من انحاش يسقط بالسيف ، وتحطم أطفالهم أمام عيونهم ، وتنهب بيوعهم ، وتُفضح نساؤهم ، ها أنذا أهين عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ، ولا يسررون بالذهب ، فتحطم القسيط الفتيان ، ولا يرحمون ثمرة البطن ، لا تشفق عيونهم على الأولاد ، وتصير بابل بباء المالك وزينة فخر الكلدانين ؛ كتقليل الله سدوم وعمورة ، لا تعمر إلى الأبد » (إشعياء ١٣ / ١٥-٢٠).

وللاطلاع على المزيد من المجازر التي تنسبها أسفار العهد القديم إلى أمر الرب . انظر (حزقيال ٩ / ٦-٧) ، و (العدد ٣١ / ١٤-١٨) و (إرمياه ٥١ / ٢٠-٢٣) ، ويعنيك عن ذلك كله أن تقرأ سفر المجازر المنسوب إلى النبي يشوع ، أو أن تقرأ سيرة هتلر والنازيين وما صنعواه من جرائم يندى لها جبين الإنسان .

ويتكرر الإفساد في الأرض ، وينسب الأمر فيه إلى الله : « قال الرب : .. فتضربون كل مدينة محصنة ، وكل مدينة مختارة ، وتقطعون كل شجرة طيبة ، وتطمّون جميع عيون

الماء ، وتفسدون كل حقلة جيدة بالحجارة .. وهدموا المدن ، وكان كل واحد يلقي حجره في كل حقلة جيدة حتى ملأوها ، وطموا جميع عيون الماء ، وقطعوا كل شجرة طيبة » (الملوك ٢٥/٣-١٩) .

ومن الظلم الذي تنسبه التوراة إلى الله حرمان أصحاب العاهات من شرف الدخول في جماعة الرب ، وقد كان الأولى تكريمهما لما أصابهم من بلاء ، فتنسب التوراة الله أنه أمر « لا يدخل مُحْصَي بالرَّضْنَ أو مُجْبُوب في جماعة الرب » (التثنية ١/٢٣) .

ويطال الحرمان آخرين من أصحاب العاهات ، فلا تقبل ذبائحهم ، بل ولا يقتربون من مذبح العبادة لأنهم نجس بسبب عيوبهم الذي ابتلاهم الله به ، فتقول الأسفار : « كلام هارون قائلاً : إذا كان رجل من نسلك في أجياهم فيه عيب ، فلا يتقدم ليقرب خبز إلهه ، لأن كل رجل فيه عيب لا يتقدم ، لا رجل أعمى ، ولا أعرج ، ولا أفطس ، ولا زوائد ، ولا رجل فيه كسر رجل أو كسر يد ولا أحدب ، ولا أكتشم ، ولا من في عينيه بياض ، ولا أجرب ، ولا أكلف ، ولا مرضوض الخصى ، كل رجل فيه عيب من نسل هارون الكاهن لا يتقدم .. وإلى المذبح لا يقترب لأن فيه عيّباً ، لئلا يدانس مقدسي ، لأنني أنا رب مقدسهم » (اللاويين ٢١/١٧-٢٣) .

وتستمر الأسفار في طرد الأبرياء من جماعة الرب ، ومنهم ابن الزنا ، وأبناء العميين والمؤابيين ، حتى الجيل العاشر ، وذلك جزاء لهم لتقصير أجدادهم في استقبال بنى إسرائيل ، فتنسب الأسفار إلى الله قوله : « لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منه أحد في جماعة الرب ، لا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب ، حتى الجيل العاشر لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد ، من أجل أنهم لم يلاقوكم بالخبز والماء في الطريق عند خروجكم من مصر ، وأنهم استأجرتوا عليك بلعام بن بعور لكي يلعنك » (التثنية ٢٣/١-٣) .

ومن الشرائع الغربية لأسفار العهد القديم شريعة كسر عنق الحمار البكر الذي لم يفدا ، فيؤخذ بجريرة صاحبه وتصصيره في فدائه ، يقول سفر الخروج : « لي كل فاتح رحم ، وكل ما يولد ذكراً من مواشيك ، بكرًا من ثور وشاة ، وأما بكر الحمار فتفديه بشاة ، وإن لم تفده تكسر عنقه ، كل بكر من بنيك تفديه » (الخروج ٣٤-٢٠) ، فهل يأمر رب بمثل هذا الظلم ومثل هذه القسوة؟

لقد كان هذا الذي ذكرناه بعضًا من أحكام تصفها التوراة نفسها بالفساد ، ففي سفر حزقيال : « وأعطيتهم أيضًا فرائض غير صالحة وأحكاماً لا يحيون بها » (حزقيال ٢٥/٢٠) ، ويصفها الإنجيل بالعتق والشيخوخة ، إذ يقول الكاتب المجهول لرسالة العبرانيين : « فإنه يصير إبطال الوصية السابقة من أجل ضعفها وعدم نفعها ، إذ الناموس لم يكمل شيئاً ، ولكن يصير إدخال رجاء أفضل به نقترب إلى الله » (عبرانيين ١٨-١٩) ، ومقصوده التوراة وشرائعها المختصة بالكهنوت اللاوي .

ويقول مبرراً إلغاء نظام الكهنوت التوراتي : « فإنه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثاني » (عبرانيين ٨/٧) ، وعييه هو شيخوخته « وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الأضمحلال » (عبرانيين ٨/١٣) .

تشبيهات ممجوجة لله في العهد القديم

وجاء في أسفار العهد القديم أن الله يشبه نفسه تشبيهات غريبة ممجوجة ، فيشبه نفسه بالحيوان تارة وبالمخمور تارة ، ومثل هذه الطريقة لا يرتضيها العقلاء في التعبير عن ذواتهم ، فالقارئ الكريم لن يقبل لو شبه بالحمار بجامع الصبر والجلد في كليهما ، أو بالقطة لما عندها من حنون على أبنائها ، أو بالكلب لبالغ وفائه ..

ولكن الكثير من ذلك تنسبه التوراة إلى الله ، من ذلك قوله : « فأكون لهم كأسد ، أرصد على الطريق كنمر ، أصدّمهم كدبّة مثلث ، وأشق شغاف قلوبهم ، وأأكلهم هناك

كلبوا ، يمزقهم وحش البرية » (هوشع ١٣ / ٨ - ٧) .

ومثله التشبيه المنكر لله والذي جاء في سفر هوشع : « فأنا لأفرايم كالعث (الدودة) ، ولبيت يهودا كالسوس » (هوشع ٥ / ١٢) .

ويشبه سفر ميخا حزن الرب على ما أصاب بني إسرائيل بنواع النعام ونحيب إناث العالب ، فيقول : « قول الرب الذي صار إلى ميخا .. من أجل ذلك أنوح وأولول ، أمشي حافياً وعرياناً ، أصنع نحيباً كبنات آوى ، ونوحًا كرعال النعام » (ميخا ١ / ٨ - ١) .

وفي نص آخر تذكر التوراة حزنه على شعبه وعدرائها أورشليم ، فيقول للنبي إرميا : وتقول لهم هذه الكلمة : « لتذرف عيناي دموعاً ليلاً ونهاراً ، ولا تكفا أبداً ، لأنَّ العذراء بنت شعبي سحقت سحقاً عظيماً » (إرميا ١٤ / ١٧) .

ويستبد به الحزن إلى حد أن يدعو على نفسه بالويل والثبور « لأنَّ هكذا قال الرب .. ويل لي من أجل سحيقي » (إرميا ١٠ / ١٧) .

وفي صورة أخرى مشينة تصور الأسفار التوراتية سخط الله على أعداء بني إسرائيل من المؤابيين والأدومنيين بصورة يترفع عن استعمالها كرام الناس وذوق الوقار فيهم ، فيقول : « الله قد تكلم بقدسه .. وأفرايم خوذة رأسى ، يهودا صوبحانى ، موآب مرضضتى ، وعلى أدوم ألقى حذائي » (المزمور ٦٠ / ٦ - ٨) ، فجعل - على سبيل الاستعارة والتشبيه - المؤابيين مكاناً لتنظفه من الأقدار للدلالة على سخطه ، كما عبر عن سخطه على الأدومنيين بـ « القاء الحذاء عليهم !

وتستمر المجازي في التشبيهات التوراتية ، فتشبه الله تعالى بالمرأة تارة ، وبالزوج تارة ، فقد جاء فيها : « لأنَّ بعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه .. لأنَّه كامرأة مهجورة ومحزونة الروح ، دعاك ربك » (إشعياء ٥٤ / ٦ - ٦) .

وفي موضع آخر أنه قال : « من أجل ذنوبكم طلَّقتُ أمكم » (إشعياء ٥٠ / ١) .
ومثله أن الله خاطب أورشليم « وكفر العريس بالعروس يفرح بك إلهك »
(إشعياء ٥ / ٦٢) .

ومن سوء التشبيهات التوراتية تشبيه الله العظيم بالسكران يفيق من سكره ،
فتقول : « استيقظ الرب كنائم ، كجبار معيظ من الخمر ، فضرب أعداءه إلى الوراء ،
جعلهم عاراً أبدانياً » (المزمور ٧٨ / ٦٥) .

ومثله في السوء التعبير عن انتقام الله من بني إسرائيل بسلطط ملك أشور عليهم ،
إذ يشبهه سفر إشعياء تشبيهاً منكراً ، فيقول : « في ذلك اليوم يخلق السيد بموسى
مستأجرة في عبر النهر ، بملك أشور الرأس وشعر الرجلين ، وتتنزع اللحية أيضاً »
(إشعياء ٧ / ٢٠) .

فمثل هذه التشبيهات السمجة والتعبيرات السخيفة لا يمكن أن تصدر عن الله
العظيم ، ولا يليق أن يوصف بها ، أوليس من طريقة أفضل يعبر بها الإله عن غضبه أو
حبه !!

وكيف لهذه التشبيهات أن تنسب إلى الله ، وقد قال منكراً تشبيهه بغيره : « فبمن
تشبهون الله ، وأي شبه تعادلون به .. فبمن تشبهونني ، فأساويني ، يقول القدس »
(إشعياء ٤٤ / ١٨ - ٢٥) .

الأنبياء في العهد القديم

اصطفى الله ﷺ أنبياءه من بين سائر خلقه ، وحباهم بأن جعلهم حملة دينه إلى الناس ، وأسبق أقوامهم إليه ، وجعل منهم قدوة للعالمين «**الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَيُهَدِّنُهُمْ أَفْتَدِه**» [الأنعام: ٩٠].

وهذا الذي يقتضيه العقل في هؤلاء الذين اختارهم الله هداية خلقه ، أن يكونوا أحسن الناس سيرة ، وأصدقهم طوية . . . كيف لا ، وقد جاء الحديث في التوراة عن عصمة الكهنة وبراءتهم من الآثام ، لأنهم حاملو الشريعة ومبلغوها للناس ، وهم - ولا ريب - دون منزلة الأنبياء ، يقول سفر ملاخي عن لاوي وسبطه : «عهدي معه للحياة والسلام ، وأعطيته إياهما للتقوى ، فاتقاني ، ومن اسمى ارتاع هو ، شريعة الحق كانت في فيه ، وإن لم يوجد في شفتيه ، سلك معي في السلام والاستقامة ، وأرجع كثيرين عن الإثم ، لأن شفتي الكاهن تحفظان معرفة ، ومن فمه يطلبون الشريعة ، لأنه رسول رب الجنود» (ملاخي ٢/٥-٧).

وتثنى التوراة في بعض نصوصها على بعض هؤلاء الأنبياء ، فعن داود قال : «أنا أكون له أباً ، وهو يكون لي ابنًا» (صموئيل ٢/٧). (١٤).

وعن نوح قال : «كان نوح رجلاً بارًا كاملاً في أجياله ، وسار نوح مع الله» (التكوين ٦/٩).

وعن إبراهيم تقول التوراة بأن الله قال له في المنام : «يا إبراهيم أنا ترس لك ، أجرك كثير جداً» (التكوين ١٥/١).

وعن إسحاق «وباركه الله» (التكوين ٢٦/١٢) .. إلى غير ذلك .

لكن ذلك كله يضيع في بحر الرذائل التي تلصقها التوراة زوراً بحملة رسالات

الله من الأنبياء والمرسلين الذين اصطفاهم الله لبلاغ وحيه .

نوح عليه السلام

تحدثت التوراة عن سُكِّر نبي الله نوح - عليه السلام وحاشاه - وتعريه داخل خبائه ، وحينذاك أبصره ابنه الصغير حام ، وأخبر أخويه بها رأى فجاءا بظهرهما ، وسترا عورة أبيهما الثيم ، فلما أفاق من سكرته وعرف ما فعل ابنه حام الصغير قال : « ملعون كنعان (ابن الجاني حام) ، عبد العبيد يكون لإخوته .. ول يكن كنعان عبدا لهم » .

والقصة بتلخيصها : « وابتداً نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً . وشرب من الخمر فسُكِّر وتعرى داخل خبائه . فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً . فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ، ومشيا إلى الوراء ، وسترا عورة أبيهما ، ووجههاهما إلى الوراء . فلم يصرأ عورة أبيهما .

فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير . فقال : ملعون كنعان (أب الفلسطينيين الذي لا علاقة له بالحادثة ، الذي لم يولد حينذاك) ، عبد العبيد يكون لإخوته . وقال : مبارك رب إله سام ، ول يكن كنعان عبدا لهم .

ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام . ول يكن كنعان عبدا لهم » (التكوين ٢٥-٢٦) ، فبدلاً من أن يوجه ابنه الصغير للتصرف الصحيح مع الوالد حين سكره وعربادته ، صب لعناته على كنعان ابن حام ، كنعان الذي لعله لم يخلق بعد ، فها ذنب هذا الكنعان ، بالطبع لا ذنب له إلا أنه سيصبح جداً لأهل فلسطين ، أعداء اليهود ! بل وما ذنب أبيه الذي لم يكن ليستحق هذا كله ؟ وماذا عن الأب الذي شرب الخمر ؟ ما الذي يستحقه من عقوبة ؟ لماذا لم يعاقبه رب ؟

إبراهيم عليه السلام

وأما إبراهيم خليل الله ، فتزعم التوراة أنه أخطأ في حق الله لما أراد إهلاك قوم

لوط ، وخطب ربه بأسلوب الناصح الغليظ ، بأسلوب لا يقبل عاقل أن يخاطبه به صديقه أو ابنته ، فضلاً عن عبده الضعيف « فتقىد إبراهيم وقال : أفتلهك البار مع الأثيم ! عسى أن يكون خمسون باراً في المدينة ، أفتلهك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين باراً الذين فيه ؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر : أن تحيي البار مع الأثيم ، فيكون البار كالأثيم ! حاشا لك . أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً » (التكوين ٢٣ / ١٨) .

لوط النبي

وأما لوط النبي ، النبي الذي حارب الشذوذ ، فتذكر التوراة أنه لما أهلك الله قومه لجأ إلى مغارة مع ابنته فسقتاه الخمر ، وضاجعتاه ، ولم يعلم بذلك ، وولد من هاتين الفاحشتين عمي ومواب ، ومنهما انحدر العمويون والمؤابيون أعداءبني إسرائيل ، فاسمع إلى السفر : « وصعد لوط من صوغر ، وسكن في الجبل وابتاه معه . لأنه خاف أن يسكن في صوغر . فسكن في المغارة هو وابنته .

وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض . هل ننسقي أبانا خمراً ، ونضطبع معه . فتحبى من أبينا نسلاً . فسقنا أباها خمراً في تلك الليلة . ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : إني قد اضطجعت البارحة مع أبي ، نسقيه خمراً الليلة أيضاً ، فادخلت اضطجعي معه ، فتحبى من أبينا نسلاً . فسقنا أباها خمراً في تلك الليلة أيضاً . وقامت الصغيرة واضطجعت معه ، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها .

فحبلت ابنتا لوط من أبيها ، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب ، وهو أبو

الموآبيين (أعداء بني إسرائيل) إلى اليوم . والصغريرة أيضا ولدت ابناً ، ودعت اسمه بن عمي . وهو أبوبني عمون (وهم أيضا أعداء بني إسرائيل) إلى اليوم » (التكوين ٣٧-٣٠ / ١٩) .

ويذكر السفر تبريراً لهذه الفاحشة ، أن الكبيرة منها قالت لأختها : « أبونا قد شاخ ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض .. نحيي من أبينا نسلاً » (التكوين ٣١ / ١٩ - ٣٢) ، فيصور النص الأرض وقد خلت من الرجال ، أو أن المغارة سيمكث فيها لوط وابنته إلى الأبد ، فلا سبيل حينذاك لاستبقاء النسل إلا زنا المحارم ! .

يعقوب القطّل

وأما يعقوب القطّل أصل بني إسرائيل ، فهو أيضاً لم يسلم من مخازي التوراة ، ولم يشفع له أبوته لهم ، فتذكرة التوراة أنه سرق البركة من أخيه الأكبر عيسو عندما خدع أباه إسحاق وأشربه الخمر ، وأوهمه أنه عيسو ، ولم يستطع إسحاق أن يفرق بين ملمس ابنه الأكبر وجلد المعزي الذي وضعه يعقوب على يده . (انظر : التكوين ٢٧ / ١٦ - ٢٥) .

فبارك يعقوب ، وهو يظنه عيسو ، وقال له : « رائحة ابني كرائحة حقل ، قد باركه رب ، فليعطيك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل ، وكن سيداً لإخوتك ، وليسجد لك بنو أمك ، ليكن لاعنك ملعونين ، ومبارِكوك مباركين » (التكوين ٢٧ / ٢٧ - ٢٩) .

ثم بعد برهة جاء عيسو أباه فاكتشف الخدعة ، ولكن بعد فوات الأوان .

وهكذا فالبركة سرقت ، وهذا يعتبر كذلك على الله واهب البركة ، لا على إسحاق ، ويتساءل المسلمون لماذا لم يسترد إسحاق بركته ؟ ثم ما هذه البركة التي تشمل خمراً واستبعاداً للشعوب ؟

وهذه البركة لا يبدو لها عظيم أثر في حياة يعقوب ، فقد جوزي على خديعته لأبيه ، فخدعه خاله لابان ، فأدخله على ابنته الكبرى ليثة ، فضاجعها ، وهي غير التي عقد له عليها (راحيل) . أي وقع في الزنا ، ولكن من غير عمد . (انظر : التكوين ٢٩ / ٢٤) . وقد رد الصاع لخاله حينما خدعا في غنميه . (انظر : التكوين ٣٠ / ٣٧ - ٤٢) .

ثم لما شاخ اعتدى شكيم على ابنته واغتصبها . (انظر : التكوين ٣٤ / ٢) . ثم زنى أحد أبنائه ، وهو يهودا بكتته ثamar ، وأحببها اثنين من أبنائه . (انظر : التكوين ٣٨ / ١٨) .

ثم اعتدى ابنه البكر رؤابين على بلهة سرية يعقوب ، واضطجع معها ، ولم يحرك يعقوب ساكناً . (انظر : التكوين ٣٥ / ٢١ - ٢٢) . فأين أثر البركة المسرورة في هذا كله ؟

موسى وهارون

كما تسيء التوراة إلى موسى عليه السلام أعظم أنبياء بنى إسرائيل ، وتذكر كلمات لا يمكن أن تصدر من موسى لما فيها من إساءة أدب مع الله ، منها : « فقال موسى للرب : لماذا أسأت إلى عبديك ؟ ولماذا لم أجد نعمة في عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب علي ؟ أعلی حبلت بجميع هذا الشعب ؟ أو لعلي ولدته .. فإن كنت تفعل بي هكذا فاقتلوني قتلاً ، إن وجدت نعمة في عينيك فلا أرى بليتي » (العدد ١١ / ١٥ - ١٥) ، فهل يتحدث عبد - فضلاً عننبي - مع ربه بمثل هذا ؟

وتذكر التوراة أن موسى في حربه مع أهل مidian - الذين مكث فيهم سنين - أمر بقتلهم شر قتلة ، وحين لم ينفذ الجيش أمره « فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب ، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حية ؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال ، وكل امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر

اقتلوها ، لكن جميع الأطفال من النساء اللواتي لم يعرفن مضاجعة ذكر أبقوهن لكم حياتاً » (العدد ٣١ / ١٤-١٨).

ولم يخبر السفر عن طريقة التمييز بين الأبكار وغيرهن ، فهل يأمرنبي بمثل هذا؟!

وأما هارون القدوس كما في سفر المزامير « هارون قدوس الرب » (المزمور ١٦ / ١٠-١٦) ، فإن سفر الخروج يفترى عليه ، ويتهمه بأنه الذي صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه ، فيقول : « قال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبناتكم ، وأتوني بها . فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم ، وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم ، وصورة بالإزميل ، وصنعه عجلا مسبوكاً ، فقالوا : هذه آهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر » (الخروج ٣٢ / ٤-٢) ، فهل هذا صنيع يصنعه قدوس الرب؟

ثم تذكر التوراة المحرفة أن الله حرم موسى وهارون من دخول الأرض المقدسة لخيانتهما لله وعدم إيمانهما : « فقال الرب لموسى وهارون : من أجل أنكما لم تؤمنا بي ، حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل ، لذلك لا تدخلان هذه الجماعة إلى الأرض التي أعطيتكم إياها » (العدد ٢٠ / ١٢).

وفي موضع آخر يؤكّد هذا السبب لحرمانهما من دخول الأرض المباركة ، فيقول : « لأنكما ختمني في وسط بني إسرائيل ، عند ماء مريبة قادش ، في برية صين ، إذ لم تقدساني في وسط بني إسرائيل » (الشنية ٣٢ / ٥١).

وتذكر التوراة في قصة غريبة مبهمة من غير مقدمات لها ، ومفادةها أن الله أراد قتل موسى وهو في صحراء سيناء ، حين كان متوجهًا لدعوة فرعون كما أمره الرب ، والذي أنقذه من القتل ذكاء زوجته صفورة وسرعة بديهتها ، حيث أدركت أن سبب غضب الرب عدم ختان موسى لابنه ، فختنته سريعاً ، ووضعت غرلته عند رجلي الرب ،

فنجا موسى من الموت ، يقول السفر : « حدث في الطريق في المنزل أن الرب التقاه ، وطلب أن يقتله ، فأخذت صورة صوانة ، وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجلية ، فقالت : إنك عريس دم لي ، فانفك عنه عندما قالت : عريس دم من أجل الختان » (الخروج ٤/٢٤-٢٦) ، ولم يبين السفر السبب الصريح لهذه الغضبة الإلهية المزعومة ، واكتفى ببيان هذه الطريقة الغريبة في استرضاء الرب .

لكن لعلنا نكتشف السر حين ننقل للقارئ تعليق الآباء اليسوعيين على هذه القصة في حاشية نسخة الرهبانية اليسوعية ، حيث يكشف لنا الآباء أن ما حصل من صورة كان خداعاً للرب ، وأنها نجحت في ذلك : « رواية غامضة بسبب اقتضابها وعدم وجود أي سياق في الكلام .. يجوز التكهن والقول بأن قلف موسى يجلب عليه غضب الله ، وأن هذا الغضب سكن حين ختنت صورة ابنها ، وتظاهرت بختان موسى ، فلمست عورته » ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا .

يشوع بن ذون الكلبي

وأما يشوع وصي موسى ، فإن اسمه يقترن في التوراة بسلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال والرجال والحيوان ، وكنموذج لهذه المجازر نحكي قصة مجرزة أريحا التي لم ينج فيها سوى راحب الزانية ومن يلوذ بها ، وأما ما عدتها فقد أمر يشوع : « وصعد الشعب إلى المدينة ، كل رجل مع وجهه ، وأخذنوا المدينة ، وحرموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة ، من طفل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف .. أحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها » (يشوع ٦/٢٠-٢٤) .

ويستمر سفر يشوع في عرض سلسلة من المجازر التي طالت النساء والأطفال الأبراء ، وكل ذلك بأمر من يشوع ، وحاشاه عليه السلام « وأخذ يشوع مقيدة في ذلك اليوم وضربها بحد السيف ، وحرم ملكها هو وكل نفس بها ، لم يبق شارداً . وفعل بملك مقيدة كما فعل بملك أريحا .

ثم اجتاز يشوع من مقيدة وكل إسرائيل معه إلى لبنة ، وحارب لبنة ، فدفعها رب هي أيضا بيد إسرائيل مع ملكها ، فضربها بحد السيف وكل نفس بها ، لم يبق بها شاردا ، وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من لبنة إلى خيش ونزل عليها وحاربها ، فدفع الرب خيش بيد إسرائيل ، فأخذها في اليوم الثاني ، وضربها بحد السيف ، وكل نفس بها حسب كل ما فعل بلبنة ، حينئذ صعد هورام ملك جازر لإعانته خيش ، وضربه يشوع مع شعبه ، حتى لم يبق له شاردا .

ثم اجتاز يشوع وكل إسرائيل معه من خيش إلى عجلون ، فنزلوا عليها ، وحاربوها ، وأخذوها في ذلك اليوم ، وضربوها بحد السيف ، وحرّم كل نفس بها في ذلك اليوم حسب كل ما فعل بلخيش ، ثم صعد يشوع وجميع إسرائيل معه من عجلون إلى حبرون ، وحاربوها ، وأخذوها وضربوها بحد السيف مع ملكها وكل مدنها وكل نفس بها ، لم يبق شاردا حسب كل ما فعل بعجلون ، فحرّمها وكل نفس بها .

ثم رجع يشوع وكل إسرائيل معه إلى دير وحاربها ، وأخذها مع ملكها وكل مدنها وضربوها بحد السيف ، وحرّموا كل نفس بها ، لم يبق شاردا ، كما فعل بحبرون كذلك فعل بدبر وملكها وكما فعل بلبنة وملكها .

فضرب يشوع كل أرض الجبل والجنوب والسهل والسفوح وكل ملوکها ، لم يبق شاردا ، بل حرّم كل نسمة كما أمر الرب إله إسرائيل » (يشوع ٤٠/٢٨) .

وقد رأينا بعد هذه السلسلة الطويلة من المجازر ، والتي تذكر بمجازر اليهود اليوم كيف نسب السفر هذه المجازر المريعة إلى أمر الرب ، فقال في آخره : « كما أمر الرب إله إسرائيل » (يشوع ٤٠/١٠) .

داود النبي

وأما داود النبي والذي يصفه القرآن بالأواب ، فتخصه التوراة بقبائح لم تذكر لغيره ، منها أنه لما أراد الزواج من ابنة شاول ملك إسرائيل الأول (طالوت) قدم إليه مهراً عجبياً فلقد « قام داود ، وذهب هو ورجاله ، وقتل من الفلسطينيين مائتي رجل ، وأتى داود بغلهم (الجلدة التي تقطع في الختان) ، فأكملوها للملك لمصاورة الملك » (صموئيل (١) ٢٧ / ١٨) ، فما ذنب أولئك المساكين الذين قتلوا الغير جريرة ولا إثم .

ويحكي سفر صموئيل عن رقص النبي داود وتكتشف عورته ، وهو فرح باسترجاع التابوت من يد الفلسطينيين ، وقد استاءت زوجه ميكال من هذا المنظر ، واحتقرته لأجله « كان داود يرقص بكل قوته أمام الرب .. أشرف ميكال بنت شاول من الكوة ، ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب ، فاحتقرته في قلبها .. وقالت : ما كان أكرم ملك إسرائيل اليوم حتى تكشف اليوم في أعين إماء عبيده ، كما يتكشف أحد السفهاء » (صموئيل (٢) ٦ - ١٤) .

ثم تحكي التوراة قصة داود مع أوريا الحثي وزوجته « وكان في وقت المساء إن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك ، فرأى من على السطح امرأة تستحم . وكانت المرأة جميلة المنظر جداً ، فأرسل داود وسأل عن المرأة ، فقال واحد : أليست هذه بشيع بنت اليعام امرأة أوريا الحثي ؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها ، فدخلت إليه ، فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ، ثم رجعت إلى بيتها .

وحبلت المرأة ، فأرسلت ، وأخبرت داود ، وقالت : إني حبلى . فأرسل داود إلى يوآب يقول : أرسل إلى أوريا الحثي ، فأرسل يوآب أوريا إلى داود . فأتى أوريا إليه .. وقال داود لأوريا : انزل إلى بيتك واغسل رجليك . فخرج أوريا من بيت الملك ، وخرجت وراءه حصة من عند الملك .

ونام أوريا على باب بيت الملك مع جميع عبيد سيده ، ولم ينزل إلى بيته . فأخبروا داود قائلين : لم ينزل أوريا إلى بيته . فقال داود لأوريا : أما جئت من السفر ! فلماذا لم تنزل إلى بيتك ؟ فقال أوريا لداود : إن التابوت وإسرائيل ويهودا ساكنون في الخيام وسيدي يوآب وعبد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتي إلى بيتي لأكل وأشرب وأضطجع مع امرأي ؟ وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر .

فقال داود لأوريا : أقم هنا اليوم أيضا ، وغدا أطلclk ، فأقام أوريا في أورشليم ذلك اليوم وغدءه . ودعاه داود فأكل أمامه ، وشرب ، وأسكره . وخرج عند المساء ليضطجع في مرضجه مع عبد سيده ، وإلى بيته لم ينزل ، وفي الصباح كتب داود مكتوبًا إلى يوآب وأرسله بيد أوريا . وكتب في المكتوب يقول : اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة ، وارجعوا من ورائه ، فيضرب ويموت » (صموئيل ٢/١١-٢/٢٦) .

وكان كما أراد ، ومات أوريا ، وضم داود تلك الزانية إلى زوجاته ، ومنها أنجب سليمان ، الذي يشرف كتاب الأنجليل ، فيجعلونه أحد أجداد المسيح .

ثم تتحكي الأسفار عن مجازر يشيب لها الولدان فعلها داود بالعموين ، فقد « أخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد وفؤوس حديد ، وأمرَّهم في أتون الأجر ، وهكذا صنع بجميع مدن عمون ، ثم رجع داود ، جميع الشعب إلى أورشليم » (صموئيل ٢/١٢-٣/٢١) . سبحانك هذا بهتان عظيم .

لكن العجب العجاب أن كل ما نسبته الأسفار زوراً إلىنبي الله داود ، لم يمنعها من وصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال ، فقد قال عنه الله : « وجدت داود بن يتسى رجلاً حسب قلبي ، الذي سيصنع كل مشيئتي » (أعمال ٢٢/١٣) ، وجعله المثل الأعلى والمقياس الأولي الذي يوزن به ملوك بني إسرائيل ، فقد ذكرت الأسفار أن الله لم يمزق مملكة سليمان إكراماً لأبيه الذي حفظ وصايا الله ، فتقول : « ولا آخذ كل المملكة

من يده ، بل أصيরه رئيساً كل أيام حياته ، لأجل داود عبدي ، الذي اخترته ، الذي حفظ وصاياتي وفرائضي » (الملوك ١١/٣٤) .

ويؤكد سفر الملوك استقامة داود على فرائض الله ، وتنعي على سليمان أنه لم يكن مثل أبيه الذي اتبع أوامر الله بال تمام ، فتقول : « عمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه » (الملوك ١١/٦) .

ولم تعتبر أسفار التوراة أياً من الرزايا المنسوبة إلى داود ذنباً فيها عدا قصته مع امرأة أوريا الحشي ، وأما مذابحة المزعومة التي صنعتها للفلسطينيين جمعاً ل Maher خطيبته ميكال أو محرقتة ونشره لعظام العموميين ، فذلك كله لا خطيئة فيه « داود عمل ما هو مستقيم في عيني الرب ، ولم يجد عن شيء مما أوصاه به كل أيام حياته ، إلا في قضية أوريا الحشي » (الملوك ١٥/٥) .

سليمان عليه السلام

وأما سليمان النبي الحكيم الذي يشهد له القرآن والتوراة بالحكمة . (انظر الأيام ٢/١٢) . فقد كان له نصيب أكبر في سلسلة المخازي التوراتية ، فقد جعلته التوراة عابداً لأصنام نسائه اللاتي بلغن ألفاً ، كما بني المعابد لعبادتها ، فغضب عليه الرب وسخط ، تقول التوراة : « كانت له سبع مائة من النساء السيدات ، وثلاث مائة من السراري ، فأمالت نساؤه قلبه ، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلة أخرى ، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء عشتورث إلهة الصيدونيين وملکوم رجس العمونيين ، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ، ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه ، حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموأبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم ، ولولك رجس بنى عمون ، وهكذا فعل بجميع نسائه الغربيات اللواتي كان يوقدن ويذبحن لآلهتهم .

فغضب رب على سليمان ، لأن قلبه مال عن رب إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى ، فلم يحفظ ما أوصى به رب ، فقال رب لسليمان : من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها ، فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك » (المملوك ١١-٣ / ١١) .

وكان الأسفار قد أثبتت على سليمان ، وذكرت بشارات الله لأبيه داود بهذا الابن الذي سيبني بيته ، ووصفه بالبر والطهارة الذي عبرت عنه الأسفار بلفظة البنوة لله ، وهو لفظ يدل على صلاح صاحبه - كما هو معهود في التوراة - ، تقول البشارة لداود : « هودا يولد لك ابن ، يكون صاحب راحة ، وأريمه من جميع أعدائه حواليه ، لأن اسمه يكون سليمان ، فأجعل سلاماً وسكوناً في إسرائيل في أيامه ، هو يعني بيته لاسمي ، وهو يكون لي ابنًا ، وأنا له أباً » (الأيام ١٠-٩ / ٢٢) ، كما ذكرت الأسفار أن الله سماه « يدیدیا » (أي حبيب رب) ، لأن « رب أحبه » (صموئيل ٢ / ١٢) ، فهل ضيق سليمان - المبشر به - أوامر رب ؟ وهل عمل الشر وبنى معابد الأوثان طمعاً في رضا نسائه أم كان - المحبوب عند الله - فصدق فيه قول الله في القرآن ، فقال : ﴿ وَهَبْنَا لِدَاؤِدَ سُلَيْمَانَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ [سورة ص : ٣٠] .

ونتساءل : لو كان هذا حال أنبياء الله ؟ فما فائدة النبوات بعد ذلك إذا كان المختارون من البشر وصفوتهم على مثل هذه الحال ؟ وأي خير يرتجى في إصلاح البشرية وتطهيرها من دنس الشرك والخطيئة بعد الذي قرأتنا ؟

ثم هل تخليل هذا الدنس يصدر عن وحي السماء ؟ لو كان ذلك الذي ذكرته التوراة من المخازي حقاً فما فائدة ذكره ؟ ما الفائدة المرجوة منه حتى يسطره الله في وحيه ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم .

ثم نتوجه بالسؤال لأولئك الذين يطلبون التهذيب والكمال الروحي من خلال

سطور الكتاب المقدس ، فنقول : لو كان هذا الكتاب إلهياً فإنه كمارأينا عجز عن تهذيب الأنبياء الذين أوحى إليهم ، فقتلوا وزنوا وسکروا وبنوا معابد للأصنام ، وهو بالتالي أعجز عن أن يهب الهدایة لغيرهم من القراء !

الأخلاق في العهد القديم

يقول بولس : « كل الكتاب هو موحى به من الله ، ونافع للتعليم والتوبیخ ، للتقویم والتأدیب الذي في البر » (تیموثاوس ٢/٣) .
فهل كان الكتاب المقدس فعلاً موبخاً للخطيئة و معلماً للبر و مقوماً للسلوك ،
وصالحاً للتأدیب ؟

تمثلء جنبات الكتاب بالنصوص المختلفة ، والذي يعنيها هنا تلك النصوص التي
مست الجانب الأخلاقي ، فقد امتلأت أسفار الكتاب المقدس بالحديث عن رذائل
مارسها بنو إسرائيل وغيرهم ، وحكت طويلاً عن سكرهم وزناهم ووثنيتهم .

ولقد يظن الظان أنها حكت ذلك في باب النهر والتأدیب والتبصر في عاقبة المجرمين .

ولكن شيئاً من ذلك لم يكن في الكتاب المقدس الذي حوى بين دفتيه عشرات
النصوص القبيحة والوقحة التي تمثل صورة لأدب الفراش والجنس المكشوف .
كما تمتليء بقصص الإثارة ، مع تركيز على عنصر الجريمة ، ثم قل أن تجد عقوبة أو
تحذيرًا على هذه الجريمة أو تلك .

ونتساءل ما الفائدة إذاً من ذكر هذا كله في كتاب يزعم النصارى واليهود أنه
موحي به من الله ؟ ما الفائدة من ذكر عشر حالات من زنا المحارم في كتاب مقدس ؟
والعجب أن كل هذه الحالات العشر تتعلق بالأنبياء وأبنائهم .

وعلاوة على ذلك عشرات من قصص الحب القدّر . ما فائدة ذلك كله ؟
ذكرت التوراة أمثلة عده في هذا الأدب المكشوف منها قصة يهودا وكتته ثامارا ،
وأيضاً القاضي شمشون والعاهرة . (انظر القضاة ١٦/٣-٤) .

وأيضاً اغتصاب أمنون بن داود لأخته ثامار بمشورة يوناداب الذي تصفه التوراة بوصف عجيب غريب، حيث وصفته أنه حكيم جداً. (انظر صموئيل (٢) / ١٣ - ٢٢)، ومثله كثير.

وتبحث في هذا كله عن عقوبة للمجرم فلا تجده، إذ لم تخبرنا التوراة أن حد الزنا المذكور في سفر اللاويين (٢٠ / ١٧) قد طبق مرة واحدة.

وكتموذج للعقوبة التوراتية المفقودة نعرض لما جاء في سفر صموئيل عن علي رئيس الكهنة وقاضي بني إسرائيل «وشاخ علي جداً، وسمع بكل ما عمله بنوه بجميع إسرائيل، وبأنهم كانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع». فقال لهم: لماذا تعملون مثل هذه الأمور؟ لأنني أسمع بأموركم الخبيثة من جميع هذا الشعب، لا يا بني لأنه ليس حسناً الخبر الذي أسمع» (صموئيل (٢) / ٢٢ - ٢٤)، فهل هذا كل ما صنعه كبير قضاة بني إسرائيل مع أولئك الذين يزنون في خيمة الاجتماع؟!

كما توجد الكثير من النصوص القبيحة، والتي تمثل نماذج من الأدب الفاجر الذي تخليه التوراة، أدب الفراش، الذي لا تجده إلا في كتب الجنس والفجور. ولسوف نعرض لشيء من هذه النماذج مع الاعتذار للقارئ الكريم عن قبيح ما يقرأه.

جاء في نشيد الإنجاد في الإصلاح الأول المنسوب لسلبيان: «ليقبلني بقبلات فمه، لأن حبك أطيب من الخمر، لرائحة أدهانك الطيبة، اسمك دهن مهراق، لذلك أحبتك العذاري».

اجذبني ورائك فنجري، أدخلني الملك إلى حجاله، نبتهج ونفرح بك، نذكر حبك أكثر من الخمر..

ما أجمل خديك بسموط، وعنقك بقلائد، نصنع لك سلاسل من ذهب مع جمان من فضة.. حبيبي لي، بين ثديي بيبيت ..» (نشيد (١) / ١٥).

وعلى هذا تستمر بقية إصلاحات السفر ، بل تسوء « في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي ، طلبيه فما وجدته .. حتى وجدت من تحبه نفسي فأمسكته ، ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمي ، وحجرة من حبت بي .. قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه .. حبيبي مددده من الكوة ، فأتت عليه أحشائي .. » (نشيد ٣/٥-١).

« ارجعني ارجعني يا شوليث^(١) ، ارجعني ارجعني ، فننظر إليك ماذا ترون في شوليث مثل رقص صفين ، ما أجمل رجليك بالنعلين يا بنت الكريم ، دوائر فخذليك مثل الخلي ، صنعة يدي صناع ، سرتك كاس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج ، بطنك صبرة حنطة مسيحة بالسوسن ، ثدياك كخشفتين توأمی ظبية ، عنقك كبرج من عاج ، عيناك كالبرك ..

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتك هذه شبيهة بالنخلة ، وثدياك بالعناقيد .. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ، ورائحة أنفك كالتفاح ، وحننك كأجود الخمر ، لحبيبي السائحة المرقرقة على شفاه النائمين ، أنا لحبيبي ، وإلي اشتياقه . تعال يا حبيبي لنخرج إلى الحقل ولنبت في القرى ، لن Beckerن إلى الكروم لننظر هل أزهر الكرم هل تفتح القعال؟ هل نور الرمان . هنالك أعطيك حبي .. ليتك كأخ لي ، الراضع ثديي أمي ، فأجدك في الخارج وأقبلك ، ولا يخزونني ، وأقودك وأدخل بك بيت أمي ، وهي تعلماني ، فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمانی ، شهاله تحت رأسي ، ويعينه تعانقني » (نشيد ٦/٧-١٣).

ويبرر القس منيس عبد النور في كتابه (شبهات وهمية) ، وجود هذه الغراميات ،

(١) شوليث كما يرى بعض الشرائح اسم يشير إلى أبيشج الشونمية زوجة الملك سليمان ، واقتصر آخرؤن أنه الصيغة المؤنثة لاسم سليمان في العبرية ، والمعنى هو « عروس الملك وشريكة حياته » انظر دائرة المعارف الكتابية ، مادة (شوليث) ، وقاموس الكتاب المقدس ، ص (٥٣٥).

فيقول : «السفر يصف المباحث الزوجية ، ولا خطأ في الجنس الذي هو في إطار الزواج »^(١) ، وكأني بالكتاب المقدس كتاب يدفع لأولئك الذين يقدمون على الخطبة ويرومون الزواج ، كما وإن القس غفل عن تلك النصوص التي تتحدث عن العلاقة الآثمة خارج إطار الزوجية .

وعلى منوال القس عبد النور ينسج القس صموئيل يوسف فيبر وجود هذه النصوص الغرامية في الكتاب بقوله : «بوجوده أعطى كمالاً للأسفار المقدسة ، لأن الله يهتم بكل جوانب الحياة الإنسانية .. عندما نقرأ سفر النشيد تتظاهر قلوبنا أكثر ، وندرك حقيقة التجربة وبشاعتها التي يسقط فيها عدد غير قليل من جراء عدم الأمانة بين المتزوجين ، فالسفر هدفه أخلاقي تعليمي »^(٢) .

يقول ول ديورانت في قصة الحضارة : «مهما يكن من أمر هذه الكتابات الغرامية فإن وجودها في العهد القديم سر خفي .. ولست أنا ندري كيف غفل أو تغافل رجال الدين عما في هذه الأغاني من عواطف شهوانية ، وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس » .

وتقول مقدمة الآباء اليسوعيين : « لا يقرأ نشيد الإنجاد إلا القليل من المؤمنين ، لأنه لا يلامهم كثيراً » .

وهذه الصورة القدرة تتكرر في أسفار عدة ، ومنها ما جاء في القصة الرمزية للعاهرتينتين اللتين أسلمها الله ليد عشاقهما فذبحوهما ، والتي ترمز لمدينتي السامرة وأورشليم ، ورمزيتها لا تبرر قذارتها : « وكان إلى كلام الرب قائلاً : يا ابن آدم كان أمراًتان ، ابنتا أم واحدة ، وزنتا بمصر ، في صباحهما زنتا ، هناك دغدغت ثديهما ، وهناك

(١) شبكات وهمية حول الكتاب المقدس ، القس منيس عبد النور ، ص (٢٠٩).

(٢) انظر المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ص (٢٤٥).

تزعزغت ترائب عذرتها . واسمها أهولة الكبيرة ، وأهولية اختها ، وكانتا لي وولدتان بنين وبنات . وأسماهما السامرة أهولة ، وأورشليم أهولية .

وزنت أهولة من تحتي ، وعشقت محبيها أشور الأبطال اللاعبين الأسمانجوني ، ولادة وشحنا ، كلهم شبان شهوة فرسان راكبون الخيل . فدفعت لهم عقرها لمحاريبني أشور كلهم ، وتنجست بكل من عشقتهم بكل أصنامهم .

ولم ترك زناها من مصر أيضا ، لأنهم ضاجعواها في صباها وزاغزوا ترائب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم . لذلك سلمتها ليد عشاقها ليدبني أشور الذين عشقتهم . هم كشفوا عورتها ..

فلما رأت اختها أهولية ذلك أفسدت في عشقها أكثر منها ، وفي زناها أكثر من زنى اختها . عشقتبني أشور الولادة والشحن الأبطال اللاعبين أفحمر لباس ، فرسانا راكبين الخيل كلهم شبان شهوة ، فرأيت أنها قد تنجست ولكلتيهما طريق واحدة .

وزادت زناها ولما نظرت إلى رجال مصوريين على الحائط صور الكلدانين .. عشقتهم عند لمح عينيها إياهم ، وأرسلت إليهم رسلا إلى أرض الكلدانين .

فأتاها بنو بابل في مضيق الحب ونجسوها بزناهم ، فتنجست بهم وجفتهم نفسها ، وكشفت زناها وكشفت عورتها ، فجفتها نفسي كما جفت نفسي اختها .

وأكثرت زناها بذكرها أيام صباها التي فيها زنت بأرض مصر ، وعشقت معشوقيهم الذين لحمهم كلحم الحمير [والمعنى : مذاكيرهم كمذاكير الحمير] ، ومن بينهم كمنيّ الخيل » (حزقيال ٤٩ - ٢٣) .

ويتكرر هذا الدنس في سفر آخر ، وهو سفر الأمثال ، حيث يقول : « في العشاء ، في مساء اليوم في حدقة الليل والظلام . وإذا بأمرأة استقبلته في زي زانية وخبيثة القلب .

صَحْابَةٌ هِيَ وَجَاهَةٌ . فِي بَيْتِهَا لَا تَسْتَقِرُ قَدْمَاهَا .. فَأَمْسَكَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ ، أَوْقَحَتْ وَجْهَهَا ، وَقَالَتْ لَهُ : خَرَجْتَ لِللقَائِكَ ، لِأَطْلَبَ وَجْهَكَ حَتَّى أَجْدَكَ . بِالدِّيَاجِ فَرَشَتْ سَرِيرِي ، بِمَوْشِي كَتَانَ مِنْ مَصْرَ ، عَطَرَتْ فَرَاشِي بِمَرْ وَعُودَ وَقَرْفَةَ . هَلَمْ نَرَتْ وَدًا إِلَى الصَّبَاحِ ، نَتَلَذَّذَ بِالْحَبِّ ، لَأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ ، ذَهَبَ فِي طَرِيقِ بَعِيدَةٍ .. أَغْوَتَهُ بِكَثْرَةِ فَنُونِهَا ، بَمْلَثَ شَفَتِيهَا طَوْحَتِهِ ، ذَهَبَ وَرَاءَهَا لِوقْتِهِ ، كَثُورٌ يَذَهَبُ إِلَى الذَّبِيعِ ، أَوْ كَالْغَبَيِّ إِلَى قِيدِ الْقَصَاصِ ، حَتَّى يَشَقْ سَهْمَ كَبِدِهِ ، كَطِيرٌ يَسْرُعُ إِلَى الْفَخِ ، وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ لِنَفْسِهِ » (الأمثال ٧/٩-٢٣).

وَقَرِيبًا مِنْ هَذَا قَوْلُ سَفَرِ الْأَمْثَالِ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهُ هَذِهِ الْمَرَةُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْزَّوْجَةِ ، فَيَقُولُ : « وَافْرَحْ بِاِمْرَأَةِ شَبَابِكَ ، الظَّبَيْةِ الْمُحْبَوَّةِ ، وَالْوَعْلَةِ الْزَّهِيَّةِ . لِيُرُوكِ ثَدِيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ ، وَبِمَحْبَبِهَا اسْكُرْ دَائِثًا » (الأمثال ٥/١٨-١٩). وَسُوْى ذَلِكَ ..

فَهَلْ هَذَا وَحْيُ اللَّهِ؟ أَمْ أَنَّهَا النُّفُوسُ الْمَرِيضَةُ الَّتِي لَا تَطِيقُ الْبَعْدَ عَنْ حَمَّةِ الْجَنْسِ وَأَحَادِيثِهِ؟

كَمَا تَحْوِيُ الْأَسْفَارُ الْمَقْدَسَةُ بَعْضَ صُورِ السَّبَابِ الْمَقْزَعِ ، كَمَا فِي قَوْلِهِ : « اللَّهُ قَدْ تَكَلَّمَ بِقَدْسِهِ .. مَوَابٌ مَرْحَضِيٌّ ، وَعَلَى أَدْوِمِ الْأَقْيِ حَذَائِي » (المزمور ٦٠/٦-٨)، فَهَلْ يَعْتَبِرُ إِلَهُ الْعَظِيمِ أَمَّةً مِنَ الْأَمْمِ الَّتِي خَلَقَهَا مَحَلًا لِقَضَاءِ حَاجَتِهِ أَوْ التَّنْظُفِ مِنْ قَدْرِهِ ، بَلْ هَلْ لَهُ حَاجَةٌ أَوْ قَدْرٌ ، وَهَلْ يَحْتَاجُ إِلَى مَرْحَاضٍ ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْاسْتِعْارَةِ .

وَمِنْ السَّبَابِ الَّذِي لَا يَلِيقُ بِاللهِ الْعَظِيمِ الْجَلِيلِ وَوَحْيِهِ مَا تَنَقَّلُهُ الْأَسْفَارُ عَنِ الْمَلَكِ شَاؤُلَّ أَنَّهُ قَالَ لِيُونَاثَانَ ابْنَهُ : « يَا ابْنَ الْمَتَعَوِّجَةِ الْمُتَمَرِّدَةِ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ قَدْ اخْتَرْتَ ابْنَ يَسَّى [داود] لِخَزِيكَ وَخَزِي عُورَةِ أُمِّكَ » (صَمْوَئِيلُ ١/٢٠).

وَمِنْ ذَلِكَ أَنَّ إِشْعَاعِيَا قَالَ لِبَنِيِ إِسْرَائِيلَ : « أَمَا أَنْتُمْ فَتَقْدِمُوْا إِلَى هَنَا يَا بَنِيِ السَّامِرَةِ ، نَسْلِ الْفَاسِقِ وَالْزَانِيَةِ .. » (إِشْعَاعِيَا ٣/٥٧).

وبعد : ما هي آثار الكتاب المقدس على قارئيه؟

إن نظرة إلى المجتمع الغربي ودراسة سريعة للأرقام الوبائية للفساد في أوروبا تثير الذعر ، وتدفع إلى التفكير والبحث عن مصدر هذا البلاء .

ونرى أن الكتاب المقدس هو أحد أسباب البلاء ، فقد قال المسيح : « من ثمارهم تعرفونهم ، هل يحيطون من الشوك عنباً ، أو من المسك تيناً ، هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماً جيدة ، وأما الشجرة الرديئة فتصنع أثماً ردية » (متى ٧/١٦-١٧) .

ولا غرابة البة أن تنتشر الخمور والزنا في أمة تؤمن أن أنبياءها كانوا زناة ، يمارسون الرذيلة حتى مع محاربهم ، كانوا يشربون الخمور ، حتى الشالة ، من غير أن يعاقبهم الله أو يخلع عنهم صفة القداسة والرسالة والاصطفاء ، بل أكرم أبناء زناهم وعهدهم ، فجعلهم أجداداً لابنه المسيح !!

لا غرابة أن تنتشر الخمور في أمة ينصح كتابها المقدس بشرب الخمر ، ويراه حلاً لمشاكل الفقراء وذهاباً لهمومهم - بدليلاً عن الإيمان والرضا بالقضاء - ، يقول سفر الأمثال : « ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظاء المسكر ، لئلا يشربوا وينسوا المفروض ويغيروا حجة كلبني المذلة ، أعطوا مسکراً هالك ، وخراماً لمري النفس ، يشرب وينسى فقره ، ولا يذكر تعبه بعد » (الأمثال ٦/٣١) .

ولا غرابة أن تنتشر الجريمة في مجتمع يؤمن بأن الله يأمر بقتل الأبرياء والنساء والأطفال والحيوانات ، ودون سبب .

وصدق برنارد شو ، وهو يقول عن الكتاب المقدس : « أخطر الكتب الموجودة على وجه الأرض ، احفظوه في خزانة مغلقة بالفتح »^(١) .

(١) انظر : هل الكتاب المقدس كلام الله ، أحمد ديدات ، ص (٥٤ ، ٧٠).

الصبغة البشرية للعهد القديم

تصطبع أسفار العهد القديم بالصبغة البشرية الضعيفة التي نجدها في سائر الأسفار ، فالأسفار المقدسة كتاب تاريخ يقع في كثير من الأخطاء التي قد لا يقع فيها صغار الكتاب ، ناهيك عن أصحاب الذوق الرفيع منهم .

قصص للمتعة لا للفائدة

وفي كثير من فقراته يفتقد الكتاب المقدس إلى المعلومة المفيدة التي تستثمر الحدث التاريخي لهدف ديني ، بل فيه ما تجده في كتب الإثارة والمتعة الرخيصة واللهم بعيد عن العبرة والفائدة .

فيما الفائدة والشمرة من قبل بعض هذه الحكايات الواردة فيه ؟ ما الفائدة من قصة زنا يهودا بكتته ثامنار بعد أن زوجها أبناءه واحداً بعد واحد ، ثم زنى بها وهو لا يعرفها ، فلما عرف بحملها أراد أن يحدها فقال : « أخرجوها فتحرق » ، فلما علم أن زناها وحملها منه ، قال : « هي أبُر مني » (انظر التكوين ٣٨-٢٦) .

أين المغزى من القصة ، امرأة مات عنها أزواجها واحداً بعد آخر ، عاقبهم رب لأنهم كانوا يعزلون عنها في الجماع ، ثم زنت بوالدهم ، ونتج عن هذا السفاح ابنان ، أحدهما فارص الذي تشرف فأضحت أحد آجداد المسيح كما في سلسلة نسب المسيح في متى (انظر متى ١/٢) .

ثم تمضي القصة بلا عقوبة ولا وعيد ، فهل كان العزل عن الزوجة في الجماع مستحقاً للموت ، بينما لا عقوبة ولا حدّ على جريمة زنا المحارم ، بل شهادة بـ تلك الزانية « هي أبُر مني » ، فـ أي بـ صنعته وهي تغوي والد أزواجها ؟ ! .

وفي قصة أخرى تخلو عن العبرة والفائدة تقول التوراة : « ونذر يفتح نذراً للرب

قائلاً : إن دفعت بنى عمون ليدي ، فالخارج الذى يخرج من أبواب بيته للقائي عند رجوعي بالسلامة من عند عمون يكون للرب وأصعده حرقة » ، فلما انتصر استقبلته ابنته مهنتة ، وكانت أول مستقبلية ، فذبحها « ففعل بها نذره الذى نذر » (القضاة ٤٠-٣٠) ، ما فائدة القصة لو كانت صحيحة ، لماذا يخلدنا الله في كتابه ووحيه ؟

ومثلها ما جاء عن قتل الله لأطفال نالوا من النبي أليشع ، وسخروا منه « ثم صعد من هناك (أي أليشع) إلى بيت إيل ، وفيها هو صاعد في الطريق ، إذا بصبيان صغار خرجوا من المدينة ، وسخروا منه ، وقالوا له : اصعد يا أقرع . اصعد يا أقرع . فالتفت إلى ورائه ، ونظر إليهم ، ولعنهم باسم الرب ، فخرجت دبتان من الوعر ، واقتستا منهم اثنين وأربعين ولدا » (الملوك ٢/٢٣-٢٤) ، فهل يعقل أن نبياً يدعوا بالهلاك على أطفال صغار عيروه ؟ وهل يستجيب الله ، فيقتل الطفل البريء الذي أساء الأدب ؟

ثم لو كان هذا صحيحاً ، فما فائدة تخليله في كتاب ينسب إلى الله ، وأي خير أو هدى تعلمه البشرية منه ، هل نقتل أطفالنا وندعوا عليهم بالثبور إذا أخطئوا في حقنا أو حق الآخرين ؟

ومن العبث - الذي تتنزه عنه أسفار الله - ذلك الحوار الذي سجلته أسفار التوراة : « عاد بنو إسرائيل أيضاً ، وبكوا ، وقالوا : من يطعمنا لحنا ، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً والقطاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم . والآن قد يبست أنفسنا ، ليس شيء غير أن أعيننا إلى هذا المَنْ ، وأما المَنْ فكان كبزر الكزبرة ، ومنظره كمنظر المقل ، كان الشعب يطوفون ليلتقطوه ، ثم يطحونه بالرحى ، أو يدقونه في الهalon ، ويطبخونه في القدور ، ويعملونه ملّات ، وكان طعمه كطعم قطائف بزيت » (العدد ٨-٥) .

لكن كاتب سفر الخروج يخالف كاتب سفر العدد في طعم هذا المَنْ ، ولعل مرد ذلك اختلاف أذواق الكتبة ، يقول كاتب سفر الخروج : « هو كبزر الكزبرة أبيض ، وطعمه كرقاق بعسل » (الخروج ١٦ / ٣١) .

ومن القصص التي لا فائدة من ذكرها قصة أكل الطفل المسلوق الذي اتفقت أمه وجارتها على أكل ابنيهما في جوع السامرة « وكان جوع شديد في السامرة .. فقالت : إن هذه المرأة قد قالت لي : هاتي ابنك ، فناكله اليوم ، ثم نأكل ابني غداً . فسلقنا ابني وأكلناه ، ثم قلت لها في اليوم الآخر : هاتي ابنك ، فناكله ، فخبأت ابنتها » (الملوك ٢ / ٢٥-٢٩) ، إذ ما الذي نستفيده من هذه القصة ؟

ويمتد عبث الأسفار إلى أسفار الحكمة والشعر ، والتي من المفترض أن نقرأ في ثناياها الحكمة ، فإذا بنا نقرأ : « لكل شيء زمان ، ولكل أمر تحت السماوات وقت ، للولادة وقت ، وللموت وقت ، للغرس وقت ، ولقلع المغروس وقت ، للبكاء وقت ، وللضحك وقت ، وللنوح وقت ، وللرقص وقت ، لتفريق الحجارة وقت ، ولجمع الحجارة وقت ، للمعانقة وقت ، وللانفصال عن المعانقة وقت ، للتمزيق وقت ، وللتخييط وقت ، للسکوت وقت ، وللتتكلم وقت ، للحب وقت ، وللبغضه وقت ، للحرب وقت ، وللصلح وقت » (الجامعة ٣ / ١-٨) .

معلومات تاريخية لا قيمة لها

وما لا طائل منه ولا فائدة ، تلك المعلومات التاريخية التي تبلغ ٩٠٪ من موضوعات الأسفار المقدسة ، والكثير منها معلومات تافهة لا تفيد حتى من الناحية التاريخية ، من ذلك ما ورد في سفر صموئيل عن الطعام الذي قدمته امرأة نابال إلى داود حتى لا يقتله وأهل بيته « فبادرت أبيجال ، وأخذت مائتي رغيف خبز وزقى خمر ، وخمسة خرفان مهيئة ، وخمس كيلات من الفريك ، ومائتي عنقود من الزبيب ، ومائتي

قرص من التين ، ووضعتها على الحمير » (صموئيل (١) ٢٥/١٨) ، فما الذي أفاد البشرية معرفة ذلك ، والكتاب ، كل الكتاب الموحى به من الله - كما قال بولس - : « نافع للبر والتوبیخ ، للتقویم والتادیب » !

وفي سفر (الأيام (١) ٢٤-٢٧) يعرض لنا قائمة طويلة لوكلاء داود وولاته ، فما علاقه ذلك بمحى الله ، وأین التهذیب والتادیب في ذلك ؟

وفي سفر الملوك الأول إصلاحان كاملان في وصف الهیكل وطوله وعرضه وسماکته وارتفاعه وعدد نوافذه وأبوابه .. وتفاصيل تزعم التوراة أنها الموصفات التي يريدها رب مسكنه الأبدی (انظر الملوك (١) ٦/١-٧).

ثم في موضع آخر تقول : « هل يسكن الله حقاً على الأرض ، هؤلا السموات وسماء السموات لا تسعك ، فكم بالأقل هذا البيت الذي بنيت » (الملوك (١) ٨/٢٧).

وفي أخبار الأيام الأول ست عشرة صفحة كلها أنساب لآدم وأحفاده وإبراهيم وذریته . (انظر الأيام (١) ١/١-٩).

ثم قائمة أخرى بأسماء العائدين من بابل حسب عائلاتهم ، وأعداد كل عائلة إضافة لأعداد حيرهم وجمالهم و .. (انظر عزرا ٢١/١-٦٧).

كما ثمة قوائم أخرى بأعداد الجيوش والبوابين من كل سبط ، وعدد كل جيش و .. (انظر الأيام (١) ٢٣/١-٢٧).

وفي سفر الخروج يأمر موسى بصناعة التابوت بمواصفات دقيقة تستمر تسعة صفحات ، فهل وهي ينزل بذلك كله وغيره مما يطول المقام بتبعه .

وأحياناً يشعر كاتب الأسفار قراءهم بأن لديهم مصدرًا موثوقاً فيها يسردونه من معلومات تاريخية ، فهم لا يلقون الكلام على عواهنه ، كما صنع كاتب سفر الملوك ،

وهو يتحدث عن قتل الملك ياهو لإيزابل وقد جاءت تطلب منه الأمان ، فما كان منه إلا أن « رفع وجهه نحو الكوّة وقال : من معنِي؟ من؟ فأشرف عليه اثنان أو ثلاثة من الخصيان » (الملوك ٩/٣٢) ، فالكاتب المجهول لسفر الملوك الذي ألمّ كتابة القصة متشكّك في عدد الخصيان الذين أجابوا الملك ، ولفرط أمانته ذكر تحيره وتشككه في عددهم ، فهم إما « اثنان أو ثلاثة » ، أراد أن يثبت للقارئ نزاهته وأمانته ودقته ، وأن يبرهن له أيضًا أنه يكتب بحسب معلوماته ومصادره ؛ لا بوعي الله الذي لا تغيب عنه غائبة .

صور الأسفار في القضايا الدينية

ويبحث الباحثون عن ذكر يوم القيمة والجنة والنار والبعث والنشور في أسفار التوراة الخمسة فلا يجدون نصًا صريحًا واحدًا ، وأقرب نص في الدلالة على يوم القيمة ما جاء في سفر التثنية « أليس ذلك مكتنوزًا عندي مختومًا عليه في خزانتي ، لي النقطة والجزاء في وقت تزل أقدامهم » (التثنية ٣٤-٣٥/٣٢) ، وهو - كما ترى - محتمل الدلالة ، غير مصرح بها ، ولو أمعنت فيها قبله وبعده لرأيت أنه يتحدث عن يوم أرضي يعقبهم الله فيه .

كما لا تجد في التوراة - على ما فيها من إطناب في أمور لا أهمية لها - وصفًا لكيفية الصلاة يأمر به رب ، كما لا يرد فيها اسمه الأعظم إلا نادرًا ، « فيعرفون أن اسمي : يهوه » (إرميا ١٦/٢١) ، فالكتاب يذكر الله باسم : السيد ، الرب ، الإله . ويغفل اسمه الأعظم !

والعجب أن التوراة تزعم أن هذا الاسم لم يعرفه أنبياء الله من قبل موسى « وأنا ظهرت لإبراهيم وإسحق ويعقوب بأنني الإله القادر على كل شيء ، وأما باسمي يهوه فلم أُعرف عندهم » (خروج ٦/٣) ^(١) .

(١) وهذا غير صحيح ، فقد عرف إبراهيم هذا الاسم من أسماء الله ، فسمى المكان الذي أراد أن يقدم فيه ابنه =

التكرار المموج

وتقع الأسفار في التكرار الحرفي لبعض الأحداث ، فهل نسي الله أو الروح القدس أنه أملأه من قبل ، أو أن النسيان قد وقع من الكتبة الذين ينسون ويغفلون وينخطئون ؟

وكنموذج للتكرار المموج الذي لا طائل من ورائه نقرأ ما ورد في الإصلاحات ٢٥-٣٠ من الخروج وصف دقيق لخيمة الاجتماع كما أمر الرب أن تكون .

ثم تكرر الوصف بتهمة لما استدعي موسى بصليل وأهوليب للشرع في البناء والتنفيذ ، واستغرقت الإعادة الإصلاحات (٤٠-٣٦) . وكان يعني عن ذلك كله لو قال : (وبصليل بن أروى صنع كل ما أمر به الرب موسى ومعه أهوليب بن أخيساماك) .

كما يقع كتاب العهد القديم أو كتابه فيما نسميه سرقة أدبية كما في ذكر نص ثم إعادة في موضع آخر ، ومن أمثلته : تطابق (الملوك ٢/١٩-١٢) مع (إشعيا ٣٧/١-١٢) كلمة بكلمة ، بل حرفاً بحرف .

ويعلل كبير قساوسة السويد شوبرج هذا التمايل ، فيقول : « هذه هي عظمة الكتاب ! » .

وأحيانا يكرر كاتب السفر بصورة متطابقة عدة سطور سبق له أن كتبها من غير أن يفهم سبب حصول ذلك ، ومنه ما صنعه كاتب سفر الأيام وهو يتحدث عن أسلاف وابناء الملك شاول (انظر الأيام ١/٨-٢٩-٣٦) ، وتطابق مع الأيام (١) ٩-٣٥-٤٣ .

« يهوه يرآه » (التكوين ٢٢/١٤) ، ومعناها : (الرب يرى) .

وتكرر هذا النقل في إصلاحات أخرى مع تغيير بسيط لا يذكر في بعض الكلمات (انظر صموئيل ٢٢) ، والمزمور ٢١ ، وانظر (الأيام ١٧) ، وصموئيل (٢) ٧ ، وانظر (الأيام ١٨) ، وصموئيل (٢) ٨ ، وانظر (الأيام ١٩) ، وصموئيل (٢) ١٠) ، وانظر (الملوك ١) ٨ ، والأيام (٢) ٦ ، وغير ذلك من الشواهد .

وفي المقابل فإن قارئ الأسفار يروق لتلك الإحالات التي نجدها خلال الأسفار إلى مواضع أخرى من الكتاب ، ويعجب لتلك التي تحيل فيها كلمة الله إلى مواضع خارج كلمة الله ، أي أنها من كلام البشر ، وقد أراد من خلالها المؤلف أن لا يعيد سرد معلومات سبق له أن قرأها في سفر آخر من أسفار الكتاب أو بعض الكتابات التاريخية أو بالأصح الضائعة من الأسفار المقدسة .

ولكن العجب في هذه الإحالات حين تكون متقابلة ، أي حين يحيل كل من السفرين إلى الآخر بالتبادل ، ويتساءل المرء من غير أن يجد جواباً : أي السفرين كتب أولاً ، ومن الذي كتبهما ، ولا أجد من جواب إلا أن أحيل إلى جهل البشر وتلاعيبهم بالنصوص .

ومن أمثلة ذلك تلك الإحالات المتكررة ، والتي تبادلها كاتبا سفري الملوك والأخبار (الأيام) في عدد من المواضع ، منها إحالة سفر الملوك إلى سفر الأيام « وبقية أمور أوصيا ، أما هي مكتوبة في سفر أخبار الأيام للملك يهودا» (الملوك ٢) ١٤ / ١٨ ، مما يدل على أن سفر الأيام قد كتب قبل .

لكن كاتب سفر الأيام ، وبتواضع جم يحيل قارئه إلى سفر الملوك « وبقية أمور أوصيا الأولى والأخيرة ، أما هي مكتوبة في سفر ملوك يهودا وإسرائيل » (الأيام ٢) ٢٥ / ٢٦ ، فأي السفرين كتب أولاً ؟

وقد تكرر هذا التداول بينهما مراراً ، فكلا من الكاتبين يصر على أن الآخر قد كتب أولاً ، وأنه ترك بعض التفصيات التيقرأها عند الآخر [انظر حديث السفرين عن الملك يواثام (الملوك ٢) ٣٦ / ١٥) و (الأيام ٢) ٢٧ / ٧) ، وتأمل ثانية في إحالتهما المتبادلة عن أخبار الملك يهوذا (الأيام ٢) ٨ / ٣٦) و (الملوك ٢) ٥ / ٢٤)] .

مبالغات وأخبار خرافية

كما تحوي أسفار العهد القديم أخباراً هي للخرافة أقرب منها للأخبار المعقولة ، ومن ذلك قصص شمشون الجبار وخصالات شعره التي كانت سبباً في أتعابيه وقوته وانتصاراته ، ومن أتعابيه أنه بينما هو يمشي « إذ بشبل أسد يزجر للقائه ، فحل عليه روح الرب ، فشقه كشق الجدي ، وليس في يده شيء » (القضاة ٦-٥ / ١٤) ، وهذا الذي حل عليه روح الرب يذكر سفر القضاة بعدها بصفحتين قصة زناه مع العاهرة الغزية . (انظر القضاة ١٦ / ١) ، فبطولته لا تعرف الحدود !

وأيضاً لما ربطه قومه وسلموه للفلسطينيين موثقاً « فحل الوثاق عن يديه ، ووجد لحي حمار طریاً ، فمد يده ، وأخذه ، وضرب به ألف رجل . فقال شمشون : بل حی حمار کومنةً کومنین [هكذا] ، بل حی حمار قتلت ألف رجل » (القضاة ١٥ / ١٤-١٦) .

ولا يفوتنا التنبيه إلى الملاحظة المهمة التي أراد كاتب السفر شدّ مسامعنا إليها ، وهي أن لحي الحمار الذي قتل به شمشون هؤلاء كان طریاً ، فكيف يكون الحال لو كان قاسیاً ، إنها طريقة العجائز في حكاية القصص الأسطورية ، ومثل هذه الزيادة هي نوع من عناصر التشويق والإثارة تستخدما الجذة ، وهي تقصد على أحفادها قصة ما قبل النوم .

ومن غرائب شمشون وعجائب ما صنعه بحقول الفلسطينيين ، حيث أحضر ثلاثة مائة من أبناء آوى ، وربط ذيول بعضها بعض ، ثم أشعل فيها النار ، وأطلقها في حقول الفلسطينيين ، فأحرقوها انتقاماً من زوجته الفلسطينية التي هجرته ، فكيف جمع

هذه الشعالب ! وكيف ربطها جميعاً قصة جُدُّ غريبة . (انظر القضاة ١٥ / ٦-٤) .

وليس أغرب منها ما صنعه بباب مدينة غزة ، حيث « قيل للغزّيين : قد أتى شمشون إلى هنا ، فأحاطوا به ، وكمروا له الليل كله عند باب المدينة ، فهدّوا الليل كله قائلين : عند ضوء الصباح نقتله ، فاضطجع شمشون إلى نصف الليل ، ثم قام في نصف الليل ، وأخذ مصراعي باب المدينة والقائمتين ، وقلعهما مع العارضة ، ووضعها على كتفيه ، وصعد بها إلى رأس الجبل الذي مقابل حبرون » (القضاة ١٦ / ٤-٢) ، إلى غير ذلك من أخبار شمشون الجبار وشعره العجيب . (انظر القضاة ١٤-١٦) .

وكما يبالغ البشر في عرض بطولاتهم ؛ فإن التوراة تصنعه وهي تتحدث عن بني إسرائيل وأعدادهم وبطولاتهم ، ومن ذلك قصة البطل أبيشاي ، فقد « هزَّ رمحه على ثلاث مائة قتلهم » (صموئيل ٢ / ٢٣) .

ومثله البطل يشعاع ، فقد قتل ثلاثة دفعه واحدة ، وبهزة رمح واحدة « يشعاع بن حكموني رئيس الثالث ، هو هزَّ رمحه على ثلاث مائة ، قتلهم دفعه واحدة » (الأيام ١١ / ١١) .

وفي سفر صموئيل يسمى البطل يشعاع بيوشيا ، ويزيد عدد القتلى - بهزة رمحه - خمسة مقاتل ، فقد « هزَّ رمحه على ثلاثة ، قتلهم دفعه واحدة » (صموئيل ٢ / ٢٣) ، فكم كان طول هذا الرمح ؟ وكيف تم هذا ؟ ! !

وأما شمجر بن عناة فقد قتل من الفلسطينيين ستة مائة رجل من غير سلاح ، لقد قتلهم بمنسas البقر « وكان بعده شمجر بن عناة ، فضرب من الفلسطينيين ست مائة رجل بمنسas البقر » (القضاة ٣ / ٣١) . كيف يحصل هذا ؟ كيف لم يهربوا ؟ هل انتظر كل منهم دوره ؟ ! !

ومثله المبالغة في عرض كل ما يتعلق ببني إسرائيل « كان طعام سليمان لليوم الواحد

ثلاثين كرّ سميد ، وستين كرّ دقيق ، وعشر ثيران مسمنة ، وعشرين ثوراً من المراعي ، ومائة خروف عدا الأيتائل واليحاوير والأوز المسمن » (الملوك ٤/٢٢-٢٣) .

ومن المبالغة المضحكة أن الأرض انشقت لقوة صوت غناء بني إسرائيل وفرحهم « وصعد جميع الشعب وراءه ، وكان الشعب يضربون بالناري ، ويفرحون فرحاً عظيماً ، حتى انشقت الأرض من أصواتهم » (الملوك ١/٤٠) ، نحوه كثير ..

ولا تنقضي عجائب بني إسرائيل ولا فرائدتهم ، والتي من بينها أبسالوم بن داود ، والذي كان في غاية الحسن ، وأما شعر رأسه فكان « كان يحلقه في آخر كل سنة ، لأنه كان يثقل عليه ، فيحلقه ، كان يزن شعر رأسه مئتي شاقل بوزن الملك » (صوموئيل ٢/١٤) ، وهو ما يعادل كيلوين وربع ! فهل يعقل مثل هذا ؟ ! أين رأت الدنيا أو سمعت بمثله ؟

لكن هذا كله لن يمنعنا من الإقرار أن كاتب أسفار التوراة يمتاز - كثثير من المؤلفين - باللباقة والاحترام ، فيعتذر لقارئه عن تقصيره في الكتابة ، وذلك في آخر كتابه ، فيقول في خاتمة سفر المكابيين الثاني (آخر أسفار التوراة الكاثوليكية) : « إن كنت قد أحستن التأليف ، وأصبت الغرض ، فذلك ما كنت أتمنى ، وإن كان قد لحقني الوهن والتقصير فإني قد بذلت وسعي ، ثم كما أن شرب الخمر وحدها أو شرب الماء وحدها مصر^(١) ، وإنما تطيب الخمر ممزوجة بالماء وتعقب لذة وطرباً ، كذلك تنميق الكلام على هذا الأسلوب يطرب مسامع مطالعي التأليف » (المكابيون ٢/٣٩-٤٠) .

ولعل مراده الاعتذار عن بعض ما تقدم ذكره ، وعن بعض العبارات الركيكة التي صدرت عن مجموعة مؤلفي هذا الكتاب والتي حار المحققون في فهم المراد منها ،

(١) لا نستطيع موافقة الكاتب في زعمه بأن شرب الماء وحدها مصر ، فمثل هذه المعلومة لا يوافقه عليها مرجع طبي واحد ، وليس فيه أي ضرر ، ويإمكان القارئ الكريم أن يتتأكد من ذلك بنفسه .

ومن ذلك قولهم على لسان دانيال النبي : « كنت نائحاً ثلاثة أسابيع أيام ! » (دانيال ٢ / ١٠) ، فكلمة (أيام) لا معنى لها .

وقد تكرر ذكر هذه الكلمة بلافائدة ولا معنى في سفر الملوك ، وفيه : « شلوم بن يابيش ملك في السنة التاسعة والثلاثين لعزيا ملك يهودا ، وملك شهر أيام في السامرة » (الملوك ٢ / ١٥) .

ومثله في الركاكة ما نسبوه إلى النبي حزقيال « فذهبت مرأة في حرارة روحية » (حزقيال ٣ / ١٤) .

ومثله ما جاء في سفر إشعيا النبي ، وجزم المفسر آدم كلارك أن به سقطاً وتحريفاً ، « الذين يذكرونك في طرقك ، ها أنت سخطت إذ أخطأنا ، هي إلى الأبد فنخلص » (إشعيا ٦٤ / ٥) ، وغيرها من مبهمات الكتاب .

التحريف في العهد القديم

تحدث القرآن الكريم عن تحريف التوراة في آيات كريمة منها قول الله تعالى :

﴿ يَأْهَلَ الْكِتَبَ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧١] ، ويقول : ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حُرْفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦] ،

﴿ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَمَ اللَّهِ ثُمَّ سُخْرِفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٧٥] .

وعن تحريفهم بالنقض يقول : ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبَدِّلُونَهَا وَتُخْفِفُونَ كَثِيرًا ﴾ [الأنعام: ٩١] ، ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَبِ وَيَشْرُوتُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا آذَارٌ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيُهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٤] ، ويقول : ﴿ يَأْهَلَ الْكِتَبَ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفِفُونَ مِنَ الْكِتَبِ ﴾ [المائدة: ١٥] .

وعن تحريفهم بالزيادة والكذب على الله يقول : ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْرُوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبُتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩] ، وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُوذُ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْكِتَبِ لِتَخَسِّبُوهُ مِنَ الْكِتَبِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨] .

فالتحريف إذاً يكون بالنقض والزيادة ، وكل ذلك وقع في التوراة كما سرني .

وقبل أن نلجم لعرض بعض صور التحريف يستوقفنا سؤال يطرحه النصارى

دائماً : هل من الممكن أن يحرّف أحد كلام الله ؟ وكيف أذن الله بهذا التحرير ؟

ونقول : الكتاب المقدس يتحدث عن إمكانية تحريفه ، ويذكر لنا - كما سيمر معنا شهادة الأنبياء على تحريفه - ، فلو كان الكتاب غير ممكن التحريف لما كان أي معنى أو فائدة لآخر فقرة وردت فيه « لأنني أشهد لكل من يسمع أقوال نبوة هذا الكتاب ، إن كان أحد يزيد على هذا يزيد الله عليه الضربات المكتوبة في هذا الكتاب ، وإن كان أحد يحذف من أقوال كتاب هذه النبوة يحذف الله نصيبيه من سفر الحياة ومن المدينة المقدسة » (رؤيا ٢٢/١٨-١٩) ، فهذه الفقرة تحذر من تحريف الكتاب ، وتتوعد فاعله ، فدل ذلك على أنه ممكن الحدوث .

ويتبنا النبي عاموس بفقد كلمة الرب ، فيقول : « هؤلا أيام تأتي ، يقول السيد الرب : أرسل جوعاً في الأرض ، لا جوعاً للخبز ، ولا عطشاً للماء ، بل لاستماع كلمات الرب ، فيجولون من بحر إلى بحر ، ومن الشمال إلى المشرق ، يتظرون ليطلبوا كلمة الرب ، فلا يجدونها » (عاموس ٨/١١-١٢) ، فالنص - كما ترى - نبوة عن فقد الكتاب ، وذاك وعيده لمن يحرف الكتاب بزيادة أسفار الأبوكريفا السبعة في الكتاب أو حذفها وإسقاطها منه ، أو غير ذلك من صور التحرير .

وأما قول قائلهم : كيف يسمح الله بحدوث ذلك ؟ فإن القائل نسي سنة الله في الكافرين والمارقين ، وقد أذن لهم - وفق مشيئته وقدره - بسببه والكفر به وعصيان أوامره ، ومثله تحريف كتابه الذي أمربني إسرائيل بحفظه ، فأضاعوه وحرفوه ، كما صنعوا بكل شرائعه ، وكما ولغو في دماء أنبيائه وفق قدر الله ومشيئته .

تحريف النقص

ومن صور التحريف بالنقص تلك الإحالات الإنجيلية إلى التوراة والتي لا نجدها في الأسفار الموجودة بين أيدينا ، ومن ذلك ما جاء في متى « ثم أتى وسكن في

بلد تسمى ناصرة ، ليكمل قول الأنبياء : أنه سيدعى ناصرياً » (متى ٢/٢٣) .
ولا يوجد ذلك في شيء من التوراة . قال مفرد الكاثوليكي في كتابه (سؤالات
السؤال) : « الكتب التي كان فيها هذا انمحط ، لأن كتب الأنبياء الموجودة الآن لا
يوجد في واحد منها أن عيسى يدعى ناصرياً » ^(١) .

ومن صور النقص ما شهد المسيح بضياعه حين قال : « أو ما قرأتם في التوراة أن
الكهنة في السبت في الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء » (متى ٥/١٢) ، ولا يوجد
مثله في كلام التوراة ، فدل ذلك على ضياعه وفقده .

ونحوه في قوله : « من آمن بي - كما قال الكتاب - تجري من بطنه أنهار ماء حيّ »
(يوحنا ٧/٣٧) ، وهذه الإحالة مفقودة من الكتاب .

وما نفقده في سفر المرائي أخبار رثاء الملك يوشيا ، فقد ذكر كاتب سفر الأيام
الثاني أنه موجود فيه فقال : « ورثى إرميا يوشيا ، وكان جميع المغنيين والمغنيات يندبون
يوشيا في مراثيهم إلى اليوم ، وجعلوها فريضة على إسرائيل ،وها هي مكتوبة في المرائي »
(الأيام ٢٥/٣٥) .

وهذا الموضوع لم يتطرق إليه سفر المرائي أبداً بشهادة الآباء اليسوعيين الذين كتبوا
في حاشيته : « سفر المرائي المنسوب إلى هذا النبي (إرميا) لا يحتوي على شيء يتعلّق على
وجه خاص بهذا الملك ، إن هذا النص الذي يستند محرر الأخبار إليه مفقود » ^(٢) .

ومن صور النقص ما جاء في سفر التثنية « فإن كان المذنب مستوجب الضرب
بطرحه القاضي ويجلدونه أمامه ، على قدر ذنبه ، بالعددأربعين يجلده ، لا يزد لثلا إذا زاد

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندى (٢/٥٣٨ - ٥٣٩).

(٢) وانظر المدخل إلى العهد القديم ، د. صموئيل يوسف ، ص (٣٠٣).

في جلده على هذه ضربات كثيرة يختقر أخوك في عينيك ، (بياض) ، لا تَكُنَّ الثور في دراسه^(١) ، (ثم يتنقل النص إلى موضوع آخر) إذا سكن إخوة معاً ومات واحد منهم ..» (الشنية ٢٥/٥) ، فثمة نقص واضح في المعنى استعراض ناسخو الكتاب عنه بترك بياض ، للدلالة على وجود سقط في النص ، ولا علاقة بين مثل كم الثور وما قبله من حديث عن العدل في عقوبة المذنب .

ومن السقط أيضاً خاتمة الإصلاح الثاني من سفر الخروج ، الذي ينتهي بصورة فجائحة ، عند قوله : « ونظر الله بنى إسرائيل ، وعلم الله » (الخروج ٢٥/٢) ، وقد أشار محققون نسخة الرهبانية اليسوعية إلى أن الإصلاح مبتور .

ومن النقص ما تضع بعض الترجم والنسخ نجوماً بدلاً منه ، منها النسخة العربية لدار الكتاب المقدس التي اعتمدناها في هذه السلسلة .

ففي سفر صموئيل نقص بيان جزء بنى إسرائيل إن استقاموا على عبادة الله ، ففيه أن صموئيل قال : « إن اتقitem ربكم وعبدتوه وسمعتم صوته ، ولم تعصوا قول ربكم ، وكتتم أنتم والملك أيضاً الذي يملك عليكم وراء الرب إلهكم ***** [هكذا في المطبوع] ، وإن لم تسمعوا صوت الرب بل عصيتم قول الرب تكون يد الرب عليكم » (صموئيل ١٢/١٤-١٥) .

وتتكرر النجوم مرة أخرى في سفر صموئيل الثاني مشيرة إلى وجود سقط في تمام حديث داود عن العرج والعمي ، فيقول السفر : « قال داود في ذلك اليوم : إن الذي

(١) مثل يُضرب في الدعوة إلى عدم حرمان المرء من ثمرة عمله كما يحرم الثور من الأكل بتكميم فمه حين الدراسي ، قال شراح التفسير التطبيقي : « إن هذه الآية معنى أوسع ، وهو ألا تكون بخيلاً مع من يعملون لأجلك » (انظر ص : ٤٠٠) .

يضرب البيوسين ويبلغ إلى القناة والعرج والعمي المبغضين من نفس داود **** [هكذا في المطبوع] لذلك يقولون : لا يدخل البيت أعمى أو أعرج » (صموئيل ٢ / ٨) .

ونحوه سقط بعض النص في سفر حزقيال في وصف الزانية وبيان حاها ، واستعيض عنه بالنجوم « فقلت عن البالية في الزنا : الآن يزنون زنى معها ، وهي *** [هكذا في المطبوع] ، فدخلوا عليها كما يدخل على امرأة زانية » (حزقيال ٢٣ / ٤٣) .

ومثله وقع النقص في رسالة ملك أرام إلى ملك إسرائيل « فأتي بالكتاب إلى ملك إسرائيل يقول فيه **** ، فالآن عند وصول هذا الكتاب إليك ، هؤلا قد أرسلت إليك نعمان عبدي ، فاشفه من برصه » (الملوك ٢ / ٦) .

كما وقع النص في رسالة أخرى ، وهي رسالة ياهو ، حيث جاء في سفر الملوك « فكتب ياهو رسائل وأرسلها إلى السامرة ، إلى رؤساء يزرعيل الشيوخ وإلى مربي آخاب قائلًا : **** ، فالآن عند وصول هذه الرسالة إليكم » (الملوك ٢ / ١٠) .

وفي سفر الأيام الأول يفجئنا نقص آخر عوضه كتبة الكتاب المقدس بنجوم أثبتوا من خلالها ضياع بعض كلمات الناموس ، إذ يقول : « وبنو عزرة يث ومارد وعافر وبالون **** ، وحبلت بمريم وشماي ويسبح أبي اشتمنع » (الأيام ١ / ٤) ، فيما ترى كم سقط من أبناء عزرة ، ومن هم الذين تحدث عنهم النص قبل أن يعود لتلك التي سقط اسمها ، والتي حبلت بمريم ؟

وقد تنبه الآباء اليسوعيون ومحرو الترجمة العربية المشتركة للنقص ، فأكملوه من عندياتهم ، وأراحوا القراء من عناء الإجابة عن سؤالنا ، فالنص عندهم : « وبنو عزرة : ياتر ومارد وعافر وبالون ، وانخذ مارد بتية ، فحبلت بمريم وشماي ويسباح » ، إنهم يكملون عن الروح القدس والأنبياء ما فاتهم أن يسجلوه ، أو بالأحرى يستكملون ما ضاع من أسفارهم !

كما وقع النقص في خاتمة الإصلاح السادس من سفر زكريا ، ولم يجد طابعو الكتاب المقدس ما يكملون به الجملة إلا أربعة من النجوم ختموا بها هذا الإصلاح « والبعيدين يأتون ويبنون في هيكل الرب ، فتعلمون أن رب الجنود أرسلني إليكم ، ويكون إذا سمعتم سمعاً صوت الرب إلهكم *** » (زكريا ٦/١٥) .

وفي أحيان أخرى وضع طابعو الكتاب المقدس (--) للدلالة على وجود سقط في النص ، ومن صوره « هذه أيضاً للحكماء -- محابة الوجوه في الحكم ليست صالحة » (الأمثال ٢٤/٢٣) ، ونحوه في سفر إرميا « في الأنبياء -- انسحاق قلبي في وسطي ، ارتحت كل عظامي » (إرميا ٢٣/٩) ، ومثله في نشيد الإنجاد « وحنكك كأجود الخمر -- لحبسي السائفة المقرفة السائحة على شفاه النائمين » (نشيد ٧/٩) .

ومن النقص في الأسفار ضياع اسم الكاهن الذي كان لعشيرة منيامين ، فقد سها عنه كاتب سفر نحريا حين قال : « ولأبيا زكري ، ولبنيامين ، لموعديا فلطاي » (نحريا ١٢/١٧) ، وعلقت الترجمة العربية المشتركة بقولها : « لا يورد النص العربي اسم الكاهن في عشيرة منيامين » ، وأما الآباء اليسوعيون ، فوضعوا نقطاً بدلاً عن الاسم المفقود .

وينسب سفر طوبيا (من أسفار الأبوكرifica) إلى توراة موسى ما ليس فيها ، فقد أمر ملاك الرب طوبيا بخطبة سارة بنت رعوئيل ، وقال له مطمئناً : « فأنا أعلم أن رعوئيل لا يقدر أن يزوجها لأحد سواك حسب شريعة موسى ، لأنه يعاقب بالموت ، لأنك أحق الناس بها » (طوبيا ٦/١٣) ، وهذا الحكم غير موجود في شريعة موسى ، لذا علق محققون الترجمة العربية المشتركة على هذا النص بقولهم : « لا نجد في شريعة موسى عقاب الموت في هذه الحالة » .

إن هذه المواقع الضائعة من أسفار العهد القديم لم تنجح في استدراكتها آلاف

المخطوطات التي يتباها بكتورتها النصارى ، فهي على كثرتها لم تكن كافية في إبلاغنا النصوص التوراتية بتمامها ، ولرؤية المزيد مما استعراض عنه طابعو الكتاب المقدس بالنجوم تارة وبترك بياض تارة أخرى ندعوا للتأمل في (الأيام ٢٣/٣٦) ، و (عزرا ٣/١١) ، و (عزرا ٦/٦-٥) ، (المزمور ١٣٧/٥) وغيرها من المواطن .

ومن صور التحريف بالنقص تلك الأسفار الضائعة

ويمتد السقط والضياع في الأسفار التوراتية ليشمل أسفاراً توراتية ضاعت واندرس خبرها ، وشهد لضياعها أسفار العهد القديم الموجودة في الكتاب المقدس . منها : سفر حروب الرب المذكور في سفر العدد ، حيث يقول : « لذلك يقال في كتاب حروب الرب واهب في سوفة وأودية أرنون » (العدد ٢١/١٤) .

وكذا فقد سفر يasher ، فقد قال يشوع النبي : « أليس هذا مكتوبًا في سفر يasher : فوقفت الشمس في كبد السماء ولم تعجل للغروب نحو يوم كامل » (يشوع ١٠/١٣) ، وفي موضع آخر : « أن يتعلم بنو يهودا نشيد القوس ، هوذا ذلك مكتوب في سفر يasher » (صموئيل ٢/١٨) .

وكذا يرثي المحققون ويأملون لضياع سفر أخبار صموئيل الرائي ، وسفر أخبار ناثان النبي ، وأخبار جاد الرائي الذين ذكروا في سفر الأيام ، حيث يقول : « وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في أخبار صموئيل الرائي وأخبار ناثان النبي وأخبار جاد الرائي » (الأيام ٢٩/٢٩) .

ومن الأسفار الضائعة سفر أخبار شمعيا النبي ، وسفر عدو الرائي المذكوران في سفر الأيام « أمور رجيع الأولي والأخيرة ، أما هي مكتوبة في أخبار شمعيا النبي وعدو الرائي » (الأيام ٢/١٥) .

ومن الصائغ أيضًا سفر أخبار النبي أخيا الشيلوني « هي مكتوبة في أخبار ناثان النبي وفي نبأ أخيا الشيلوني وفي رؤى يغدو الرائي » (الأيام ٢٩/٩).

ومنها أيضًا سفر ينسب للنبي إشعيا ذكره كاتب سفر الأيام حين قال : « وبقية أمور عزيا الأولى والأخيرة كتبها إشعيا بن آموس النبي » (الأيام ٢٦/٢٢)، ومن المعلوم أن سفر إشعيا الحالي لم يتحدث مطلقاً عن الملك عزيا ، فإما أنه سقط منه ، أو أن الإحالة إلى سفر آخر كتبه النبي إشعيا ، وضاع فيها ضاء من أسفار التوراة .

يقول آدم كلارك : « حصل لقلوب العلماء قلق عظيم لأجل فقدان تاريخ المخلوقات فقداناً أبدانياً » .

ومقصوده ما جاء في سفر الملوك عن سليمان : « وتكلم بثلاثة آلاف مثل ، وكانت نشائده ألفاً وخمسمائة ، وتكلم عن الأشجار من الأرز الذي في لبنان إلى الزوفا النابت في الحائط ، وتكلم عن البهائم وعن الطير وعن الدبب وعن السمك » (الملوك ١/٤ - ٣٢ - ٣٣) ، فـأين هذا السفر ؟

يقول طامس أنكلس الكاثوليكي : « اتفاق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست بأقل من عشرين » ^(١) .

ومن الأسفار التي نفتقد لها في العهد القديم سفر أخنونخ الذي استشهد به يهودا في رسالته ، وكان سبباً في تأخر الاعتراف برسالته ^(٢) ، قال : « وتنبأ عن هؤلاء أيضًا أخنونخ السابع من آدم قائلًا : هوذا قد جاء الرب في ربوات قدسييه ، ليصنع دينونة على الجميع ويُعاقب جميع فجارهم على جميع أعمال فجورهم التي فجروها بها ، وعلى جميع

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندى (٢/٥٨٣ ، ٥٨٧).

(٢) انظر : علم اللاهوت النظامي ، واين جرودم (١/٤٨).

الكلمات الصعبة التي تكلم بها عليه خطأ فجأة (يهودا ١٤/١) .

وهذا السفر موجود بالفعل ، واقتباس يهودا منه موجود في (أختنخ ٩/١) كما نقل محررو قاموس الكتاب المقدس ، لكن آباء الكنائس النصرانية اعتبروه سفراً مزيفاً غير قانوني ، ولم يشفع له استشهاد يهودا والآباء الأوائل للكنيسة به ، يقول محررو قاموس الكتاب المقدس عن هذا السفر : « سفر من الأسفار غير القانونية .. والكتاب مليء بأخبار الرؤى عن المسيح المنتظر والدينونة الأخيرة وملكوت المجد .. وقد اقتبس بعض الآباء الأوائل في العصور المسيحية الأولى بعض أقوال هذا السفر .. ولكن قادة المسيحيين فيها بعد أنكروا هذا الكتاب ورفضوه .. »^(١) .

التحريف بالزيادة

ومن التحريف الذي تعرضت له الأسفار المقدسة عند اليهود والنصارى تحريف الزيادة ، وهو باب كبير يشمل تلك الموضع المشينة التي أضيفت في الأسفار ، ونسبت إلى الأنبياء ، وكما يشمل ما تضمنته الأسفار من معلومات تاريخية وسميات ظهرت بعدهم ، كما سبق بيانه ، ومنه تلك الأخبار الملفقة والمكذوبة عن الله ورسله مما ذكرناه قبل .

ومن صور تحريف الزيادة ذكر كاتب سفر التكوين اسم إسحاق في سياق قصة الذبيح ، بدلاً من إسماعيل ، فقد أمر الله إبراهيم بذبح ابنه الوحيد « خذ ابنك وحيدك الذي تحبه إسحاق » (التكوين ٢/٢٢) .

وكانت التوراة قد صرحت بأن إسماعيل أكبر أبناء إبراهيم ، وأنه ولد قبل إسحاق بأربع عشرة سنة « كان أبرام ابن ستّ وثمانين سنة لما ولدت هاجر إسماعيل

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٣٢).

لأبرام» (التكوين ١٦/١٦) ، فيما ولد إسحاق بعده بأربعة عشر عاماً «وكان إبراهيم ابن مائة سنة حين ولد له إسحاق ابنه» (التكوين ٥/٢١).

لكن النصارى يزعمون أن إسماعيل لا يصلح أن يحسب ابنًا لإبراهيم ، لأنه ابن جارية ، ويتناسون أنه ابن شرعي حقيقي ، كما في التوراة نفسها «فأخذت ساراي امرأة أبرام هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لإقامة أبرام في أرض كنعان ، وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فجابت ..» (التكوين ٤-٣١/١٦).

وفي موضع آخر من السفر يقول : «ولدت هاجر لأبرام ابنًا . ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر : إسماعيل» (التكوين ١٥-١٦/١٦).

وعندما غارت سارة من هاجر «قالت لإبراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها ، لأنَّ ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق . فقبح الكلام جدًا في عيني إبراهيم لسبب ابنه (أي إسماعيل) . فقال الله لإبراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك» (التكوين ٢١/١٠-١٢).

ويثبت له الكتاب البنوة مرة أخرى ، فيقول : «ودفته إسحاق وإسماعيل ابناه في مغارة المكفيلة» (التكوين ٢٥/٧).

والعجب أن التوراة لم تقل أبداً أن إسماعيل ابن غير شرعي لإبراهيم ، فهذه سارة امرأة إبراهيم أيقنت أنها لن تنجب لإبراهيم نسلاً ، فأثرت أن تزوجه بهاجر : «ادخل على جاريتي لعلَّ أرزق منها بنين ، فسمع أبرام لقول ساراي » (التكوين ٤-١/١٦) ، «فولدت هاجر لأبرام ابنًا . ودعا أبرام اسم ابنه الذي ولدته هاجر إسماعيل» (التكوين ١٥-١٦/١٦).

ثم كيف يدعى المؤمنون بالكتاب المقدس أن الله أمر إبراهيم بذبح إسحاق ، وقد وعده الله أن يريه ذرية ونسلاً من إسحاق ، وهو لم يولد بعد ، فإبراهيم يعلم أن ابنه

إسحاق لن يموت ولن يذبح ، لأنه سيكبر ، وستكون له ذرية كما وعده الله « في كلّ ما تقول لك سارة اسمع لقوها ، لأنّه بإسحاق يدعى لك نسلٌ » (التكوين ٢١/١٢-١٣). فقوله : « خذ ابنك وحيدك » حق ، وكلمة « إسحاق » زيادة ولبسٌ للحق بالباطل .

ويشهد للتبديل قوله : « لم تمسك ابنك وحيدك عنِي » (التكوين ٢٢/١٢، ١٦)، ولم يذكر فيه اسم إسحاق .

ومن التحرير أيضًا استبدال المترجمين كلمة الوحدة بالفضل في بعض التراجم ، وهو تحريف ولا ريب لأن النص العبراي استخدم كلمة (يُحِيدُّوكُمْ) ومعناها : الوحدة ، وليس المفضل .

تحريف المترجمين

ولمترجمي الكتاب المقدس نصيبهم من التحرير الذي أضحمى سمة لكل أولئك المؤمنين على الكتاب المقدس ، حيث يتلاعب هؤلاء بالنصوص ، وهم يقومون بترجمتها ، من صور هذا النوع من التحرير الصور التي تعرضها والتي توضح مقدار الحرية التي تعامل بها المترجمون مع النصوص التوراتية ، إذ النص العربي يذكر اشتقاءات عربية لا يصح أن تكون في كتاب أصل لغته العربية . ومن ذلك :

يقول سفر التكوين : « وولدت له قاين ، وقالت : اقتنيت رجلاً من عند الرب » (التكوين ٤/١) ، فكلمة « قاين » كما في قاموس الكتاب المقدس معناها : « حداد » ^(١) ، فالمناسبة معدومة بين الاقتناء أو الشراء ، واسم قاين الذي يعني : حداد .

ومثله قوله : « دعي اسمها بابل ، لأنّ الرب هناك بلبل لسان كل الأرض »

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (٧١٠) .

(التكوين ٩/١١) . وكلمة بابل في اللغة الأكادية «باب ايلو» بمعنى : «باب الرب» كما في قاموس الكتاب المقدس ^(١) ، وعليه فليس من مناسبة بين اسم بابل والبلبلة التي تذكرها التوراة ، فالمناسبة التي يزعمها الكاتب غير متحققة .

ومثله حاول كاتب سفر الخروج إيجاد علاقة بين اسم موسى وانتشار ابنة فرعون له من الماء ، فقال : « ولما كبر الولد جاءت به [أخته] إلى ابنة فرعون فصار لها ابنًا ، ودعت اسمه : موسى . وقالت : إني انتشلته من الماء » (الخروج ٢/١٠) ، فزعم أن المرأة المصرية - التي لا تعرف العبرانية - سمته بموسى ؛ لأنها انتشلته من الماء ، وأنها اشتقت اسمه من الكلمة العبرانية (مشا) أي (انتشدل) .

وهذا الزعم بعبرانية اسم موسى يتشكّك به الآباء اليسوعيون في تعليقهم على النص ، إذ يقولون : « إن ابنة فرعون لا تتكلّم العبرية ، في الواقع هذا اسم مصرى يُعرف بصيغته المختصرة موزس » ، ومعناه : ولد أو ابن .

وأما محققو الترجمة العربية المشتركة فيعلقون : « موسى : اسم من أصل مصرى ، ولكن الكاتب وجد له اشتقاقة خاصّاً به » .

ومن صور التحرير الهامة ما صنعه المترجمون المسيحيون للمزمور الثاني والعشرين ليكون نبوءة مزعومة عن المسيح الذي مات على الصليب وقد ثقبت يداه ورجلاه ، يقول المزمور : « لأنَّه قد أحاطَتْ بي كلاب ، جماعةٌ من الأشرار اكتفتني ، ثقبوا يديَّ ورجلِيَّ » (المزمور ٢٢/١٦) ، وليس في النص العبراني كلمة : (כָּאֶרְיָה) ثقبوا ، التي تنطق (كارو) ، بل يستخدم كلمة (פָּאֶרְיָה) (كاري) التي تعني كأسد ، والنص بتلاته : " פִּי סַבְבּוֹנִי, פָּאֶרְיָה : עֲזַת מְרֻעִים, הַקִּיפּוֹנִי; פָּאֶרְיָה, יְהִי וּנְגָלִי " .

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٥٢) .

وقد اعترفت نسخة الرهبانية اليسوعية بالتحريف ، وذكرت أن النص المحرف « بحسب الترجمة اللاتينية الشائعة ، والكلمة العبرية تعني : (كالأسد) ، وهي غامضة » ، وهكذا فلغموض الكلمة الأسد تلاعبوا بالنص وحوروه إلى « ثقبوا يديّ ورجليّ » .

ومن الصور التي أبقاها المترجمون على حالها ، فكان فعلهم صحيحًا خاليًا من التحريف ، قوله : « وقال لابان : هذه الرجمة شاهدة بيني وبينك اليوم ، لذلك دعي اسمها جلعيid » (التكوين ٤٨/٣١) .

وكلمة جلعيid كما يفيد قاموس الكتاب المقدس الكلمة عبرانية معناها : « رجمة الشهادة » .

الكتب تتهم بني إسرائيل بالتحريف

ثم ها هي أسفار العهد القديم تتهم القوم بتحريف التوراة ، فحين كان بنو إسرائيل في بابل بدأ عزرا الكاتب في كتابة الأسفار الضائعة ، والتي غابت عن بني إسرائيل طويلاً ، لكن النبي إرميا ، - وهو أحد أعظم الأنبياء ما قبل السبي - نعى كثيراً على أولئك الأنبياء الكذبة الذين سُبوا إلى بابل ، وأخبر بانحرافهم وكذبهم على الله فيما ينسبونه إلى وحي الله ، وقد وقع ذلك منه في نصوص عديدة ، منها قوله : « قد سمعت ما قالته الأنبياء الذين تنبؤوا باسمي بالكذب قائلين : حلمت ، حلمت » (إرميا ٢٣/٢٥) .

ويقول : « كيف تقولون : نحن حكماء ، شريعة الرب معنا حقاً ، إنه إلى الكذب ، حَوَّلَهَا قلم الكتبة الكاذب » (إرميا ٨/٨) ، فقد حرفت الكلمة الله بيد الكتبة الكاذبة . ويؤكد وقوع التحريف ، ويتهدد بالعقوبة أولئك الذين مازالوا يتحدثون عن كلام الرب الذي حرفوه ، فيقول : « وإذا سألك هذا الشعب أونبي أو كاهن قائلاً : ما وحي الرب؟ فقل لهم : أي وحي؟ إني أرفضكم هو قول الرب ، فالنبي أو الكاهن أو

الشعب الذي يقول : وحي الرب أعقاب ذلك الرجل وبنته . هكذا تقولون ، الرجل لصاحبه ، والرجل لأخيه ، بماذا أجاب الرب وماذا تكلم به الرب : أما وحي الرب فلا تذكروه بعد ، لأن كلمة كل إنسان تكون وحية ، إذ قد حرفتم كلام الإله الحي رب الجنود إلها » (إرميا ٢٣/٣٣-٣٦) .

ومثله وقع التحريف في سفره « فأخذ إرميا درجا آخر ، ودفعه لباروخ بن نيريا الكاتب ، فكتب فيه عن فم إرميا كل كلام السفر الذي أحرقه يهوياقيم ملك يهودا بالنار ، وزيد عليه أيضاً كلام كثير مثله » (إرميا ٣٦/٣٢) ، ولم يذكر السفر من الذي زاد على قول إرميا النبي .

كما تحدث إرميا عن أولئك الذين يدعون النبوة ، والرب لم يرسلهم : « قال رب الجنود إله إسرائيل : لا تغشكم أنبياؤكم الذين في وسطكم وعراوفكم ، ولا تسمعوا لأحلامهم التي يتحلمونها ، لأنهم يتנבؤون لكم باسمي الكذب ، أنا لم أرسلهم يقول الرب » (إرميا ٢٩/٨-٩) .

ويواصل إرميا الحديث عن أولئك الذين رأهم يكتبون الكتب وينسبونها إلى الله ، فيقول : « وصار في الأرض دهش وقشعريرة ، الأنبياء يتنبؤون بالكذب ، والكهنة تحكم على أيديهم ، وشعبي هكذا أحب » (إرميا ٥/٣٠-٣١) . لقد تماً الجمیع على هذا التحريف ، الأنبياء الكاذبة والكهنة والشعب اليهودي .

ويقول النبي إشعيا : « ويل للذين يتعمقون ليكتموا رأيهم عن الرب ، فتصير أهلاهم في الظلمة ، ويقولون : من يبصرنا ، ومن يعرفنا ؟ بالتحريفكم » (إشعيا ٢٩/١٥-١٦) .

وفي حزقيال « القائلون : وحي الرب . والرب لم يرسلهم .. وتتكلمت بعرافة كاذبة قائلين : وحي الرب ، وأنا لم أتكلم » (حزقيال ١٣/٦-٧) .

وهكذا تعرض التوراة نوعين من التحريف : تحريف الكتبة الذين يدعون الوحي ، وتحريف بني إسرائيل وهم يحرفون كلام الله الذي جاء على لسان أنبيائه .

لقد حصل ما توقعه موسى عليه السلام حين قال : « خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم .. لأنني عارف أنكم بعد موتي تفسدون وتزيفون عن الطريق » (الشنية ٣١ / ٢٤-٢٩) .

اعترافات بوقوع التحريف

ويعرف كبار المراجع النصرانية بوقوع التحريف والزيادة المستمرة حيث تقول لجنة الكتاب المقدس البابوية في مدخلها سنة ١٩٤٨ م : « يوجد ازدياد تدريجي في الشرائع الموسوية سببه مناسبات العصور التالية الاجتماعية والدينية » .

ويقول كيرت : « الكتاب المقدس المتداول حالياً لا يحتوي على التوراة والإنجيل المنزلين من الله ، ولقد اعترف علماء باحثون باللمسات البشرية في إعداد هذا الكتاب المقدس » .

ويقول جيمس جيستنجه : « ومع هذا فإننا نتوقع أن نجد خلال صفحات الكتاب المقدس بعض الأجزاء من التوراة والإنجيل الأصليين ، مما يتحتم معه دراسة جادة لكي تجعل مضمون الكتاب المقدس مفهوماً » .

ونختم بنقل ما قاله الناقد اليهودي الشهير اسبيينوزا عن تحريف الأسفار التوراتية ، حيث يقول : « لا يسلم معظم المفسرين بوقوع أي تحريف في النص ، حتى في الأجزاء الأخرى ، ويقررون أن الله بعناية فريدة قد حفظ التوراة كلها من أي ضياع » .

ويضيف : « أما اختلاف القراءات فهو في نظرهم علامة على أسرار في غاية العمق ، ويتناقشون بشأن النجوم الشهانية والعشرين الموجودة وسط إحدى الفقرات ،

بل تبدو أشكال الحروف ذاتها وكأنها تحتوي على أسرار كبيرة ، ولست أدرى إن كان ذلك ناجماً عن اختلال العقل ، وعن نوع من تقوى العجائز المخرفين ، أم أنهم قالوا ذلك بداع الغرور والخبث ، حتى نعتقد أنهم وحدهم هم الأمانة على أسرار الله ، ولكنني أعلم فقط أنني لم أجده مطلقاً أي شيء عليه سبباً السر في كتبهم ، ولم أجده فيها إلا أعمالاً صبيانية »^(١) .

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندي (١/٣٨ - ٣٩) ، الكتب المقدسة بين الصحة والتحريف ، يحيى ربيع ، ص (٣٢٦).

تناقضات العهد القديم

التناسق الداخلي شرط لا يختلف العقلاء على لزوم اشتراطه في توثيق نسبة أي كتاب إلى الله ﷺ، فالكتاب الذي يكذب بعضه بعضاً، لا يمكن اعتباره كتاباً مقدساً، كما لا يمكن اعتبار بقيةه مقدساً، إذ وجود الكذب في بعضه يطرح الشك في مصدره الكاذب . «أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ أَخْتِلَافًا كَثِيرًا» [النساء: ٨٢] .

ولوجود التناقضات في الكتاب المقدس دلالات كثيرة أهمها : أنه يثبت أن هذه الأسفاربشرية في مصدرها ، فقد وقع كُتابها فيما يقع فيه البشر الضعفاء الذين يتوقع منهم الجهل ، ولو كانت هذه الأسفار ملهمة من قبل الله لما خالف كُتابها بعضهم فيما أوردوه من معلومات تاريخية وغيرها .

ووقوع الخطأ من أحد المتناقضين من كُتاب التوراة في قضايا بسيطة يسهل حفظها والتمكن منها يشير إلى إمكانية بل تحقق وقوع مثله في المسائل اللاهوتية والغيبية التي تحتاج إلى مزيد من العناية والتدقيق .

وهذه التناقضات التي نسوقها ، معظمها توصلنا إليه من خلال دراسة أجزاء تم إعادة كتابتها ثانية من قبل كتاب الأسفار ، ولو كتبت بقية الأجزاء ثانية لوقفنا على تناقضات تطال كل صفحة من صفحات هذا الكتاب الذي يدعى البعض أنه مقدس .

والتناقضات التوراتية كثيرة ، ومنها ما هو متعلق بأصول المعتقد ، ومنها ما هو متعلق بصفات الله ﷺ ، فالأسفار التوراتية تصف الله بالصفة ونقضها .

فتذكر التوراة أن الله «إله الدهر رب خالق أطراف الأرض ، لا يكل ولا يعيَا» (إشعياء ٤٠/٢٨) ، وهو حق ولا ريب ، لكنه يناقض ما ورد في مواضع أخرى زعمت

أن الله يحتاج للاستراحة التي لا غناء للمتعب عنها بعد طول العمل والعناء ، فبعد أن خلق الله السماوات والأرض تزعم الأسفار - كذبًا - أنه استراح ، فتقول : « فرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح » (التكوين ١ / ٢) ، ونحوه في سفر الخروج « في ستة أيام صنع رب السماء والأرض ، وفي اليوم السابع استراح وتنفس » (الخروج ٣١ / ١٧) .

وتحدثنا التوراة عن الله العظيم العليم ، فتذكر أنه ليس كمثل البشر وضعفهم ، فهو لا يندم ولا يكذب ، فتقول : « ليس الله إنساناً فيكذب ، ولا ابن إنسان فيندم ، هل يقول ولا يفعل ، أو يتكلم ولا يفني ؟ » (العدد ٢٣ / ١٩) ، فالندم صفة الإنسان الجھول بعواقب الأمور « نصيحة إسرائيل لا يكذب ولا يندم ، لأنه ليس إنساناً ليندم » (صموئيل ١ / ١٥) .

ولكن التوراة تناقض ذلك فتنسب إلى الله الندم على أمور صنعها ، ومن ذلك ندمه على اختيار شاول ملوك بني إسرائيل ، حيث يقول : « ندمت على أنني جعلت شاول ملکاً ، لأنه رجع من ورائي ، ولم يقم كلامي » (صموئيل ١ / ١٥) ، فهل الله يندم أم لا ؟ .

وتذكر التوراة أن الله لا يرى « حقًا أنت إله محتجب ، يا إله إسرائيل » (إشعياء ٤٥ / ١٥) ، والإنسان لا يقدر على رؤيته ، فقد قال الله لموسى : « لا تقدر أن ترى وجهي لأن الإنسان لا يراني ويعيش » (الخروج ٣٣ / ١٩ - ٢٠) .

لكن الأسفار التوراتية تذكر كثيرين رأوا الله ، منهم شيخوخ بنى إسرائيل « لما صعد موسى وهارون وناراب وأبيه وسبعون من شيخوخ إسرائيل رأوا إله إسرائيل » (الخروج ٢٤ / ٩) ، ومنهم يعقوب فقد رأاه حين صارعه « فدعا يعقوب اسم المكان : (فيئيل) قائلاً : لأنى نظرت الله وجهاً لوجهه ، ونجيت نفسي » (التكوين ٣٢ / ٣٠) .

وقد يزعم البعض أن الذين رأوا الله رأوه حال تجسده ، ولم يروه على هيئته وفي صورة مجده ، ويررون أن المنفي رؤيته هو الله في مجده ، وهذا التفريق لا دليل عليه ، وتدحضه النصوص التي تحدثت عن أناس رأوا الله في صورة مجده .

منهم إشعيا حيث يقول : « في سنة وفاة عزيزاً الملك رأيت السيد جالساً على كرسى عال ومرتفع ، وأذى الله تملأ الهيكل ، السرافيم واقفون فوقه ، لكل واحد ستة أجنحة ، باثنين يغطى وجهه ، وباثنين يغطي رجليه ، وباثنين يطير .. فقلت : ويل لي ، إني هلكت لأنى إنسان نجس الشفتين ، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين ، لأن عيني قد رأتا الملك رب الجنود . فطار إليّ واحد من السرافيم ، وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ، ومس بها فمي ، وقال : إن هذه قد مسست شفتيك فانتزع إثملك وكفر عن خطبتك » (إشعيا ٦/٧-١) ، فقد رأى الله على عرشه وحوله الملائكة ، وخفاف على نفسه الموت ، لأنه رأى الله الذي توعدت النصوص من يراه بالموت .

ومثله ما جاء في سفر الملوك عن رؤية النبي ميخا لله ، حيث يقول : « قد رأيت الرب جالساً على كرسيه ، وكل جند السماء وقوف لديه عن يمينه وعن يساره .. » (الملوك ٢٢/١٩) . فميخا حسب النص يرى الله في السماء على كرسيه ، وهو بين ملائكته ، فهو ليس متجمساً ..

وموسى طلب رؤية الله في مجده ، ويذكر سفر الخروج أنه رآه بالفعل ، لكنه لم ير وجهه « فقال : أرنى مجدك .. قال : لا تقدر أن ترى وجهي ، لأن الإنسان لا يراني ويعيش . وقال الرب : هؤلا عندي مكان ، فتقف على الصخرة . ويكون متى اجتاز مجدي أني أضعك في نقرة من الصخرة ، وأستررك بيدي حتى اجتاز . ثم ارفع يدي فتنظر ورائي ، وأما وجهي فلا يرى » (الخروج ٣٣-١٨) فتفيد القصة أن وجه الله ، أي الحقيقي لا يرى ، ومن رأه يموت ، لكن جسده الحقيقي رئي من قبل موسى ، فقد مر من أمام الصخرة فرأه .

ومن تناقضات التوراة ترددتها في وصف الله بالقدرة التامة تارة ، وبالعجز تارة أخرى ، فقد وصفه سفر طوبيا بوصف حق حين قال : « لا إله قادر على كل شيء سواه » (طوبيا ١٣ / ٤) ، ومثله في (أيوب ٤ / ٤٢) .

وهذا المعتقد الصحيح تنقضه التوراة في مواطن كثيرة ، نسبت إلى الله العجز كما مرّ معنا في غلبة يعقوب عليه في المصارعة (انظر : التكوين ٣٢ - ٢٤ / ٣٢) ، كما عجز عن طرد الكنعانيين الذين كانوا يمتلكون مركبات حديدية ، إذ يقول الأسفار : « وكان رب مع يهودا ، فملك الجبل ، ولم يطرد سكان الوادي ، لأن لهم مركبات من حديد » (القضاة ١ / ١٩) .

وتتحدث التوراة عن رحمة الله وحلمه ، فتقول : « الرب حنان رحوم بطيء عن الغضب ، وعظيم النعمة » (المزمور ١٤٥ / ٨) ، ثم تنقضه حين تذكر ما حصل مع أهل بيت شمس الذين رأوا تابوت فقتلهم جميعاً ، وكانوا أكثر من خمسمائة ألف رجل « وضرب الرب من أهل بيت شمس ، لأنهم رأوا تابوت الرب ، وضرب من الشعب سبعين رجلاً وخمسمائة ألف رجل » (صوموئيل ٦ / ١٩) فهل يستحق هذا الفعل هذه العقوبة ؟ والله حنان رحوم بطيء الغضب !

وأيضاً تصف التوراة بصر الله ومعرفته بما يصنعه عباده ، فتقول : « عينا الرب محيطاناً بكل الأرض » (الأيام ٢ / ٩) ، وتأكده في سفر الأمثال « عينا الرب في كل مكان يترقبان الصالحين والطالحين » (الأمثال ٣ / ١٥) ، وتقول : « الرب إله عظيم » (صوموئيل ١ / ٣) .

ولكن في سفر التكوين تنقضه ، فتجعله جاهلاً ببعض صنائع عباده ، إذ لما اختباً آدم في الجنة بحث عنه الإله « فدعا الرب الإله آدم وقال له : أين أنت ؟ » (التكوين ٣ / ٩) ، ثم لم يعرف أن آدم أكل من الشجرة وصار عارفاً للخير من الشر ، وأنه قد

أدرك سوءة العربي ، فقال له : « من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟ » (التكوين ٣/١١).

وكذا لما بدأ أهل بابل ببناء مدينتهم ويرجحهم ، أراد الرب - تعالى عن ذلك - أن يعرف ماذا يصنعون « فنزل الرب لينظر المدينة والبرج الذي كان يبنيه بنو آدم .. وقال الرب هؤلا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم ، وهذا ابتداؤهم بالعمل ، والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه » (التكوين ٦-٥/١١) ، فكانه خشي من اجتماع بنى آدم وما يمكن أن يتبع عنه ، فقال : « هلم ننزل ونبلي هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض ، فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض ، ففكوا عن بناء المدينة » (التكوين ٧/١١).

ومن التناقض أيضاً تناقض الأسفار في مسألة وراثة الذنب ، ففي سفر الخروج ذكر أن الرب « مفتقد إثم الآباء في الأبناء ، وفي أبناء الأباء ، في الجيل الثالث والرابع » (التثنية ٣٤/٧) فالآباء يعاقبون بجرائم آبائهم . وفي سفر حزقيال كذب ذلك فقال : « الابن لا يحمل من إثم أبيه ، والأب لا يحمل من إثم ابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون » (حزقيال ٢٠/١٨).

وفي سفر حزقيال يعني الرب على بنى إسرائيل أنهم تركوا شريعتهم وعملوا بشرائع الأمم المجاورة ، فيقول : « أنا الرب الذي لم تسلكوا في فرائضه ، ولم تعملوا بأحكامه ، بل عملتم حسب أحكام الأمم الذين حولكم » (حزقيال ١١/١٢) ، ولكنه ينقضه السفر نفسه ، حين يذكر أنهم لم يعملوا بشرائع الله ولا بشرائع الأمم الذين حولهم ، فيقول : « لم تسلكوا في فرائضي ، ولم تعملوا حسب أحكامي ، ولا عملتم حسب أحكام الأمم التي حوالبكم » (حزقيال ٥/٧) ، فهل عملوا وفق أحكام الأمم المجاورة أم لم يعملوا ؟

ومن التناقضات الغريبة ما ورد في آخر سفر صموئيل الأول وأول سفر صموئيل الثاني ، حيث يتحدث السفران عن نهايتيين مختلفتين للملك شاول ، فيقول السفر الأول بموته متتحرّاً بسيفه ، فقد جاء فيه : « فقال شاول حامل سلاحه : استل سيفك واطعنني به ، لثلا يأتي هؤلاء الغلف ويطعنوني ويقطعني ، فلم يشأ حامل سلاحه ، لأنّه خاف جداً ، فأخذ شاول السيف ، وسقط عليه ، ولما رأى حامل سلاحه أنه قد مات شاول ، سقط هو أيضاً على سيفه ومات معه » (صموئيل ٣١: ٤-٥) .

ولكن لو ألقى القارئ ببصরه إلى الصفحة التالية فإنه واجد أن شاول مات بيد رجل من العمالق وأن داود قتله انتقاماً لشاول مسيح الرب ، حيث يقول السفر الثاني : « فقال الغلام الذي أخبره : اتفق أني كنت في جبل جليوبع ، وإذا شاول يتوكأ على رمحه ، وإذا بالمركبات والفرسان يشدّون وراءه ، فالتفت إلى ورائه ، فرأني ، ودعاني فقلت : هنا أنا ، فقال لي : من أنت ؟ فقلت له : عاليقي أنا . فقال لي : قف علىي واقتليني ، لأنّه قد اعتزاني الدوار ، لأن كل نفسي بعد فيّ . فوقفت عليه ، وقتلته ، لأنّي علمت أنه لا يعيش بعد سقوطه ، وأخذت الإكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه ، وأتيت بها إلى سيدي هنا » (صموئيل ٢: ٦-١٠) ، فهل قتل شاول نفسه أم قتله الرجل العالّي؟ وما سبب ورود الطريقتين معًا في الكتاب؟

يجيب محققو الرهبانية اليسوعية : « تقليد آخر في موت شاول .. وهي مزيج من عناصر مختلفة ». .

وأياً كانت طريقة موت شاول فإن الله قتله نتيجة لآخطائه ، والتي منها أنه جاؤ إلى العرافة ولم يسأل الله « فمات شاول بخيانته التي بها خان الله ، من أجل كلام الله الذي لم يحفظه ، وأيضاً لأجل طلبه إلى الجان للسؤال ، ولم يسأل من الله ، فأماماته » (الأيام ١٠: ١٣) .

لكن سفر صموئيل يبرئ ساحة شاول من أحد هذه الآثام ، فقد سأله شاول الله قبل أن يلتجأ للعرافة يقول السفر : « فسأل شاول من رب ، فلم يجده رب ، لا بالأحلام ولا بالأوريم ولا بالأنبياء ، فقال شاول لعيشه : فتشوا لي على امرأة صاحبة جان » (صموئيل ١(٢٨-٦)) ، فأي السفرين يصدق القارئ الكريم ؟ هل سأله شاول الله أم لم يسأله قبل أن يسأل العرافة ؟

وليس خبر موت شاول بأعجب من خبر موت جليات الجتي الفلسطيني ، فقد أ Mataه الكتاب المقدس مرتين : أولاهما في أيام شاول على يد داود كما في سفر صموئيل الأول « وفيها هو يكلمهم إذا برجل مبارز ، اسمه جليات الفلسطيني ، من جت صاعد من صفوف الفلسطينيين » ثم يمضي السفر فيبين كيف قتلته داود النبي « فركض داود ، ووقف على الفلسطيني ، وأخذ سيفه ، واخترطه من غمده ، وقتلته ، وقطع به رأسه ، فلما رأى الفلسطينيون أن جبارهم قد مات ، هربوا » (صموئيل ١(١٧-٢٣)) .

أما سفر صموئيل الثاني فيذكر أن الذي قتل جليات هو الحنان بن يعرى ، وذلك زمن حكم داود « ثم كانت أيضاً حرب في جوب مع الفلسطينيين ، فأحنان بن يعرى أرجيم البيت لحمي قتل جليات الجتي » (صموئيل ٢(٢١-١٩)) ، فأيهما قتل جليات ، داود أم الحنان ؟

يحاول كاتب سفر الأيام حل هذه المعضلة ، فيقول : « وكانت أيضاً حرب مع الفلسطينيين ، فقتل الحنان بن ياعور لحمي أخي جليات الجتي » (الأيام ١(٢٠-٥)) ، فالمقتول على يد داود هو جليات ، والمقتول على يد الحنان هو أخيه ، وما جاء في صموئيل الثاني خطأ غير مقصود ، وسببه كما نقل القدس صموئيل عن بعض العلماء أنه « حدث هذا الخلط عند إعادة كتابة سفر صموئيل للتتشابه في العبرية بين كلمة أخت (אחות) ، وهي أداة المفعول به ، والكلمة أخت (אחות) التي تعني أخي ، وبهذا يكون الحنان قتل أخي

جليلات الفلسطيني الذي قتله داود »^(١).

لكن علماء الكتاب المقدس لن يرضيهم مثل هذا الخل على بساطته ، فلجؤوا إلى حلول متناقضة زادت المسالة تعقيداً ، تنقلها إلينا موسوعة دائرة المعارف الكتابية ، فتقول : « وهناك جملة افتراضات لحل هذه المسألة :

افتراض وجود جبارين باسم جليلات ، أحد هما قتله داود ، والثاني قتله أحانان .

أو افتراض أن « جليلات » كان لقباً لطائفة من الجبارية .

الزعم بأن كلمة « أخ » سقطت من سفر صموئيل .

الزعم بأن كاتب سفر الأخبار أضاف كلمة « أخ » لحل المشكلة .

يزعم ابوالد وكنيدي أن القصة كانت أصلاً عن أحانان ، ثم نسبت إلى داود ، أما من قتله داود فجبار مجهول الاسم [وإليه يميل محققو الرهبانية اليسوعية ، وأن اسم جوليات قد أضيف على سفر صموئيل] .

ذكر جيروم والترجمون العبرى - بناء على تقليد قديم - أن داود وأحانان اسماً لشخص واحد »^(٢) .

وهكذا تختلف الحلول وتتضارب ، إلا أنها - على كل حال - تتفق في الشهادة على أن هذا التناقض ليس من كلام الله .

وقبل أن نغادر خبر مقتل جليلات ، فإنه يلزمنا أن ننبه إلى خطأ تاريخي وقع به كاتب سفر صموئيل حين قال : « أخذ داود رأس الفلسطيني ، وأتى به إلى أورشليم ،

(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف (١٦٥).

(٢) دائرة المعارف الكتابية (١/٣٦٦).

ووضع أدواته في خيمته» (صموئيل ١/٥٤-١٧)، إذ أن أورشليم لم تكن من مدن اليهود زمن قتل جليات، وقد كان الملك شاول حينذاك مقيّماً في جبعة شاول (انظر صموئيل ٢/١٤)، ثم افتتح داود أورشليم في السنة الثامنة من ملكه، وجعلها عاصمة لملكه (انظر صموئيل ٢/٥-٧)، وهكذا فإن من الخطأ البين ذكر السفر ذهاب داود إلى أورشليم عاصمة البيوسين حينذاك، وقد أقر بهذا الغلط الآباء اليسوعيون فقالوا: «هذه الآية إضافة، إذ لم تفتح أورشليم إلا في وقت لاحق».

وتناقض الكتاب في مسألة قتل شاول وجليات لن يكون أشد غرابة مما جاء به سفر الأمثال، إذ يوصي في فقرة واحدة بوصيتيين متناقضتين، في أولاهما يدعو لعدم مقابلة الجاهل حسب حماقته، ثم يعود ليدعوه إلى مقابلة الجاهل حسب حماقته، ليترك للقارئ دهشاً لا يدرى بأي الوصيتيين ي العمل، يقول السفر: «لا تجذب الجاهل حسب حماقته، لثلا تعده أنت، جاذب الجاهل حسب حماقته لثلا يكون حكيماً في عيني نفسه» (الأمثال ٤/٥-٦)، فكيف يقابل أولئك الذين يهتدون بهدي الكتاب حماقة الجاهل؟ ومن التناقضات التي وقع فيها كتاب التوراة أنه جاء في سفر الملوك أن الله وعد داود فقال: «ويكون لداود ونسله وبيته وكرسيه سلام إلى الأبد» (الملوك ٢/٣٣).

لكن في سفر صموئيل ما ينقض ذلك تماماً، فقد قال له الله: «والآن لا يفارق السيف بيتك إلى الأبد، لأنك احترمني، وأخذت امرأة أوريا الحشي» (صموئيل ٢/١٢)، فهل وعد بالسيف الأبدية أم بالسلام الأبدية، فالسيف والسلام ضدان لا يجتمعان.

ومن التناقضات أنه جاء في سفر التكوين في الإصلاح السادس أن البهائم التي نجت مع نوح اثنين اثنين، من كل ما يدب على الأرض «فتدخل الفلك أنت وبنوك وامرأتك ونساء بنيك معك». ومن كل حيٍ من كل ذي جسد اثنين، من كل تدخل إلى

الفلك لاستباقها معك ، تكون ذكرًا وأنثى ، من الطيور كأجناسها ، ومن البهائم كأجناسها ، ومن كل دبابات الأرض كأجناسها .اثنين من كل تدخل إليك لاستباقها » (التكوين ٦/٢٠-٢١).

ثم نقض ذلك في الإصحاح السابع فقال : « وقال رب نوح : ادخل أنت وجميع بيتك إلى الفلك .. من جميع البهائم الظاهرة تأخذ معك سبعة سبعة ، ذكرًا وأنثى .. ومن طيور السماء أيضًا سبعة سبعة ذكرًا وأنثى ، لاستبقاء نسل على وجه كل الأرض » (التكوين ٧/٢-٣) ، فما هو الذي أمر بحمله نوح من طيور السماء ، هل أمر بحمل زوجين ، أم سبع أزواج ؟ !

ومن تناقضات العهد القديم التناقض في وصف أشياء محسوسة محددة ، أو أخبار تاريخية معينة ذكرت في أكثر من موضع في أسفار التوراة ، ولم يتتبه الكتبة الملهمون إلى تناقضهم مع نصوص سابقة :

ومنه أنه جاء في سفر الأيام وصف دقيق للمذبح النحاسي الذي صنعه سليمان ، وما جاء في وصفه أنه « يسع ثلاثة آلاف بث » (الأيام ٤/٥) .

وكان سفر الملوك قد أورد وصفاً دقیقاً للمذبح يتطابق مع ما جاء في سفر الأيام غير أن سعة المذبح تختلف بنسبة ٣٣٪ إذ جاء فيه « يسع ألفي بث » (الملوك ١/٧) . فهل نسي الروح القدس ما كان أملأه أم ماذا سبب هذا التفاوت بين الرقمين ؟

ويذكر سفر الملوك أن لسليمان أربعين ألف إصطبل لخيوله ، فيقول : « وكان لسليمان أربعون ألف مزود لخيل مركباته ، واثنا عشر ألف فارس » (الملوك ١/٤) .

وهذا الرقم كبير جداً ، خاصة مع صغر أورشليم زمن سليمان الملك ، وهو على كل حال منافق لما جاء في سفر الأيام ، وفيه « كان لسليمان أربعة ألف مزود خيل ومركبات ، واثنا عشر ألف فارس » (الأيام ٢/٩) .

ويحاول القس استانلي شوبرج كبير قساوسة السويد إزالة هذا التناقض في مناظرته مع العلامة ديدات ، فيقول في محاولة يائسة منه تدعوه للضحك : « إن هذا يبرهن على بركة الله ، في البداية كان عند سليمان أربعة آلاف مذود ، زادت إلى أربعين ألف مذود بانتهاء العام » ^(١) .

وتتحدث الأسفار عن غنائم داود التي غنمها من ملك صوبة ، فيقول سفر صموئيل : « وضرب داود هدد عزر بن رحوب ملك صوبة حين ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات ، فأخذ داود منه ألفاً وسبعين مائة فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرقب داود جميع خيل المركبات ، وأبقى منها مائة مركبة » (صموئيل ٢/٨-٤) ، فقد أخذ منه ١٧٠٠ فارس ، سوى ما أخذه من راجلته .

وهذه الأرقام لا تتفق مع الأرقام التي ذكرها سفر الأيام ، حين جعل الفرسان المأسورين ٧٠٠ فارس ، عدا ما أخذه من راجلته ، فقال : « وضرب داود هدر عزر ملك صوبة في حماة حين ذهب ليقيم سلطته عند نهر الفرات ، وأخذ داود منه ألف مركبة وسبعين ألف فارس ، وعشرين ألف راجل ، وعرقب داود كل خيل المركبات ، وأبقى منها مائة مركبة » (الأيام ١٨/٣-٤) .

ويقص سفر صموئيل عن حرب أرام معبني إسرائيل ، فيقول : « وقتل داود من أرام سبعين مركبة ، وأربعين ألف فارس » (صموئيل ٢/١٠-١٨) .

ثم أعادت الأسفار ذكر حرب إسرائيل مع أرام ف قال كاتب سفر الأيام : « وهرب أرام من أمام إسرائيل ، وقتل داود من أرام سبعة آلاف مركبة وأربعين ألف راجل » (الأيام ١٩/١٨) .

(١) انظر : مناظرتان في استكهولم ، أحمد ديدات ، ص (٦٠).

وبين السفرين تناقض واضح في نقطتين :

الأولى : كم عدد المراكب التي قتلها جيش إسرائيل هل ٧٠٠٠ أم ٧٠٠ ، ولم يوضح لنا السفر كيف تقتل المراكب ؟ ولعله أراد من فيها .

الثانية : هل كان القتلى من الفرسان أم المشاة ؟ فكيف لم يفرق الملهم بين الفرسان والمشاة ؟

ويتحدث سفر صموئيل عن أن داود قد أمره الرب بإحصاء بنى إسرائيل ، فيقول : « عاد فحمي غضب الرب على إسرائيل ، فأهاج عليهم داود قائلاً : امض وأحص إسرائيل ويهودا » ، ففعل داود « فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى الملك ، فكان إسرائيل ثمانمائة ألف رجل ذي بأس مستل السيف (٨٠٠ ألف) ، ورجال يهودا خمسمائة ألف رجل » (٥٠٠ ألف).

ثم إن داود ندم على إحصائه بنى إسرائيل ، وقال للرب : « لقد أخطأت جداً في ما فعلت ، والآن يا رب أزل إثم عبديك » ، وهذا الندم عجيب ، إذ هو قد امثل لأمر الله ، وصنع تماماً كما أمره .

ثم أمر الله النبيَّ جاد أن يبلغ داود عقوبة الله له ، فالله يخرب بين أمور « أتَأْيِ عَلَيْكَ سَبْعَ سَنِينَ جُوعًا فِي أَرْضِكَ ؟ أَمْ تَهْرُبُ ثَلَاثَةَ أَشْهُرَ أَمَامَ أَعْدَائِكَ وَهُمْ يَتَبعُونَكَ ؟ أَمْ يَكُونُ ثَلَاثَةَ أَيَّامَ وَبَاءَ فِي أَرْضِكَ ؟ فَالآن أَعْرِفُ ، وَانظُرْ مَاذَا أَرْدَ جَوَابًا عَلَى مَرْسِلِي » (صموئيل ٢٤ / ١ - ١٣).

ويختلف سفر الأيام عن سفر صموئيل في رواية القصة ذاتها ، فيقول : « ووقف الشيطان ضد إسرائيل وأغوى داود ليحصي إسرائيل .. فدفع يوآب جملة عدد الشعب إلى داود ، فكان كل إسرائيل ألف ألف ومائة ألف رجل (مليون ومائة ألف) مستل السيف ، ويهودا أربع مئة وسبعين ألف رجل مستل السيف (٤٧٠ ألف) .. وقبح في

عني الله هذا الأمر، فضرب إسرائيل.

فقال داود الله: لقد أخطأت جداً حيث عملت هذا الأمر، والآن أزل إثم عبده، لأنني سفهت جداً. فكلم رب جاد رائي داود، وقال: اذهب، وكلم داود قائلاً: هكذا قال رب: ثلاثة أنا عارض عليك، فاختر لنفسك واحداً منها فأفعله بك.. إما ثلاثة سنين جوع، أو ثلاثة أشهر هلاك أمام مضايقك، وسيف أعدائك يدركك، أو ثلاثة أيام يكون فيها سيف الرب ووابأ في الأرض.. فانظر الآن ماذا أرد جواباً لرسلي» (الأيام ١٢-٢١).

فقد تناقض النصان في أمور:

- ١ - من الذي أمر بياحصاء بنى إسرائيل الرب أم الشيطان؟ وكما يقول العلامة ديدات: «فإن الشيطان والرب ليسا مصطلحين متراودين في أي الديانات»^(١).
- ٢ - أعدادبني إسرائيل ، ففي سفر صموئيل كان رجال إسرائيل ٨٠٠٠٠٠ ، وفي الأيام أضحوا ١١٠٠٠٠ ، وفي سفر صموئيل كان رجال يهودا ٥٠٠٠٠ رجل ، فجعلهم سفر الأيام ٤٧٠٠٠٠ رجل ، فأي السفرين أرقامه صحيحة؟ ومن المخطئ ، هل هو الروح القدس أم الكتبة الملمون؟
- ٣ - وهل كانت العقوبة التي خير داود ثلاثة سنين جوع أم سبع سنين.

وتعلق نسخة الرهبانية اليسوعية على أرقام القتل المهولة بقولها: «من الواضح أن الأرقام مبالغ فيها كما في كثير من الأرقام المهاشلة في العهد القديم ، وقد زيد عليها أيضاً في سفري الأخبار».

وتتحدث الأسفار عن مكان موت ودفننبي الله هارون ، فتقول: «وبنوا

(١) انظر: مناظرتان في استكهولم ، أحد ديدات ، ص (٢٩).

إسرائيل ارتحلوا من آباربني يعقال إلى موسير ، هناك مات هارون ، وهناك دفن « (الثنية ٦/١٠) .

وفي موضع آخر تذكر مكاناً آخر تزعم أن هارون مات فيه ، فتقول : « كما مات هارون أخوك في جبل هور » (الثنية ٣٢/٥٠) .

وتحاول دائرة المعارف الكتابية الجمع بين المكانين وإزالة التناقض بين النصين ، فتقول عن مسيرة : « ويسمى أيضاً موسير ، وهناك مات هارون وهناك دفن .. فلا بد أنها كانت قريبة من جبل هور ، حيث إن هارون مات في جبل هور » ^(١) .

والصحيح أن جبل هور بعيد عن موسير (مسيرة) ، فقد مرّ بنو إسرائيل في طريقهم إلى أدون بمسيرة ، وارتحلوا عنها ، فمرروا بستة منازل قبل أن يصلوا إلى جبل هور ، يقول سفر العدد : « ثم ارتحلوا من مسيرة ، ونزلوا في بني يعقال ، ثم ارتحلوا من بني يعقال ، ونزلوا في حور الجداج .. ونزلوا في يطبات .. ونزلوا في عبرونة .. ونزلوا في عصيون جابر .. ونزلوا في برية صين وهي قادش ، ثم ارتحلوا من قادش ، ونزلوا في جبل هور في طرف أرض أدون ، فصعد هارون الكاهن إلى جبل هور حسب قول الرب ، ومات هناك » (العدد ٣٣/٣١-٣٨) ، وعليه فجبل هور بعيد عن موسير بمقدار ستة منازل ، ففي أيهما مات هارون ودُفن ؟

ويذكر كل من سفري عزرا ونحريا قائمة طويلة بأعداد العائدين من السبي ، (انظر عزرا ٢/٦١-٦٤ ، ونحريا ٧/٦-٦٦) ، ويتفقان في كثير من الأرقام التي يذكراها ، ويختلفان أيضاً في كثير منها ، وفيها يلي بعض هذه الأرقام ، نضعها في جدول ليسهل على القارئ الكريم المقابلة بينها :

(١) دائرة المعارف الكتابية (٤/١٦١).

هل العهد القديم كلمة الله؟

١٧٥

اسماء القبائل سفر نجاشي	سفر حزرا	اسماء القبائل	اسماء القبائل سفر نجاشي	سفر حزرا	اسماء القبائل
٣٢٤	٣٢٣	بنو بيساي	٢١٧٢	٢١٧٢	بنو فرعوش
٣٢٨	٢٢٣	بنو حشوم	٣٧٢	٣٧٢	بنو شفطيا
٣٤٥	٣٤٥	بنو أريحا	٦٥٢	٧٧٥	بنو آرح
(معاً)	١٢٣	بنو بيت لحم	٢٨١٨	٢٨١٢	بنو فحث موآب
١٨٨	٥٦	رجال نطوفة	١٢٥٤	١٢٥٤	بنو عيلام
١٢٨	١٢٨	رجال عناثوث	٨٤٥	٩٤٥	بنو زتو
٤٢	٤٢	بنو عزموت	٧٦٠	٧٦٠	بنو زكاي
٣٢٠	٣٢٠	بنو حاريم	٦٤٨	٦٤٢	بنو باني (بنيوي)
٩٨	٩٨	بنو آطير	٦٢٨	٦٢٣	بنو بابا
١٢٢	٢٢٣	بيت ايل وعاعي	٢٣٢٢	١٢٢٢	بنو عرجد (عزجد)
١٢٢	١٢٢	رجال مخماس	٦٦٧	٦٦٦	بنو ادونيقام
٥٢	٥٢	بنو نبو الأخرى	٢٠٦٧	٢٠٥٦	بنو بغواي
٣٩٣٠	٣٦٣٠	بنو سناعة	٦٥٥	٤٥٤	بنو عادين
١٢٥٤	١٢٥٤	بنو عيلام	٦٢١	٦٢١	بنو الaramة وجبع
٩٥	٩٥	بنو جبار (جبعون)	١١٢	١١٢	بنو يورة (حاريف)
٧٢١	٧٢٥	بنو لود بنو حاديد واونو	٣٩٢	٣٩٢	جميع الثنين وبني عبد سليمان
٧٤	٧٤	بنو يشوع وقدميئيل	٦٤٢	٦٥٢	بنو دلايا بنو طوبيا
١٤٨	١٢٨	المغنوون بنو آساف	٩٧٣	٩٧٣	بنو يدعيا
لم يُذكروا	١٥٦	بنو مغبيش	١٠٥٢	١٠٥٢	بنو امير
١٠١٧	١٠١٧	بنو حاريم (الكهنة)	١٢٤٧	١٢٤٧	بنو فشحور
٧٤٣	٧٤٣	بنو قرية عاريم	١٣٨	١٣٩	بنو البوابين

		كفيرة وبثيروت			بنو شلوم بنو آطير بنو طلمون بنو عقوب بنو حطيطا بنو شوباي
٣١٠٨٩	٢٩٨١٨	ناتج الجمع الصحيح	٤٢٣٦٠	٤٢٣٦٠	المجموع حسب الكتاب المقدس

وكما يلحظ القارئ الكريم فإن هذه الأرقام متباعدة اختلف فيها السفران اختلافاً بيناً ، فأحد الملهمين أو كلامها خطأ ولا حالة ، والذى يخطئ في مثل هذه المسائل البسيطة لا يؤمن عليه الخطأ في المسائل اللاهوتية والأمور الهامة الأخرى .

لكن الأعجب أن الكاتبين ورغم اختلافهما الكبير في أعداد عدد من القبائل العائدية مع زربابل فإنهما يتتفقان في المجموع الكلي للعائدية ، هو (٤٢٣٦٠) ، فيقول عزرا : « كل الجمهوهور معًا اثنان وأربعون ألفاً وثلاث مائة وستون » (عزرا ٢/٦٤) ، ويوافقه نحرياً فيقول : « كل الجمهوهور معًا أربع ربوات وألفان وثلاث مائة وستون » (نحرياً ٧/٦٦) .

وكلامها خطأ ولا ريب ، إذ العائدون حسب عزرا (٢٩٨١٨) ، فيما عددهم حسب نحرياً (٣١٠٨٩) ، فمن الذي أخطأ في جمع أعداد العائدية من السبي ، هل هم الكتبة ، أم الروح القدس الذي زعموا أنه أهمهم ، أم أولئك الذين أعطوا الكلام البشر وتخليطهم صفة القداسة والإلهام ، وزعموا أن تخليطهم وأخطاءهم هي وحي الله وكلمته ! تعالى الله عن خطائهم وزلتهم علوًا كبيرًا .

ومن الأخبار التوراتية المتناقضة :

أنه جاء في سفر الملوك « كان أخزيا ابن اثنين وعشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة » (الملوك (٢) ٢٦/٨) .

وفي سفر الأيام ما ينافقه : « كان أخزيا ابن اثنين وأربعين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة » (الأيام (٢) ٢٢/٢) .

وما جاء في الأيام خطأ ولا ريب ، إذ أن يهورام الملك والد أخزيا قد مات وعمره أربعون سنة ، وتولى الحكم بعده ابنه أخزيا ، فلا يمكن أن يكون عمر ابنه أخزيا حينذاك اثنين وأربعين سنة .

لذلك عمد محققو الترجمة العربية المشتركة إلى تصحح الخطأ في سفر الأيام ، فالنص عندهم : « وكان أخزيا ابن عشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة بأورشليم » (الأيام (٢) ٢٢/٢) ، لكنه - وللأسف - لم يصحح في مئات التراجم العالمية التي يتداولها المسيحيون في العالم .

وقد أقر القس الدكتور منيس عبد النور في دفاعه الحميم عن الكتاب المقدس الموسوم بـ (شباهات وهمية) ؛ أقر بوقوع خطأ في سفر الأيام ، ورده إلى غلطة الناسخ ، لتشابه الحرف العبراني الذي يدل على الرقم (٢) مع الحرف الذي يدل على الرقم (٤) ، لكنه قلل من أهميته ، لأن « غلطة الناسخ هذه لا تُغير عقيدة يهودية ولا مسيحية » ^(١) .

وهنا نتساءل : إن كان الخطأ وقع من ناسخ واحد من نسخ المخطوطات التي يتفاخرون بكثرتها ، فلم تركوا المخطوطات الصحيحة ، وأخذوا بالخاطئ منها ، ومتى سيصلحون هذا الخطأ .

(١) شباهات وهمية حول الكتاب المقدس ، القس منيس عبد النور ، ص (١٦٦).

إننا نظن أن أحداً لن يجرؤ على القول بأن الغلط كان في جميع النسخ ، لأنه حينذاك يكون خطأ من المؤلف الأصلي للسفر أو من الروح الذي أوحى إليه بهذا الغلط .

ثم هل أخطأ النساخ في فقرات أخرى من الموضع التي لا تؤثر على العقيدة ؟ وكيف لنا أن نجزم بأنهم معصومون من الخطأ في قضايا العقيدة دون القضايا التاريخية التي تشكل غالباً أجزاء الكتاب المقدس .

ومثله وقع الخطأ في عمر يهوياكين الذي ملك بني إسرائيل ، فقد جاء في سفر الملوك « كان يهوياكين ابن ثمان عشرة سنة حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر في أورشليم » (الملوك ٢/٢٤) .

وفي سفر الأيام ما ينقضه ولا سبيل إلى الجمع ، إذ يقول : « كان يهوياكين ابن ثمان سنين حين ملك ، وملك ثلاثة أشهر وعشرة أيام في أورشليم » (الأيام ٢/٣٦) .

لذا يقول محرر وقاموس الكتاب المقدس : « يرجح أن روایة سفر الملوك الثاني هي الروایة الصحيحة » ^(١) .

ويتحدث سفر الأيام عن الملك شاول ، فيجعله من ذرية قيس بن نير ، فيقول : « نير ولد قيس ، وقيس ولد شاول » (الأيام ١/٨) ، وهذا مناقض لما جاء في سفر صموئيل ، حيث يخبرنا أن نير وقيس أخوان ، فيقول : « أبنير بن نير عم شاول ، وقيس أبو شاول ، ونير أبو أبنير ؛ ابنا إبيئيل » (صموئيل ١٤/٥٠-٥١) ، و(انظر صموئيل ١/٩) .

ويتناقض كتاب العهد القديم في نسبة يثروا والد عمارسا ، فيجعلونه مرة إسماعيلياً كما في سفر الأيام « وأبو عمارسا يثرا الإسماعيلي » (الأيام ١/٢١) ، وفي مرة أخرى

(١) قاموس الكتاب المقدس ، ص (١٠٩٩).

جعلوه إسرائيلياً ، لا إسماعيلياً كما زعم كاتب سفر صموئيل بقوله : « وكان عهسا ابن رجل اسمه يثرا الإسرائيلي » (صموئيل (٢) / ٢٥) ، فأيهما هو الصحيح ، ولا يمكن بحال من الأحوال أن يكون يثرا من نسل إسرائيل (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) وهو في نفس الوقت يتسبّب لعمه إسماعيل بن إبراهيم !

وتكرر نفس الخطأ والتناقض في سياق الحديث عن أم الملك حورام ملك صور ، ففي سفر الملوك أن حiram « ابن امرأة أرملة من سبط نفتالي » (الملوك (١) / ٧) ، وبينما يقول كاتب سفر الأيام بأنه « ابن امرأة من بنات دان » (الأيام (٢) / ١٤) ، ودان ونفتالي هما ابنا يعقوب من زوجته بلها ، فكيف أصبحت أم حورام من ذرية أخوين شقيقين ؟ أين سمعت الدنيا عن شخص يتسبّب لأخوين إلا في الكتاب المقدس ؟ !

ويتحدث سفر الملوك عن الهدايا التي أرسلها الملك حiram لسليمان ، فيذكر أنها ٤٢٠ وزنة ذهب ، فيقول : « فأرسل حiram في السفن عبيده النواقي العارفين بالبحر مع عبيد سليمان ، فأتوا إلى أوفير ، وأخذوا من هناك ذهباً أربع مائة وزنة وعشرين وزنة ، وأتوا بها إلى الملك سليمان » (الملوك (١) / ٩ - ٢٨) .

لكن سفر أخبار الأيام الثاني جعلها ٤٥٠ وزنة ذهب ، حيث يقول : « وأرسل له حورام بيد عبيده سفناً وعبيداً يعرفون البحر ، فأتوا مع عبيد سليمان إلى أوفير ، وأخذوا من هناك أربع مائة وخمسين وزنة ذهب ، وأتوا بها إلى الملك سليمان » (الأيام (٢) / ٨ - ١٨) ، فالفرق ٣٠ وزنة ذهب ، فهل أخطأ الروح القدس أم الكتبة الذين لم يعصموا من الخطأ والنسيان ؟

إن الكتبة الذين يخطئون في مثل هذه المسائل البسيطة لا يؤمن من أن يقع منهم الخطأ في القضايا العظيمة المتعلقة باللاهوت وسواء ، فمن فقد شرط العصمة والإلهام جاز عليه الخطأ في كل كلامه بلا تفريق .

ويذكر سفر صموئيل أنه « ولد لأبشالوم ثلاثة بنين وبنت واحدة اسمها ثamar ، وكانت امرأة جميلة المنظر » (صموئيل ٢/١٤). ٢٧/٢٧.

وفي سفر الملوك يذكر ابنة أخرى غير ثamar الوحيدة ، فيقول : « معكة ابنة أبشالوم » (الملوك ١٥/٢) فكيف زعم سفر صموئيل أنها وحيدة ؟

يذكر سفر الأيام أن رجيعاً أحب معكة ابنة أبشالوم ، وأنها ولدت له أبياً « وأقام رجيعاً أبياً ابن معكة رأساً وقائداً » (الأيام ٢/١١) ٢٢/٢٢ ، فمعكة بنت أبشالوم هي أم أبياً .

لكنه في السفر نفسه يقول : « ملك أبياً على يهودا ، ملك ثلاث سنين في أورشليم ، واسم أمه ميخا بنت أوريثيل من جبعة » (الأيام ٢/١٣-٢) ، فقد تغير اسم أمه من معكة بنت أبشالوم إلى ميخا بنت أوريثيل ؟ ولا يمكن أن تكون كلتا هما أمه !!

ثم يعود سفر الملوك فيأتي بالعجب وهو يتحدث عن آسا بن أبيا (أبيا) الذي ملك بعد أبيه أبيا (انظر الملوك ١٥/٨) ، فيقول السفر عن آسا : « ملك آسا على يهودا ، ملك إحدى وأربعين سنة في أورشليم ، واسم أمه معكة ابنة أبشالوم » (الملوك ١٥/٩-١٠) .

فأصبحت معكة زوجة لأبيا حسب سفر الملوك ، وأمّا لابنه آسا ، بينما رأيناها في سفر الأيام أمّا لأبيا ، لا زوجة له « أبيا ابن معكة » (الأيام ٢/١١) ٢٢/٢٢ ، فهل هي زوجة أبيا وأمّ أبنائه كما في سفر الملوك أم هي أمه كما في الأيام ؟ ولا يمكن أن تكون الاثنين معاً .

ويتحدث سفر صموئيل عن ميكال بنت شاول فيقول : « ولم يكن ميكال بنت شاول ولد إلى يوم موتها » (صموئيل ٦/٢) ٢٣/٦ ، ولكن في السفر نفسه يذكر أن لها ذرية ، وأن لهم خمسة من الأبناء من زوجها عذرائيل المحولي ، فيقول : « بني ميكال ابنة

شاول الخمسة الذين ولدتهم لعدرئيل ابن برزلاي المحولي » (صموئيل ٢١/٨) . والحق أن ليس ثمة تناقض هنا ، بل خطأ وقع فيه كاتب صموئيل الذي لم يميز بين ميكال وأختها ميرب التي تزوجت عدرئيل المحولي ، فقد جاء في سفر صموئيل « وكان في وقت إعطاء ميرب ابنة شاول لدواد أنها أعطيت لعدرئيل المحولي امرأة » (صموئيل ١٨/١٧) ، ثم حكى السفر قصة زواج داود من اختها ميكال .

وقد اعترف محرو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ ، وردوه إلى خطأ بعض المخطوطات القديمة ^(١) ، وقد أبدلت نسخة الكتاب المقدس المسماة « الكتاب المقدس الأمريكي الجديد » الصادرة عام ١٩٧٣ م ، أبدلت ميكال بميراب ، لتصحيح هذا الخطأ الكبير الذي مازال شائعاً في جميع الترجمات العالمية ، ليدلل على أن هذا الكتاب ليس كلمة الله .

وما تناقض فيه كتاب التوراة عدد وكلاء سليمان المسلطين على الشعب ، فزعم سفر الملوك أنهم ٥٥٠ وكيلًا ، في حين ذكر سفر الأيام أنهم ٢٥٠ وكيلًا فقط ، يقول سفر الملوك : « هؤلاء رؤساء الموكلين على أعمال سليمان خمس مائة وخمسون ، الذين كانوا يتسلطون على الشعب العاملين العمل ، ولكن بنت فرعون .. » (الملوك ٩/٢٣) .

في حين أن سفر الأيام يخالفه ، فيقول في نفس السياق : « وهؤلاء رؤساء الموكلين الذين للملك سليمان مائتان وخمسون المتسلطون على الشعب ، وأما بنت فرعون .. » (الأيام ٨/١٠) .

وتتحدث الأسفار قدوم رئيس شرطة نبوخذ نصر إلى أورشليم وأسره لبعض أعيانها ، فتناقض في هذا الخصوص في ثلاثة مواضع .

(١) انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٩٣٩) .

أولها : في عدد المأسورين من خواص الملك ، فيقول سفر إرميا : « وأخذ من المدينة خصيًّا واحدًا كان وكيلًا على رجال الحرب ، وسبعة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة » (إرميا ٥٢/٢٥) ، وهو بذلك ينافق سفر الملوك الذي جعل المأسورين من خواص الملك خمسة فقط ، فيقول : « ومن المدينة أخذ خصيًّا واحدًا كان وكيلًا على رجال الحرب ، وخمسة رجال من الذين ينظرون وجه الملك الذين وجدوا في المدينة » (الملوك ٢٥/٢٩) .

وثاني الموضع التي تناقض فيها السفران ، حديثها عن ارتفاع التاج الذي سلبه رئيس الشرطة البابلية ، فيذكر سفر إرميا أن ارتفاعه خمسة أذرع ، فيما يجعله سفر الملوك ثلاثة أذرع فقط ، يقول سفر إرميا : « وعليه تاج من نحاس ارتفاع التاج الواحد خمس أذرع » (إرميا ٥٢/٢٢) ، فيما يقول سفر الملوك : « وعليه تاج من نحاس ، وارتفاع التاج ثلاث أذرع » (الملوك ٢٥/٢٧) .

وأما ثالثها فهو تحديد اليوم الذي قدم فيه رئيس الشرطة إلى أورشليم ، هل كان في سابع الشهر الخامس أم في عاشره ، فكاتب سفر الملوك يرى أن قدوم « في الشهر الخامس ، في سابع الشهر ، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ ناصر ملك بابل ، جاء نبوزرادان رئيس الشرط عبد ملك بابل إلى أورشليم » (الملوك ٢/٢٥) ، فقد صرخ بأن مقدم رئيس الشرطة كان في اليوم العاشر ، وليس السابع ، يقول كاتب سفر إرميا : « في الشهر الخامس ، في عاشر الشهر ، وهي السنة التاسعة عشرة للملك نبوخذ راضر ملك بابل جاء نبوزرادان رئيس الشرط الذي كان يقف أمام ملك بابل إلى أورشليم » (إرميا ٥٢/١٢) ، فأي السفرين هو كلمة الله؟

ولما أراد داود أن يبني مذبحًا للرب اشتري مكان المذبح من أرنان الذي عرض

التبرع بمكان المذبح ، لكن داود رفض وأصر على دفع الثمن ، فكم الثمن الذي دفعه داود لأرنان ؟

ويجيب سفر صموئيل أنه خمسون شاقلاً من الفضة ، فيقول : « فقال الملك لأرون : لا بل اشتري منك بثمن ، ولا أصعد للرب إلهي محركات مجانية ، فاشترى داود البيدر والبقر بخمسين شاقلاً من الفضة ، وبنى داود هناك مذبحاً للرب ، وأصعد محركات وذبائح سلامه » (صموئيل (٢) / ٢٤-٢٥) ، وهذا السعر أقل بكثير مما ذكره سفر الأيام الذي جعل الثمن ستة شاقل من الذهب ، فقال : « ودفع داود لأرنان عن المكان ذهباً وزنه ستة شاقل ، وبنى داود هناك مذبحاً للرب ، وأصعد محركات وذبائح سلامه » (الأيام (١) / ٢٥-٢٦) ، وبين الثمين فرق كبير ، فأيهما دفعه داود لأرنان ؟

ويحدثنا الكاتب المجهول لسفر الملوك عن الملك السامری ياهو ، فيذكر أنه ملك على السامرة مدة ثمان وعشرين سنة ، يقول سفر الملوك « وكانت الأيام التي ملك فيها ياهو على إسرائيل في السامرة ثانية وعشرين سنة » (الملوك (٢) / ٣٦) .

ولو سألتُ القارئ الكريم في أي سني الملك يهوآش مات ياهو ، فلن يجد كبير عناء في القول بأن ذلك كان في السنة الحادية والعشرين من حكم يهوآش ، لأنه « في السنة السابعة لياهو ، ملك يهوآش ، ملك أربعين سنة في أورشليم » (الملوك (٢) / ١١) ، فقد تمت ياهو سنوات حكمه الشافي والعشرين ، فمات بعد واحد وعشرين سنة من تولي يهوآش الملك على مملكة يهودا ، فيبساطة لا يختلف عليها العقلاء $7 - 28 = 21$ ، لقد مات ياهو في السنة الحادية والعشرين للملك يهوآش .

وهذا الذي توصل إليه القارئ الكريم ينافسه الإصلاح الذي يليه من إصلاحات سفر الملوك ، حيث أفاد بموت ياهو وتولي ابنه يهوآحاز الملك في السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك يهوآش ، وليس الحادية والعشرين ، فيقول : « في

السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملِك يهودا ، ملَك يهوآحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة » (الملوك ٢ / ١٣) ، فهل كانت وفاة الملك ياهو وتولية ابنه في السنة الحادية والعشرين من حكم يهوآش أم في السنة الثالثة والعشرين منه ؟

ومن عجيب تناقضات الكتاب وقوعها في صفحة واحدة ، يكذب آخرها أو لها ، ليترك القارئ في دهشة وحيرة مما يقرأ ، إذ يخبرنا سفر الملوك عن مدة حكم الملك السامري يهوآحاز بن ياهو ، وأنه قد ملك مدة سبع عشرة سنة ، بدأت في السنة الثالثة والعشرين من حكم الملك اليهودي يهوآش « في السنة الثالثة والعشرين ليوآش بن أخزيا ملَك يهودا ملِك يهوآحاز بن ياهو على إسرائيل في السامرة سبع عشرة سنة » (الملوك ٢ / ١٣) ، ولو سألتُ القارئ في أي سنة من سني الملك يهوآش مات يهوآحاز ؟ فإنه سيجيب بأنها السنة الأربعين من حكم يهوآش .

ولن أسهب في شكره على توصله إلى الجواب بسرعة ، إذ لا صعوبة البتة في أن ندرك منها اختلاف ثقافاتنا وقدراتنا الرياضية أن $23 + 17 = 40$

لكن هذه النتيجة على بساطتها لم يتوصل إليها الكاتب المجهول لسفر الملوك ، إذ يقول في نفس الإصلاح وهو يحدثنا عن موت يهوآحاز وتولي ابنه يهوآش : « وفي السنة السابعة والثلاثين ليوآش ملَك يهودا ، ملَك يهوآش بن يهوآحاز على إسرائيل في السامرة » (الملوك ٢ / ١٣) ، فهل كان موت يهوآحاز في السنة الأربعين من حكم يهوآش - كما توصل القارئ الكريم - أم في السنة السابعة والثلاثين منه ؟ إني أختبئ الكثير من الشكر والتقدير لذلك العبراني الذي سيخبرني أي القولين كان الحق الذي أوحى به الله العليم ؟

ومثله تناقض الكتاب في صفحة واحدة في سياق حديثه عن مدة حكم الملك يواثام ، فيذكر في الفقرة الثانية والثلاثين أنه « ملَك يواثام بن عزيزا ملَك يهودا ، كان ابن

خمس وعشرين سنة حين ملك ، وملك ست عشرة سنة في أورشليم » (الملوك ٢/٣٣) ، لكن الفقرة الثلاثين في نفس الإصحاح تذكر أن يواثام ملك أكثر من ست عشرة سنة ، فتقول بأن هوشع بن أبيه قتل الملك فتح بن رمليا في « السنة العشرين ليواثام بن عزيا » (الملوك ٢/٣٠) . فهل ملك يواثام عشرين سنة أم ست عشرة سنة؟ سؤال آخر يبحث عن جواب ، ولا من مجيب .

ولن يكون وقوع التناقض في صفحة واحدة بأعجوب من وقوعه في فقرة واحدة ، ومثاله تناقض كاتب سفر الأيام في حديثه عن شيشان بن يشعى ، فقد قال : « وابن شيشان أحلاي » (الأيام ١/٢) ، ثم قال بعدها بسطرين : « ولم يكن لشيشان بنون ، بل بنات » (الأيام ١/٢) ، وحتى لا يطول عجب القارئ الكريم فإني أنقل له ما كتبه محققو الرهبانية اليسوعية في تفسير وقوع التناقض خلال سطرين فقط : « تقليد مختلف عن التقليد الذي في الآية ٣١ » ، أي أنها من مصدر آخر ، وكاتب آخر ، لأنه لا يعقل أن يقع كاتب بمثل هذا .

لكن دعونا نعرف بأن كاتبي دائرة المعارف الكتابية نجحوا في إزالة التناقض حين ذكروا أن أحلاي « اسم ابن شيشان أو بالحرفي اسم ابنته ، بناء على ما جاء بعد ٣٤؛ من أنه لم يكن لشيشان بنون »^(١) ، نعم لقد نجحوا هذه المرة ، فأحلاي ابنة شيشان ، وليست ابنته ، وقد أخطأ الكاتب المlem حين قال : « وابن شيشان أحلاي » ، وكان ينبغي أن يقول : « وابنة شيشان أحلاي » ، وهكذا في إمكان قارئنا الكريم نقل هذا الشاهد من باب التناقضات إلى موضعه في الباب القادم (أغلاط العهد القديم) .

لكن العجب والدهش يلجمان قارئ الكتاب المقدس ، وهو يرى سلسلة من

(١) دائرة المعارف الكتابية (١/٨٨).

التناقضات يقع فيها كاتب سفر الملوك الثاني ، فیناقض نفسيه مرة بعد مرة ، وهو يحدثنا عن الملك يهورام بن اخاب ملك مملكة إسرائيل ، فقد تولى الملك بعد أخيه أخزيا ، وكان توليه الملك إبان حكم الملك يهورام بن يهوشافاط لمملكة يهودا ، وتحديداً في السنة الثانية لحكم الملك يهورام اليهودي ، يقول مؤلف سفر الملوك : « وملك يهورام (ابن اخاب) عوضاً عنه في السنة الثانية ليهورام بن يهوشافاط ملك يهودا » (الملوك ٢/١٧).

لكن كاتب السفر - الملمهم حسب اعتقاد النصارى - سرعان ما غير رأيه ، فرغم أن تولي يهورام للحكم كان في السنة الثامنة عشرة من ملك الأب يهوشافاط ، وليس في عهد ابنه كما كان قد زعم ، يقول : « وملك يهورام بن اخاب على إسرائيل في السامرية في السنة الثامنة عشرة ليهوشافاط ملك يهودا » (الملوك ٢/٣) ، فمرة زعم أن الملك السامری يهورام تولى الحكم زمن الملك اليهودي يهوشافاط ، ومرة زعم أنه تولاه في زمن ابنه ، وبين التاریخین فرق تسع سنوات ، وهي السنوات السبع الباقية من حكم الأب يهوشافاط . (انظر الملوك ١/٤٢ ، ٢/٤٢) ، إضافة إلى الستين الأولین من حكم ابنه .

ورغم الاختلاف الذي ذكرناه آنفاً في وقت تولي الملك يهورام ابن اخاب الملك في السامرية ، (هل هو بعد ١٨ سنة من حكم يهوشافاط (الملوك ٢/٣) أو بعد ستين من حكم ابنه يهورام (الملوك ٢/١٧)) ، إلا أنه على كل حال تولى الحكم بعد أن سبقه الاثنان إلى حكم أورشليم .

وهذا ما يعود لنقضه الكاتب المجهول لسفر الملوك ، إذ يزعم أن يهورام بن اخاب ملك على السامرية قبل تولي الملك يهورام بن يهوشافاط على أورشليم ، فيقول : « وفي السنة الخامسة ليهورام بن اخاب ملك إسرائيل .. ملك يهورام بن يهوشافاط ملك يهودا » (الملوك ٢/٨) ، فأي اليهورامين تولى أولاً ؟ ابن اخاب كما يصرح في (الملوك ٢/٨) أم ابن يهوشافاط كما في (الملوك ٢/١٧) .

تناقض عجيب لكاتب واحد نضعه بين يدي أولئك الذين مازالوا يزعمون أن هذا السفر بعض وحي الله !

ولا تنته عجائب سفر الملوك الثاني بخصوص الملوك المسميين (يهورام) ، فالمملك يهورام اليهودي - كما رأينا في النص السابق - ملك مدة ثمانين سنين بدأت في السنة الخامسة للملك السامری يهورام بن اخاب ، أي مات في السنة الثالثة عشرة من حكم الملك السامری .

وهذا الحساب البسيط يكذبه كاتب سفر الملوك مرتين ، الأولى حين زعم أن وفاة الملك اليهودي وتولي ابنه كانت بعد إثنى عشرة سنة من حكم الملك السامری ، فقال : « في السنة الثانية عشرة ليورام بن اخاب ملك إسرائيل ؛ ملك أخريا بن يهورام ملك يهودا » (الملوك ٢ / ٨) .

لكنه عاد فأكذب نفسه ، وزعم أن يهورام اليهودي مات في السنة الحادية عشرة من ملك يهورام السامری ، فقال : « في السنة الحادية عشرة ليورام بن اخاب ؛ ملك أخريا على يهودا » (الملوك ٩ / ٢) ، فهل من أحد يجرؤ أن يقول بأن كاتب سفر الملوك الثاني كتب ما كتب بوحي الله وقد ناقض نفسه في هذه الموضع جميعاً ؟

إن الاختلاف والخطأ في أعمار الملوك أوصلت المؤرخين إلى طريق مسدود في التوفيق بينها ، لذا يقول القس صموئيل يوسف : « يصعب حصر فترات حكم الملوك والتأكد منها لمناقشتها بالتحديد ، فربما ملك يهودا ويربعان ملك إسرائيل اعتصيا العرش في وقت واحد ، وأخريا ملك يهودا ويهورام ملك إسرائيل عاشا في وقت واحد ، وجملة سنين مملكة يهودا حتى هذا الوقت ٩٥ سنة ، وجملة سنين مملكة إسرائيل ٩٨ سنة ..

سقطت السامرة عاصمة المملكة الشهابية في إسرائيل في السنة السادسة لخزقيا ملك يهودا ، وجمدة السنين لمملكة إسرائيل حتى هذه الفترة ١٤٣ سنة ، وفي مملكة يهودا

١٦٥ سنة ، وهذا الفارق الكبير أزعج القس فانطلق يضع له المعاذير الباردة ، وهذه المعاذير تلقي باللائمة على الروح القدس لأنه لم تكن له قاعدة ثابتة في الإلحاد للكتاب الملهمين « ففي بعض الكتابات لم ت hubs مثلًا سنة اعتلاء العرش ، ويفيد احتساب الحكم في السنة التالية لها ، بينما في حالات أخرى ت hubs من وقت اعتلاء الحكم »^(١) .

وصدق الله : ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ ۝ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِيلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] .

(١) المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف (ص ١٨٠-١٨١) .

أغلاط العهد القديم

عندما نتحدث عن كتاب مقدس ، فإنه من الطبيعي أن نسلم بعصمة هذا الكتاب ، وأن ما فيه هو وحي الله ﷺ .

إذ وجود الخطأ فيه يعني أن الله يخطئ ، أو أن الروح القدس يخطئ ، أو أن الرسول المبلغ يخطئ .

وهذه الاحتمالات كلها مرفوضة باتفاق الأمم وبدلالة العقل ، إذ الخطأ صفة بشرية لا يمكن أن تصدر من الله أو آمناء وحيه من الملائكة أو الرسل ، ففي ذلك تلبيس على البشر وإضلال لهم .

ولكنا حين نتصفح أسفار الكتاب المقدس نجد أغلاطاً توراتية كثيرة ، كل منها يشهد ببراءة الله ووحيه من هذا الكتاب ، ومن هذه الأغلاط :

أن سفر التكوين يحكي عن خيانة إخوة يوسف لأخيهم ، فيذكر أن تجارةً مديانيين أخرجوه من البئر ، وباعوه لقوم من الإسماعيليين بعشرين من الفضة ، وأن هؤلاء الإسماعيليين قد حملوه معهم إلى مصر « اجتاز رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف ، وأصعدوه من البئر ، وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة ، فأتوا بيوسف إلى مصر » (التكوين ٣٧/٢٨) .

وفي مصر بيع يوسف لفوطيفار ، والمفترض أن الذي باعه لفوطيفار هم الإسماعيليون الذين حملوه إلى مصر بعد أن اشتروه بعشرين من الفضة ، لكن كاتب السفر أخطأ فقال : « أما المديانيون فباعوه في مصر لفوطيفار خصي فرعون رئيس الشرط » (التكوين ٣٧/٣٦) ، والمفترض أن الإسماعيليين هم الذين باعوه لفوطيفار ، وهذا هو الصحيح ، إذ يعود سفر التكوين لتقريره فيقول : « واشتراه فوطيفار خصي فرعون

رئيس الشرط رجل مصرى من يد الإسماعيليين الذين أنزلوه إلى هناك » (التكوين ١/٣٩) . فمن المسئول عن هذا الخطأ ؟ هل هو الله ؟ تعالى عن ذلك ، أم هو الكاتب المجهول الذى كتب السفر ؟ أم نسخ آلاف المخطوطات الذين لم يكونوا أمناء في نساختهم للأسفار ؟ أم أولئك الذين اعتبروا هذه الكتابات التاريخية - بما فيها من خلل وزلل - كلمة الله ؟

أيا كانت الإجابة ، فإن الكتاب المقدس لم ينج من الخطأ والزلل ، مما يمنع أن يكون بحق كلمة الله .

ومن أخطاء الكتاب المقدس ما زعمه سفر الأيام من إدراك الملك السامری بعشا للسنة السادسة والثلاثين من حكم الملك اليهودي آسا ، وبناؤه للramaة فيها ، حيث يقول : « في السنة السادسة والثلاثين ملك آسا صعد بعشا ملك إسرائيل على يهودا وبني الramaة » (الأيام ١/١٦) ، وهو خطأ - ولا ريب - لأن الملك بعشا مات قبل هذا التاريخ بتسعة سنين .

وإثبات ذلك ميسور ، فقد ملك بعشا في السنة الثالثة من حكم آسا ، ويقى في الملك مدة أربع وعشرين سنة ، أي أنه مات في السنة السابعة والعشرين من حكم الملك آسا ، فقد جاء ذلك في سفر الملوك « في السنة الثالثة لآسا ملك يهودا ملك بعشا بن أخيه على جميع إسرائيل في ترصة أربعًا وعشرين سنة » (الملوك ١٥/٣٣) .

وما يؤكّد هذا أنه قد توالى على الملك بعده في هذه السنوات التسع ثلاثة ملوك : وهم : ابنه أيلة ، ثم زمري ، ثم عمري .

ويحدد لنا سفر الملوك - بدقة - سنوات تولي الملوك الثلاثة ، فيقول : « واضطجع بعشا مع آبائه ، ودفن في ترصة ، وملك أيلة ابنه عوضا عنه .. في السنة السادسة والعشرين لآسا ملك يهودا ملك أيلة بن بعشا على إسرائيل .. فدخل زمري ، وضربه ،

فقتله في السنة السابعة والعشرين لآسا ملك يهودا ، وملك عوضا عنه .. في السنة الواحدة والثلاثين لآسا ملك يهودا ملك عمرى على إسرائيل اثنتي عشرة سنة » (الملوك ١٦/٢٣-٦) ، فكيف يبني بعشا الرامة في السنة السادسة والثلاثين من حكم آسا ، وقد مات قبلها بتسعة سنين !

ومن أغلاظ الكتاب أيضاً في نفس سياق قصة بناء الرامة أن شروع الملك بعشا ملك مملكة إسرائيل الشمالية في بناء الرامة أغضب الملك آسا ملك مملكة يهودا الجنوبية ، فاستعان الملك اليهودي بملك أرام بنهدد ليحارب إخوته في مملكة بني إسرائيل الشمالية ، فجاء الملك بنهدد بجيشه ، وضرب عيون الماء في ومخازن الطعام في مملكة إسرائيل ، مما أجبر الملك بعشا على الكف عن البناء (انظر الأيام ٦/١٦)(٢).

واستقبع الرائي حناني صنيع الملك آسا واستعانته بالأراميين على إخوته ، فقال له : « من أجل أنك استندت على ملك أرام ولم تستند على رب إلهك ، لذلك قد نجا جيش ملك أرام من يدك » (الأيام ٧/١٦)(٢).

وقوله : « نجا جيش ملك أرام » غلط ولاريب ، لأن الذي نجا هو جيش إسرائيل ، وليس جيش أرام المتحالف مع جيش يهودا ، وقد تنبه لهذا الخطأ محروو الترجمة العربية المشتركة ، فقالوا : « نجا من يدك ملك إسرائيل » .

ورغم استنكارنا لهذا التدخل البشري فيما يسمونه كلمة الله ، لكنه على كل حال أهون من الإصرار على الخطأ ، وليت جميع النسخ الجديدة تصنع مثل هذا الصنيع .

ومن الأغلاط ما جاء في سفر صموئيل عن عمر شاول عندما ملك على بني إسرائيل حيث يقول : « كان شاول ابن سنة في ملكته ، وملك ستين على إسرائيل » (صموئيل ١/١٣)(١) .

وهذا أمر لا يعقل أبداً ، كما أنه يتناقض مع كل ما تقدمه التوراة من معلومات

عن شاول الملك الكبير ، وكيفية اختياره ، ورفضه لتزويج ابنته ميكال لداود إبان ملكه [شاول] ، ثم تزوج داود بها عقب توليه الملك .

فذلك كله وغيره مؤذن بوجود غلط في هذا النص .

ولتفادي ذكر هذا الغلط عمدت بعض الترجمات الحديثة إلى ترك مكان السن فارغاً ، وهو ما صنعه محققو الرهبانية اليسوعية ، ففيها : « وكان شاول ابن .. حين صار ملكاً ، وملك .. سنة على إسرائيل » .

وأشاروا في الهاامش إلى مصدر هذا الغلط ، فقالوا عما ورد في النص العربي : « وهذا أمر غير معقول ، لربما لم يعرفوا عمر شاول عند ارتقائه العرش ، أو لربما سقط العمر عن النص ، أو لربما قصرت مدة ملكه إلى ستين لعنة لاهوتية » .

ولنا أن نتساءل هل كان كتبة الأسفار الملهمون يكتبون وفق معارفهم ، أم كانوا يكتبون ما يملئه عليهم الروح القدس ؟ .

وفي محاولة أخرى لتبرير هذا الغلط يقول مطران دمشق سمعان الخصروفي في كتابه (تسهيل صعوبات الكتاب المقدس) : « هذا القول لا يعني على أن شاول كان ابن سنة بالعمر ، بل إنه حين ملك كان باراً وديعاً صالحًا لا يعرف الغش ، مثل طفل ابن سنة ، ولما ملك ستين على إسرائيل دخل الغش في قلبه ، وصار كبيراً مثل شيخ عارف ، وقال : إنه ملك ستين لا غير ، أعني ما استقام على البرارة وعدم المخالفه والقسط إلا ستين فقط ، ودخل في الإثم والغش وقلة رضا الله »^(١) .

ولا يخفى ضعف هذا التبرير على القارئ الحصيف ، إذ هو إحدى البهلوانيات التي يركبها أولئك الذين أضناهم ترقيق الطوام التي وجدوها في كتابهم .

١- الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٢٤ - ١٢٥) .

وأحياناً يخطئ الكتاب في عمليات حسابية لا تخفي على صغار الطلاب في المدارس ، ومنه الخطأ الذي وقع به كاتب سفر العدد ، وهو يجمع أعداد ذكور بني لاوي الذين تجاوزوا الشهر ، فقد « عدّهم موسى كما أمر الرب .. [فكانت أعدادهم كال التالي :] هذه هي عشائر الجرشونيين ، المعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ، المعدودون منهم سبعة آلاف وخمس مائة [٧٥٠٠] .. هذه عشائر القهاتيين ، بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ثمانية آلاف وست مائة [٨٦٠٠] حارسين حراسة القدس .. هذه هي عشائر مراري ، والمعدودون منهم بعدد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ستة آلاف ومئتان [٦٢٠٠] » (العدد ٣/١٥-٣٤).

ولا يحتاج القارئ الكريم إلى حاسوب ليدرك أن مجموع المعدودين هو (٢٢٣٠٠) ، المسالة الحسابية بسيطة : $٦٢٠٠ + ٨٦٠٠ + ٧٥٠٠ = ٢٢٣٠٠$ ، لكن المفاجأة أن الكاتب الملهم أخطأ فقال : « جميع المعدودين من اللاويين الذين عدّهم موسى وهرون حسب قول الرب بعشائرهم كل ذكر من ابن شهر فصاعدا اثنان وعشرون ألفاً [٢٢٠٠٠] » (العدد ٣/٣٩).

وقد تنبه لهذا الخطأ مترجمو السبعينية ، فأنقضوا من عشائر القهاتيين ثلاثة مائة ، ليصبح عددهم (٨٣٠٠) ، وقال محققون الترجمة العربية المشتركة : « في اليونانية : ٨٣٠٠ ، وهذا يتواافق مع جمع الأعداد في الآية ٣٩ » ، وقد صحح الآباء اليسوعيون هذا الخطأ في نسخة الرهبانية اليسوعية ، فقالوا : « تلك هي عشائر القهاتيين ، فكانوا بعد كل ذكر من ابن شهر فصاعدا ثمانية آلاف وثلاث مائة (٨٣٠٠) » ، لقد أثبتوا مهاراتهم في الرياضيات ، وأنهم أقدر في هذا الفن من كاتب سفر العدد الذي يزعمون أنه كان يلهم من الله .

ومن الأغلاط أيضاً ما جاء في سفر الأيام « وقد أذل الرب يهودا بسبب آهاز

ملك إسرائيل » (الأيام ٢٨/٢٨) ، فالنص يزعم أن آحاز ملك مملكة إسرائيل الشهالية .

والصحيح أن آحاز ملك على مملكة يهودا الجنوبية ، وبسببه أذل الله مملكته ، وهو الملك الحادي عشر من ملوك مملكة يهودا الجنوبية ، كما ذكر محرر قاموس الكتاب المقدس .

ومن الأغلاط ما جاء في كتاب القضاة « وكان غلام من بيت لحم يهودا من عشيرة يهودا ، وهو لاوي » (القضاة ١٧/٧) ، ولا يمكن أن يكون الغلام لاويًا ومن نسل يهودا ، فكلاهما ابن يعقوب ، وهو من نسل أحدهما لا محالة .

وقد اعترف بهذا الغلط هيوبى كينت والمفسر هارسلى ، وذكروا أن قوله : « وهو لاوي » عبارة إلخاقية ، وأخرجها هيوبى من المتن ^(١) .

ووقع الغلط من كاتب سفر الخروج حين زعم أن جميع مواشي المصريين قد ماتت ، ثم ذكر بعدها بسطور أن مواشيهم أصيبت بالدمامل والبثور ، يقول السفر : « فعل رب هذا الأمر في الغد : فماتت جميع مواشي المصريين . وأما مواشيبني إسرائيل ، فلم يمت منها واحد » (الخروج ٩/٦) .

وبعد سطور وفي السفر نفسه ذكر أن فرعون لم يؤمن بعقوبة جديدة ، وهي الدمامل فيقول السفر : « ثم قال رب لموسى وهارون : خذَا ملء أيديكما من رماد الأتون . وليدرّه موسى نحو السماء أمام عيني فرعون . ليصير غباراً على كل أرض مصر ، فيصير على الناس وعلى البهائم دمامل طالعة ببشر في كل أرض مصر ، فأخذوا رماد الأتون ، ووقفا أمام فرعون ، وذرarah موسى نحو السماء ، فصار دمامل بثور طالعة

(١) انظر : إظهار الحق ، رحمة الله الهندى (٤٨٧ - ٤٨٨) .

في الناس وفي البهائم » (الخروج ٩/٨-١٠) ، فكيف أصيّبت بهائمه ، وقد ماتت جميعاً .

ويعود النص التوراتي مرة أخرى للحديث عن مواشي المصريين وعن تهديد موسى لفرعون بإفانائها ، والافتراض أنها فنيت جميعاً ، فيقول لفرعون : « ها أنا أغدا مثل الآن أمطر برداً عظيماً جداً لم يكن مثله في مصر منذ يوم تأسيسها إلى الآن ، فالآن أرسل ، احرموا ما ينسلك وكل ما لك في الحقل ، جميع الناس والبهائم الذين يوجدون في الحقل ، ولا يجتمعون إلى البيوت ينزل عليهم البرد فيموتون ، فالذي خاف كلمة رب من عبده فرعون هرب بعبيده ومواشيه إلى البيوت » (الخروج ٩/٨-١٠/٢١) .

ومثله وقع الغلط في أسفار العهد القديم في سياق الحديث عن صلة القرابة بين الملك يهوياكين والملك صدقيا الذي عينه نبوخذنصر بعد أن عزل يهوياكين ، إذ يذكر سفر الأيام أنه أخ لصدقى ، فيقول : « وملك صدقى أخاه على يهودا وأورشليم » (الأيام ٢/٣٦) .

والصحيح أن صدقى عم يهوياكين حيث إن عمر يهوياكين أكبر أبناء أبيه عندما ملك كان حوالي ثمان سنين ، وملك لمدة ثلاثة شهور وعشرة أيام فقط . (انظر الأيام ٢/٣٦) .

بينما كان عمر صدقى حينذاك إحدى وعشرين سنة . (انظر الأيام ٢/٣٦) ، ولو كان أخاً ليهوياكين لكان ينبغي أن يكون أقل من ثمان سنوات لأن يهوياكين أكبر أبناء أبيه .

وقد اعترف محررو قاموس الكتاب المقدس بهذا الخطأ ، وتأولوه قائلين : « دعى أخاً ليهوياكين أي نسيبه ، أو من أصل واحد ». واعترف به أيضاً وارد الكاثوليكي في كتابه (الأغلاط) .

ومن الأغلاط ما ذكره سفر التكوين من اطلاع أم عيسو على ما أضمره ابنها في قلبه ، حيث يقول : « قال عيسو في قلبه : قربت أيام مناحة أبي . فأقتل يعقوب أخي . فأخبرت رفقة بكلام عيسو ابنها الأكبر » (التكوين ٤١-٤٢ / ٢٧) ، والمفروض أنه أضمره فكيف أطلعت عليه ؟

ومن الأغلاط حديث التوراة عن رحلة هاجر وابنها إسماعيل ، إذ تذكر التوراة أن ذلك كان بعد مولد إسحاق وفطامه ، ثم هي تتحدث عن حمل هاجر لابنها إسماعيل على كتفها ، وكأنه طفل صغير ، وقد كان عمره حينذاك لا يقل عن ستة عشر عاماً ، كما يتضح من عمر إبراهيم حين ولادة ابنه . (انظره في التكوين ١٦ / ٥ ، ١٦ / ٢١).

فالكاتب لهذا السفر غلط ونبي أنه يتحدث عن شاب ، وليس عن طفل صغير ، يقول كاتب السفر : « فكبر الولد (إسحاق) وفطم ، وصنع إبراهيم وليمة عظيمة يوم فطام إسحاق .. فبكر إبراهيم صباحاً وأخذ خبزاً وقربة ماء ، وأعطاهما هاجر واضعاً إياهما على كتفها والولد ، وصرفها ، فمضت .. ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت ، وجلست مقابلة بعيداً نحو رمية قوس ، لأنها قالت : لا أنظر موت الولد .. ونادى ملاك الله هاجر من السماء ، وقال لها : مالك يا هاجر ، لا تخافي لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو ، قومي احملي الغلام وشدي يدك به .. فذهبت وملأت القربة ماء ، وسقطت الغلام » (التكوين ٢١ / ٧-١٩).

ويتحدث سفر التكوين عن سارة زوجة إبراهيم ، فيذكر من جماها وحسنها أنها وقعت في استحسان فرعون مصر هي تبلغ الخامسة والستين من العمر ، ومثل هذا غير معهود في النساء ، إذ يذوي الجمال والحسن دون هذا السن ، وامرأة في الخامسة والستين لا نراها تصلح لتكون محلاً لإعجاب الملوك وهيamong them .

ثم لما تجاوزت التسعين وقعت في استحسان ملك جرار أبيالك ، ومثل هذا من الشطط الذي يتنزه عنه وحي الله وكتبه .

ولبيان هذه المسألة نبين أن سارة تصغر عن زوجها بعشر سنين ، فقد جاء في سفر التكوان أن إبراهيم قال : « هل يولد لابن مائة سنة ؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين سنة ؟ ! » (التكوان ١٧ / ١٧) ، فيبينهما عشر سنين .

وقد غادر إبراهيم حاران ، وعمر سارة خمس وستون سنة « وكان إبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران ، فأخذ إبرام ساراي امرأته ولوطاً ابن أخيه وكل مقتنياتها .. فأتوا إلى أرض كنعان » (التكوان ١٢ / ٥ - ٤) ، ثم بعد ذلك انطلق إلى مصر ، حيث أعجب فرعون بسارة ، وقد تجاوزت الخامسة والستين « وحدث لما قرب أن يدخل مصر أنه قال لساراي امرأته : إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر ، فيكون إذا رأك المصريون أنهم يقولون : هذه امرأته ، فيقتلونني ويستبكونك .. فحدث لما دخل إبرام إلى مصر أن المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً ، ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون ، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون .. » (التكوان ١٢ / ١١ - ١٥) .

ثم يتحدث سفر التكوان عن بلوغ إبراهيم التاسعة والتسعين واحتانته في هذا السن ، (التكوان ١٧ / ٢٤ - ٢٥) . مما يعني بلوغ سارة التسعين ، وبعده يتحدث السفر عن مضي إبراهيم وزوجه العجوز إلى الجنوب ، ليُعجب ويؤخذ بجهاها - هذه المرة - أبيالك ملك جرار ، « وانتقل إبراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور ، وتغرب في جرار ، وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي ، فأرسل أبيالك ملك جرار أخذ سارة » (التكوان ٢٠ / ١ - ٣) ، فهل يعقل أن امرأة قاربت التسعين يقع في هياتها الملوك ؟ إنه أحد أغلاط الكتاب المقدس ، وأحد شهاداته على أنه من صنع البشر .

ومن الأغلاط أيضاً تلك الوعود التي وعدت بها التوراة ، ثم لم تتحقق فدل على أنه غلط ، ولو كان حقاً لتحقق الوعود .

ومن هذه الوعود قول التوراة أن الله قال لإبراهيم : « وأما أنت فتمضي إلى آبائك سلام ، وتدفن بشيبة صالحة ، وفي الجيل الرابع يرجعون إلى ههنا » (أي فلسطين) ، (التكوين ١٥ / ١٥ - ١٦) .

والواقع التاريخي يكذب هذا النص فقد كان الجيل الثالث والرابع من إبراهيم وهم الأسباط وأبناؤهم ، كانوا هم الداخلين إلى مصر ، لا الخارجين منها ، وأما الخارجون منها فهم الجيل السادس من أبناء إبراهيم .

ومن هذه الوعود الزائفة ما زعمه كاتب سفر الأيام ، حين قال بأن الله وعد إسرائيل بقوله لناثان النبي : « وعيت مكاناً لشعبي إسرائيل ، وغرسته ، فسكن في مكانه ، ولا يضطرب بعد ، ولا يعود بنو الإثم يذلونه كما في الأول » (الأيام ١ / ٩) .

ولم يتحقق هذا الوعد الذي زعموا أن الله وعده ، فقد ذُلَّ بنو إسرائيل على يد بختنصر ، وأخرجوا من ديارهم ، ولم يتحقق ما قيل لناثان : « متى كملت أيامك ، واضطجعت مع آبائك أقيم بعده نسلك الذي يخرج من أحشائك ، وأثبت مملكته ، هو يبني بيته لا سمي ، وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد » (صموئيل ٢ / ٧ - ١٠ / ١٣) .

وأيضاً تذكر التوراة أن الله وعد نبوخذ نصر الوثني وعداً لم ينجز فهو من الأغلاط ولا ريب ، فقد وعده أن يملكه على مدينة صور ، ثم لم يتحقق له ذلك ، فوعده بأرض مصر ، ولم يتحقق ذلك أيضاً ، فدل ذلك على أن هذا الوعد ليس من الله ، لأن الله قادر على إنجاز وعده ، فقد جاء في سفر حزقيال « قال السيد رب : ها إنذا أجلب على صور نبوخذ راصل ملك بابل من الشمال ، ملك الملوك ، بخيل وبمرکبات وبفرسان وجماعة وشعب كثير ، فيقتل بناتك في الحقل بالسيف ، ويبني عليك معاقل ، ويبني عليك برجاً ، ويقيم عليك مترسة ، ويرفع عليك ترساً ، ويجعل مجائق على أسوارك ، ويهدم أبراجك بأدوات حربه ، ولكثره خيله يغطيك غبارها ، من صوت

الفرسان والعربات والمركبات تتزلزل أسوارك عند دخوله أبوابك كما تدخل مدينة مثغورة ، بحوافر خيله يدوس كل شوارعك ، يقتل شعبك بالسيف ، فتسقط إلى الأرض أنصاف عزك ، وينهبون ثروتك ، ويغنمون تجارتكم ، ويهدون أسوارك ، ويهدمون بيوتك البهيج ، ويضعون حجارتك وخشبك وترابك في وسط الماء .. لا تُبنين بعد ، لأنني أنا الرب تكلمت» (حزقيال ٢٦/١٤).

لكن هذا الوعد لم يتحقق كما أسلفنا ، إذ استعصت صور على ملك بابل ، ولم يدخلها ، ولم يغنم منها غنيمة ، فوعد بأرض مصر بدلاً عنها ، يقول السفر : «كلام رب كان إلي قائلًا : يا ابن آدم ، إن نبؤخذ راصل ملك بابل استخدم جيشه خدمة شديدة على صور ، كل رأس قرع ، وكل كتف تجردت ، ولم تكن له ولا لجيشه أجرا من صور لأجل خدمته التي خدم بها عليها ، لذلك هكذا قال السيد الرب : هأنذا أبذل أرض مصر لنبوخذ راصل ملك بابل ، فيأخذ ثروتها ، ويغنم غنيمتها ، وينهب ثيبها ، فتكون أجرا لجيشه ، قد أعطيته أرض مصر لأجل شغله الذي خدم به ، لأنهم عملوا لأجلني» (حزقيال ٢٩/١٧).

ولم يتحقق ذلك الوعد إذ لم يملك بنو خذ نصر أرض مصر أبداً ، وإن وصلت جيوشه إلى حدود مصر سنة ٦٠٥ ق.م ، حين هزمت قواته المصريين في معركة قرقميش ، لكن بقيت مصر تحت حكم الأسرة السادسة عشرة من حكام الفراعنة .

ولم تتحقق تلك الوعود التي استمرت الأسفار تعرضها في أربعة إصلاحات من سفر حزقيال ، وما جاء فيها «لذلك هكذا قال السيد الرب : هأنذا أجلب عليك سيفاً ، واستأصل منك الإنسان والحيوان . وتكون أرض مصر مقفرة وخربة .. وأجعل أرض مصر خرباً خربة مقفرة ، من مجده إلى أسوان إلى تخم كوش ، لا تمر فيها رجل إنسان ، ولا تمر فيها رجل بحيم ، ولا تسكن أربعين سنة . وأجعل أرض مصر مقفرة في وسط

الأراضي المقدمة ، ومدتها في وسط المدن الخربة تكون مقدمة أربعين سنة ، وأشتت المصريين بين الأمم ، وأبددهم في الأرض ، لأنه هكذا قال السيد رب : عند نهاية أربعين سنة أجمع المصريين من الشعوب الذين تشتتوا بينهم ، وأرد سبي مصر ، وأرجعهم إلى أرض فتروس ، إلى أرض ميلادهم ، ويكونون هناك مملكة حقيقة ، تكون أحرق الملك ، فلا ترتفع بعد على الأمم ، وأقللهم لكيلا يتسلطوا على الأمم » (حزقيال ١٥-٨ / ٢٩).

ويمضي السفر فيقول : « قال رب : ويسقط عاصدو مصر وتنحط كبراء عزتها من مجلد إلى أسوان يسقطون فيها بالسيف .

يقول السيد رب : فتقفر في وسط الأرض المقدمة ، وتكون مدتها في وسط المدينة الخربة فيعلمون أنني أنا رب .. قال السيد رب : إنني أبيد ثروة مصر بيد بنو خذ نصر ملك بابل » (حزقيال ٣٠ / ٦-١٠).

ومثله « قال السيد رب : سيف ملك بابل يأتي عليك ، بسيوف الجبارية أُسقط جهورك ، كلهم عنة الأمم ، فيسلبون كبراء مصر ، وبذلك كل جهورها ، وأبيد جميع بهائمها عن المياه الكثيرة ، فلا تقدرها من بعد رجل إنسان ، ولا تعكرها أظلاف بهيمة ، حيثئذ أنضب مياهم ، وأجري أنهارهم كالزيت .

يقول السيد رب : حين أجعل أرض مصر خراباً ، وتخلو الأرض من ملئها عند ضرب جميع سكانها يعلمون أنني أنا رب » (حزقيال ٣٢ / ١١-١٥) ، إن أيّاً من هذه الوعود لم يتحقق ، وعدم تتحققه يدل على أن هذا من أغلالات الكتاب ، وهو دليل بطلانه وكذب كاتبه .

وأيضاً من الأغلالات حديث إرميا عن نسل داود فيقول : « كما أن جند السماوات لا يعد ، ورمل البحر لا يحصى ، هكذا أكثر نسل داود عبدي ، واللاويين خادميّ » (إرميا

(٢٢/٣٣)، لكن الواقع يكذب ذلك ، فاليهود أقل أهل الأرض عدداً ، إذ لا يبلغ تعدادهم في الأرض كلها ستة عشر مليوناً ، علاوة على أن غالبيهم ليسوا من أصول إسرائيلية .

وهذا أيضاً يقودنا للحديث عن الأعداد المهولة التي قدمتها التوراة لبني إسرائيل إبان موسى وبعده ، إذ تتحدث التوراة عن أصل إسرائيل وهو يعقوب وأبناؤه وقد بلغوا حين هجرتهم إلى مصر سبعين نفساً . (انظر الخروج ٣/١) .

ثم تذكر التوراة أنهم « أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيراً جداً ، وامتلأت الأرض منهم » (الخروج ٧/١) .

وبعد مائتي سنة على دخولهم مصر ؛ خرجوا منها ، بعد سنين طويلة وقاسية ؛ عانوا فيها صنوفاً من الاضطهاد واستباحة النساء وقتل الذكور ، ولدى نزولهم في سيناء تذكر التوراة أن موسى أمر بتعذيب بنى إسرائيل « فكان جميع المعدودين من بنى إسرائيل حسب بيوت آبائهم من ابن عشرين سنة فصاعداً ، كل خارج للحرب في إسرائيل ، كان جميع المعدودين ستةآلف وثلاثةآلاف وخمس مائة وخمسين (٦٥٣٥٠) . وأما اللاويين حسب سبط آبائهم فلم يدعوا بينهم » (العدد ١/٤٥-٤٧) ، وإذا كان الرجال القادرون على الحرب في أحد عشر سبطاً قد بلغوا الستمائة ألف ، فيفهم من هذا أن بنى إسرائيل قد جاوزوا المليون .

وما يشكك في الرقم التوراتي الكبير أن موسى النبي ، وهو أحد الخارجين من مصر يعتبر الجيل الثاني للداخلين إلى مصر ، فهو موسى بن عمران بن قايث بن لاوي . (انظر الخروج ٦/١٦-٢٠) ، وجده قايث من الداخلين إلى مصر كما ذكرت التوراة . (انظر التكوين ٤٦/١١) .

ويستحيل تنامي العدد بهذه الزيادة خلال جيلين أو ثلاثة ، فمثلاً لم يكن الجيل

الأول من أبناء لاوي سوى ثلاثة أشخاص عندما دخلوا مصر ، فكيف أصبحوا بعد ثلاثة أجيال فقط اثنين وعشرين ألف ذكر . (انظر العدد ٣٩/٣).

هذه الزيادة لا يمكن للعقل أن يستوعبها بحال ، فلو ولد لكل من أبناء لاوي الثلاثة عشرة ذكور ، وولد لكل منهم عشرة ذكور ، ثم ولد لكل من هؤلاء عشرة ذكور ، وما مات من هؤلاء جميعاً أحد ، لأضحي عدد أبناء لاوي وأحفاده لا يتجاوز الأربعة آلاف من الذكور ، وهو رقم لا يتناسب بحال مع الرقم التوراتي (٢٢٠٠٠).

ومما يدل على أن هذه الأعداد غير صحيحة أنبني إسرائيل كان يتولى توليد نسائهم قابلتان فقط هما : شفرة وفوعة . (انظر الخروج ١/١٥). ومثل هذه الأرقام المهولة لا يقوم بها قابلتان فقط .

ثم تتحدث التوراة عن حروببني إسرائيل فتذكرة أرقاماً للجيوش والقتلى لا تعقل ، ففي سفر الأيام « وضر بهم أبيا وقومه ضربة عظيمة ، فسقط قتلى في إسرائيل خمسةألف رجل مختار » (الأيام ١٣/١٧)، هذا في طرف واحد منبني إسرائيل .

ثم إن كان السبعون شخصاً قد فاقوا - خلال قرنين فقط - المليون ، فإنه وبعد ثلاثةآلاف سنة ينبغي أن يكون عددهمآلافاً من الملايين تنوء الأرض بحملهم ، بل يزيد هذا العدد المفترض على تعداد سكان الأرض حالياً مرات كثيرة .

لكن الأمر على خلاف ذلك ، إذ لا يتجاوز اليهودخمسة عشر مليوناً في الأرض كلها ، علامة على أن كثيرين منهم ليسوا من ذراريبني إسرائيل .

ثم إن التوراة تذكر تعداداً آخر ، وهو التعداد الذي جرى في أرض مؤاب بعد ثمان وثلاثين سنة من تعداد موسى الأول ، ولم تطرأ فيه أي زيادة عن التعداد الأول ، بل نقص عددهم ألف شخص ، فقد كان عددهم في هذا التعداد (٦٠١٧٣٠) . (انظر العدد ٢٦/٥١) ، ولو كان بنو إسرائيل يزدادون بهذه النسبة الرهيبة ، لكان ينبغي أن

يتضاعف عددهم في هذا التعداد عشرات المرات.

وهذه المبالغات الكبيرة في أعداد بني إسرائيل يعترف بكلذبها محققون نسخة الرهانة اليسوعية ، حيث يقول هؤلاء تعليقاً على الأعداد الخيالية لبني إسرائيل المذكورة في (صوموئيل ٩/٢٤) ما نصه : « من الواضح أن الأرقام مبالغ فيها كما في كثير من الأرقام المهاطلة في العهد القديم » .

وإذا تساءلنا عن الرقم الحقيقي للخارجين من مصر ، فإن دائرة المعارف البريطانية تجزم بأن عددهم لم يتجاوز الخمسة عشر ألفاً . وصدق الله إذ يقول عنهم : « إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذَمَةٌ قَلِيلُونَ » [الشعراء : ٥٤] .

ولا يفوتنا التنبيه على خطأ توراتي آخر يختص بمدة إقامة بني إسرائيل في مصر ، حيث تذكر التوراة أن الله قال لإبراهيم : « اعلم يقيناً أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ، ويستعبدون لهم ، فيذلونهم أربع مائة سنة » (التكوين ١٣/١٥) ، وهو صريح أن مدة ذلتهم في أرض مصر أربع مائة سنة ، وهذا الرقم يؤكد سفر الخروج بقوله : « وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة » (الخروج ١٢/٤٠) .

وهذا الذي ذكرته الأسفار التوراتي خطأ ولا ريب ، إذ لم يمكنوا في مصر إلا مائتين وخمس عشرة سنة ، وقد أقر علماء النصرانية ومحققوها بذلك ، واجتهدوا في تصحيح الخطأ ، فزعم القس منيس عبد النور في كتابه (شبكات وهمية) أن المدة المذكورة في التوراة تبدأ من ابتداء دعوة إبراهيم في العراق ، وبمثله قال آدم كلارك في تفسيره ، وكذا وافقهما جامعو تفسير هنري واسكات ^(١) .

(١) انظر: شبكات وهمية حول الكتاب المقدس ، القس منيس عبد النور ، ص (٦٥) ، وانظر: كتاب مرشد =

وما ذهبا إليه هو تصحيح للنص في ضوء المعطيات التاريخية ، لكنه على أي حال تلاعب بالنص الذي يصرح بأن الأربعين سنة هي مقدار إقامتهم وذلهم واستعبادهم في مصر ، كما هو بين في قوله : « فيذلونهم أربع مائة سنة » ، قوله : « وأما إقامة بني إسرائيل التي أقاموها في مصر فكانت أربع مائة وثلاثين سنة » (الخروج ٤٠ / ١٢) ، فليس في النصين أي تضمين لفترة ما قبل دخولهم إلى مصر .

إن العجب ليس فيها سبق من الأغلاط ، بل في تلك الأخطاء التي لا يقع فيها كاتب منها ضعفت مؤهلاً له على الكتابة ، ومنها أن سفر يشوع شرع يعدد المدن الفلسطينية التي سيأخذها كل سبط من أسباط بني إسرائيل ، فيقول عن نصيب سبط يهودا : « وكانت المدن القصوى التي لسيط بني يهودا إلى تخم أدولم جنوباً : قبصيل وعيدر وياجور ، وقينة وديمونة وعدعدة ، وقادش وحاصور ويثنان ، وزيف وطالم وبعلوت ، وحاصور وحدّة وقريوت ، وحصرون هي حاصور ، وأمام وشماع ومولادة ، وحصر جدة وحشمون وبيت فالط ، وحصر شوعال وبئر سبع وبزيوتية ، وبعلة وعييم وعاصم ، وألتولد وكسيل وحرمة ، وصقلع ومدمنة وسنسنة ، ولباوت وشلحيم وعين ، ورمون . كل المدن تسع وعشرون مع ضياعها » (يشوع ١٥ / ٣٢ - ٢١) ، فقد ذكر سبعاً وثلاثين مدينة ، وزعم أن عددها تسع وعشرون ، فالفرق ثمان مدن .

وقد حاولت نسخة الرهبانية اليسوعية تقليل الفارق ، فدمجت بعض الأسماء (حاصور ويثنان = حاصور بتنان) ، و (حاصور وحدّة = حاصور حدّة) ، و (قريوت وحصرون = قريوت حصرون) ، و (عين ورمون = عين رمون) ، وحذفت واحداً (بزيوتية) ، ووضعت بدلاً منه « وتوايعها » ، واعتذر محققوها عن تلاعبهم

الطالبين إلى الكتاب المقدس الثمين ، سمعان كهلون ، ص (٣٤٦) ، حيث ذكر أن دخول يعقوب وبنيه إلى مصر كان في سنة ١٧٠٦ ق.م ، وأن عبورهم بحر القُلُّوم وغرق فرعون كان في سنة ١٤٩١ ق.م.

بالنص وما أحدثوه فيه فقالوا : « لم يُحفظ النص حفظاً جيداً ، فكثير من أسماء المدن تصوّب بالرجوع إلى النص اليوناني أو إلى نصوص كتابية أخرى »^(١) .

لكن رغم هذا التنقية فلدينا ثلاثة أسماء زائدة ، سها عن عدّها كاتب السفر !

وفي الفقرة التي تليها من سفر يشوع ذكر الكاتب أسماء خمس عشرة مدينة ، ثم أخطأ ، فقال : « أربع عشرة مدينة مع ضياعها » (يشوع ١٥ / ٣٦) ، وقد اقترح الشراح - كما نقل محققو الرهبانية اليسوعية - حذف الاسم الأخير ، ليقرأ النص : « والجديرة وتوابعها » بدلاً من قوله : « والجديرة وجديروتايم » (يشوع ١٥ / ٣٦)^(٢) .

ونخت بغلط مدهش وقع به كاتب سفر صموئيل الأول ، وحتى يستمتع قارئنا بالحكاية نسردها من أوها ، حيث يخبرنا كاتب سفر صموئيل أن الملك شاول أصحابه روح رديء من الرب فقال لعيبيده : « انظروا لي رجلاً يحسن الضرب ، وأتوا به إليّ . فأجاب واحد من الغلمان ، وقال : هوذا قد رأيت ابنًا ليسى البيتلحمي يحسن الضرب ، وهو جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ، ورجل جميل ، والرب معه . فأرسل شاول رسلاً إلى يسّى يقول : أرسل إليّ داود ابنك الذي مع الغنم .. فجاء داود إلى شاول ، ووقف أمامه ، فأحبه جداً ، وكان له حامل سلاح ، فأرسل شاول إلى يسّى يقول : ليقف داود أخذ العود ، وضرب بيده ، فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء » (صموئيل ١٦ / ١٧ - ٢٣) ، ولا ريب أن القارئ يدرك مدى الثقة والاهتمام الذي حظي به داود من قبل الملك شاول .

وفي الإصلاح الذي يليه يحدثنا كاتب السفر أنه لما نشب القتال بين اليهود

(١) وانظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٢٨٣ ، ٦٢٧) .

(٢) وانظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص (٢٥٤) .

والفلسطينيين تقدم داود لمبارزة جليات ، وقبيل المبارزة اجتمع داود مع الملك شاول ، وجرى بينهما حوار طويل (انظر صموئيل (١) ١٧-٣٢) ، ثم ألبس شاول داود ثيابه ، وقلّده سيفه ، فخرج داود لقتاله . (انظر صموئيل (١) ٣٨-٤٠) .

وهنا يفجر كاتب السفر مفاجأة غير متوقعة ، فيقول : « ولما رأى شاول داود خارجًا للقاء الفلسطيني قال لأبنير رئيس الجيش : ابن من هذا الغلام يا أبنير ؟ فقال أبنير : وحياتك أيها الملك لست أعلم . قال الملك : اسأل ابن من هذا الغلام ؟ ولما رجع داود من قتل الفلسطيني أخذه أبنير ، وأحضره أمام شاول ورأس الفلسطيني بيده . فقال له شاول : ابن من أنت يا غلام ؟ فقال داود : ابن عبده يسوع البتلحمي » (صموئيل (١) ١٧-٥٥) ، إن كاتب هذا المشهد الأخير غريب عن السفر لا يدرى بأن داود معروف عند الملك وبلاطه ، وأنه كان قبل هنهذه في اجتماع مع الملك استعداداً لهذه المبارزة ، ولا يتصور غياب قائد الجيش عن هذا الحدث الكبير .

وأمام هذه المعضلة يحار شراح الكتاب المقدس ، ولندع القارئ الكريم يستمتع قليلاً بقراءة التفسيرات البهلوانية الباردة التي يقدمها لنا مفسرو التفسير التطبيقي : « رغم أن داود عزف على العود مرات عديدة أمام شاول ؛ فإن سؤال شاول لأبنير يدل على أن شاول لم يكن يعرف داود جيداً ، وهناك بضعة تفسيرات لهذه العبارة المحيرة :

- ١ - حيث إنه كان مقرراً أن يتزوج داود ابنة شاول في حال نجاحه (٢٥ / ١٧) أراد شاول أن يعرف المزيد عن عائلة داود .
- ٢ - لعل حالة شاول العقلية المضطربة منعه من تمييز داود .

٣ - كان داود ما زال يعمل في قصر شاول ، وربما لم يكن شاول قد اهتم بالتعرف به أو معرفة الكثير عنه » ^(١) .

(١) التفسير التطبيقي ، نخبة من العلماء اللاهوتيين ، ص (٦٠٣) .

وأما شراح تفسير كنيسة العذراء فيبررون سؤال شاول الغريب بقولهم : « كانوا يأتون بذاود إلى شاول وهو مصروع لا يدرى شيئاً مما حوله ، فمن المنطقي أن لا يتعرف على ذاود » .

وأما الآباء اليسوعيون فكانوا أكثر جرأة ، لقد أقرروا بالتناقض ، وعقبوا بالقول : « ولذلك أهملت الترجمة اليونانية القديمة (١٧/٥-١٨/٥) ، كما أهملت (١٢/١٧-١٣/١٢) »^(١) .

أغلاط توراتية بشهادة العلوم والمكتشفات الحديثة

ومن أغلاط التوراة أيضاً أغلاط خالفت فيها الحقائق العلمية الحديثة ، مما دل على أنها ليست من كلام الله الذي يتزه عن الخطأ والجهل بحقائق العلم التي أدركها الإنسان فيما بعد ، فالله العليم لن يخسر في كتابه إلا بكل صحيح ، إذ لا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء .

ومن ذلك حديث التوراة عن قصة الخلق في سفر التكوين ، حيث يتحدث السفر عن خلق الكون في ستة أيام أرضية مكونة من صباح ومساء .

فخلق وفقاً للترتيب التوراتي في اليوم الأول الأرض والنور والظلام والماء ، وفي الثاني خلق السماء حين وضع جَلَداً بين مياه ومياه ، وفي اليوم الثالث تجمعت المياه التي تحت الجَلد الذي سمي سماء ، ف تكونت اليابسة ونبت العشب والبقل .

وفي اليوم الرابع خلقت الشمس والقمر والنجوم فيما فوق الجَلد (السماء) ، وفي اليوم الخامس خلقت الحيوانات البحرية والطيور .

وفي اليوم السادس خلق آدم والحيوانات البرية ، وفرغ من الخلق في هذا اليوم .
(انظر التكوين ١/٣١-١/٣١) .

(١) تفسير سفر صموئيل لكنيسة العذراء بالفجالة ، ص (٦٧).

ويلحظ العلماء المحققون على هذا الترتيب والإخراج لقصة بدء الكون ملاحظات يرفضها العلم الحديث الذي أعطاه الله للإنسانية ، ولو كانت الأسفار من عند الله لما حوت هذه الأخطاء المتتابعة .

منها : أن السفر يتحدث عن ستة أيام أرضية تكون من ليل ونهار « وكان صباح » ، « وكان مساء » ، وكان سابعها يوم السبت الذي استراح فيه الخالق - تعالى عن ذلك - ، ومن المعلوم علمياً أن الخلق تم على فترات كونية تقدر بـ ملايين السنين ، وصدق الله حين قال مبيناً المفارقة بين أيامه وأيام البشر : ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] .

والعلماء يقولون بأن الأرض احتاجت لملايين السنين حتى بردت قشرتها وغدت صالحة للحياة ، فيما يتحدث السفر عن ظهور الماء على الأرض في أول أيامها ، ثم ظهور النبات في ثالثها ، والحيوانات في رابعها وخامسها .

كما أن الترتيب التوراتي لظهور المخلوقات يتناقض مع مكتشفات التاريخ الجيولوجي .
فوجود الماء على وجه الأرض في اليوم الأول يتناقض مع النظرية العلمية القائلة بأن الأرض بل والعالم كان غازياً في بداية خلقه ، كما لا يصح ظهور النبات قبل وجود الشمس ، ولا يصح أيضاً وجود الحيوانات البحرية والطيور قبل الحيوانات البرية .

ومثله يرفض علمياً القول بأن الأرض خلقت قبل الشمس والنجوم (في اليوم الرابع) ، والعجب من ظهور الليل والنهار لثلاثة أيام ، ولما توجد الشمس بعد !

والقول بأن النبات وجد قبل الإنسان بثلاثة أيام فقط ، قول مردود ، إذ تتحدث المكتشفات العلمية عن وجود النبات قبل الإنسان بـ ملايين السنين .

وقد وردت أكثر هذه الاعتراضات على هذا القصة للخلق في ثانياً نقد الأب

دوفو لرواية سفر التكوانين^(١).

ومن الملاحظات العلمية على الأسفار التوراتية أنها تتحدث باستفاضة عن أعمار الآباء الأوائل من لدن آدم إلى إبراهيم ، فتجعل ولادة إبراهيم في القرن العشرين من بداية الوجود الإنساني على الأرض وتحديداً في سنة ١٩٤٨ من لدن خلق الكون وظهور الإنسان على الأرض .

ولا توجد معلومات دقيقة تاريخياً عن الفترة الممتدة بين إبراهيم وعيسى ، ولكن المؤرخين يقدرونها بثمانية عشر قرناً ، اعتماداً على المصادر التوراتية ، وعلى هذا فإن ظهور المسيح كان بعد خلق آدم بثمانية وثلاثين قرناً .

الأسقف الإيرلندي جيمس يوزهر (ت ١٦٥٦ م) الذي يعتبر واحداً من أكبر علماء عصره قام بتتبع سلاسل النسب التوراتية ، ليصل إلى نتيجة مفادها أن العالم خُلِق عام ٤٠٠٤ ق.م^(٢) ، وهي نتيجة لا تبعد كثيراً عن التاريخ العربي الذي يوافق فيه (٢٠٠٠ م) سنة ٥٧٦١ من لدن خلق العالم ، وعليه نقول بأن المعطيات التوراتية تجعل عمر البشرية على وجه الأرض لا يزيد عن ستة آلاف سنة بحال من الأحوال .

ويتعارض هذا تماماً مع المعطيات العملية التي تعتبر الحسابات التوراتية نوعاً من الهراء ، فقد ثبت وجود حضارات قامت قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة .

إذ يرى علماء الآثار أن من المسلم به قيام حرب طاحنة بين شمال مصر وجنوبها عام ٤٠٤٢ ق.م ، وانتصر فيها أهل الدلتا بيد أن انتصارهم لم يكن حاسماً كما تبدأ

(١) انظر : التوراة وإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكاي ، ص (٤٤ - ٥١)، دراسة عن التوراة وإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٧٩)، قراءات في الكتاب المقدس ، عبد الرحيم محمد (٢/١٨٢ - ١٨٣).

(٢) انظر : كيف يفكرون الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردو ، ص (٢٢٨).

الحضارة المصرية المؤرخة بالأسرة الأولى والتي حكمت مصر بين ٣٤٠٠ - ٣٢٠٠ ق.م، وثمة الكثير مما لم يؤرخ قبلها.

كما عثر على مصنوعات بشرية تعود لأكثر من خمسة آلاف سنة قبل الميلاد. وعثرت بعثة جامعة القاهرة على آثار بشرية في منطقة الفيوم ترجع لعشرات الآلاف من السنين.

وتذكر دائرة المعارف البريطانية أن الآثار الإنسانية في فلسطين ترجع لما تي ألف سنة ، ويقول العلامة دونلد جان سنة ١٩٧٩ م : « كشف وجود الإنسان على وجه الأرض منذ أربعة ملايين سنة »^(١).

وصدق الله العظيم إذ يؤكد أن البشرية ضاربة جذورها في التاريخ قرونًا طويلة ، فيقول : « قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى ② قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ③ [طه : ٥٢-٥١] ، « وَعَادَا وَثَمُودًا وَأَصْحَبَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ④ 】 [الفرقان : ٣٨] ، « أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبِيًّا مِّنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودٍ ⑤ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ ⑥ 】 [إبراهيم : ٩].

وثمة أمور كثيرة ذكرتها التوراة تتعارض مع الأمور الثابتة علمياً والمشاهدة حسناً ، ذكرها أن الأرنب من الحيوانات المجترة ، فيقول : « الجمل والأرنب والوبر لأنها تجترّ ، لكنها لا تشق ظلفاً ، فهي نجسة لكم » (التثنية ١٤ / ٧).

ومثله أيضاً القول بأن الحية عوقبت بأكل التراب (انظر التكوين ٣ / ١٤) أو أنها تلحسه ، كما في سفر ميخا « يلحسون التراب كالحية ، كزواحف الأرض » (ميخا

(١) انظر : التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس بوكي ، ص (٢٠) ، دراسة عن التوراة والإنجيل ، كامل سعفان ، ص (١٧٩).

١٧/) ، والشاهد في جميع أنواع الحيات المصنفة علمياً أنها تأكل الحشرات والزواحف وغيرها ، ولم يسجل أبداً أنها تأكل التراب أو تلحسه .

ويتحدث سفر اللاويين عن أحكام تتعلق بطيور أسطورية لها أربع أرجل ، بعضها يدب ، وبعضها يمشي ، ولا وجود لها إلا في أساطير الخيال ، فيقول : « وكل دبب الطير الماشي على أربع فهو مكرور لكم . إلا هذا تأكلونه من جميع دبب الطير الماشي على أربع . ما له كراعان فوق رجليه يشب بها على الأرض . هذا منه تأكلون .. لكن سائر دبب الطير الذي له أربع أرجل فهو مكرور لكم » (اللاويين ١١/٢٠-٢٣) . ولم تتحدث الحفريات ولا غيرها عن شيء مثل هذا كان على وجه الأرض في يوم من الأيام .

ومن الأخطاء العلمية أيضاً ما جاء في سفر التكوين (٤٣/٣٧-٣٠) ، حيث زعم بأن غنم يعقوب أنتجت ، فكان لون نتاجها مختلفاً للون آبائها ، بسبب رؤيتها لبعض العصي المقشرة ، فتوحمت عليها ، فكان النتاج مثلها ، ولو صح مثل هذا لكان ينبغي أن يكون نتاج الربيع أخضرًا ، وهذا اهراء يخالف كل ما يعرفه علماء الجينات والشفرات الوراثية .

وفي سفر التكوين حديث عن أغرب قصة ولادة ، ألا وهي قصة ولادة الزانية ثamar من حماها ووالد أزواجها يهودا ، « وفي وقت ولادتها إذا في بطنهما توأمان ، وكان في ولادتها أن أحدهما أخرج يده ، فأخذت القابلة ، وربطت على يده قرمزاً قائلة : هذا خرج أولاً ، ولكن حين ردّ يده إذ أخوه قد خرج ، فقالت : لماذا اقتحمت ؟ عليك اقتحام . فدعني اسمه فارص ، وبعد ذلك خرج أخيه الذي على يده القرمز ، فدعني اسمه زارح » (التكوين ٣٨/٣٠-٢٧) ، فقد أخرج البكر يده من بطنه أمه ، وهو أمر غير معهود في عملية الولادة ، وأراد المولود من خلال إخراج يده التأكيد على حقه في البكورية ، وفهمت القابلة مراده ، فربطت على يده برباط قرمزي .

ثم حصل الأغرب منه الذي لا يمكن تفسيره طبياً ، فقد أفسح البكر مكانه في الرحم لأخيه التوأم ، ليخرج إلى الدنيا ، ثم تبعه أخيه البكر ، صاحب اليد المربوطة بالقرمز ، ومثل هذه القصة لا تقبل علمياً ، وإلهاقها بقصص العجائز أولى من أن تلحق بكلام الله ووحيه .

ويقدم سفر أيوب تصوراً غريباً لكيفية تخليق الجنين ، فهو يصب في قالب ، كما يصب الخليب ، ثم يتجمد في وسط هذا القالب ، كما يتختز الخليب فيتحول إلى جيناً ، وهو كما تقول نسخة الرهبانية اليسوعية في تعليقها عليه متطابق مع التصورات القديمة لخلائق الجنين ، لكنه على كل حال لا علاقة له من قريب أو بعيد بما يعرفه العلماء عن مراحل تخليق الجنين ، يقول سفر أيوب مخاطباً الله : « اذكُرْ أَنْكَ جَبَلْتِنِي كَالْطِينِ ، أَفَتَعِيدُنِي إِلَى التَّرَابِ ، أَلَمْ تَصْبِنِي كَالْلَّبَنِ ، وَخَثَرْتِنِي كَالْجُنَينِ ، كَسَوْتِنِي جَلْدًا وَلَحْيَانِ ، فَنَسْجَتِنِي بِعَظَامِ وَعَصَبٍ » (أيوب ١٠/١١-٩) .

ومن الأخطاء العلمية زعم التوراة أن الأرض لها أعمدة ، وأنها مسطحة ، ولها زوايا ، موافقة بذلك المستوى العلمي السائد حين كتابتها ، فتقول وهي تتحدث عن الشمس التي تغرب على الأرض ، ثم تذهب مسرعة إلى شرق الأرض لتشرق من جديد : « وَالشَّمْسُ تَشْرَقُ ، وَالشَّمْسُ تَغْرِبُ ، وَتَسْعَ إِلَى مَوْضِعِهَا حِيثُ تَشْرَقُ » (الجامعة ٥/١) ، فكاتب السفر لا يعرف شيئاً عن كروية الأرض ، ولا عن دورانها حول محورها ليحصل الشروق والغروب ، إنه ليس الله العظيم العليم الذي « خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِيقَةِ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ » [الزمر: ٥] .

وتقول التوراة واصفة الله أنه « المزعزع الأرض من مقرها ، فتنزل أعمدتها » (أيوب ٩/٦) ، فالأرض لها أعمدة ، قد ثبتت الأرض فوقها ، وهذا الفهم الخاطئ يؤكده كتابو الأسفار ، فيزعمون أن الله قال لأيوب : « أين كنت حين أستأصلت الأرض؟

أخبر إن كان عندك فهم : من وضع قياسها ، لأنك تعلم ؟ أو من مَدَ عليها مطهراً ؟ (في توراة الكاثوليك : مد عليها الخيط) . على أي شيء قررت قواعدها ؟ أو من وضع حجر زاويتها ؟ (أیوب / ٣٨ - ٦) ، وفي سفر صموئيل « لأن للرب أعمدة الأرض ، وقد وضع عليها المسكونة » (صموئيل (١) ٢ / ٢) .

وقد أكد العهد الجديد هذا التصور الساذج والخاطئ للأرض المسطحة ذات الأطراف أو الزوايا الأربع في مواضع منه ، نرجع ذكرها إلى موضعها من هذه السلسلة .

ويتحدث سفر الجامعة عن دورة المياه على الأرض وعن سبب عدم امتلاء البحر رغم كثرة ما يصب فيه من ماء الأنهار ، فيذكر أن ماء البحر يعود مرة أخرى إلى ينابيع الأنهار ، فلا يمتليء بسببه البحر ، يقول : « كل الأنهار تجري إلى البحر ، والبحر ليس بملآن ، إلى المكان الذي جرت منه الأنهار ، إلى هناك تذهب راجعة » (الجامعة ١ / ٧) .

وأخيراً ، فإن التوراة تصادق على قدرة الإنسان على تحضير أرواح الأموات ، وأن ذلك تم بالفعل ، حين قدرت العرافية على إحضار روح النبي صموئيل إلى الملك شاول ، وشرحت ما دار من حديث بينهما (انظر صموئيل (١) ٢٨ - ٣ / ٢٠) ، وهو خبر إلى الشعبنة والخرافة أقرب منه إلى أي شيء آخر .

فهذه الأخطاء وغيرها تشهد أن هذا الكتاب ليس كلمة الله ، ولو كان من عند الله لتنزه عن تلکم الأخطاء التي يدركها اليوم صغار طلاب العلم فضلاً عن العلماء ، فكلمة الله لا تخطئ ، ولا تعلم الناس الكذب أو الخطأ .

موقف النصارى من أخطاء الكتاب المقدس

ونتساءل بعد هذا كله : ما هو موقف الكنيسة من الأخطاء التوراتية ؟ لقد بقيت الكنيسة قرونًا طويلة وهي تكابر في الاعتراف بأخطاء الكتاب المقدس ، فيقول القديس جيروم : « الله لا يمكن أن يعلم ما لا يتفق والحقيقة » .

ثم كان لابد من الاعتراف بهذه الأخطاء وغيرها والبحث عن سبل لتخريجها ، وكان بداية الإقرار بالهزيمة تبرير أخطاء التوراة بأنها تعود للنسخ والنسخ ، فالوحى لا ينخطئ .

وفي مجمع الفاتيكان (١٨٦٩-١٨٧٠ م) أعلن المجمع أن الأسفار المقدسة في العهدين « كتبت بإلهام من الروح القدس مؤلفها الله ، وأعطيت هكذا للكنيسة » .

وفي هذا الصدد نشرت مجلة لوك في سنة ١٩٥٢ م مقالاً بعنوان (الحقيقة عن الكتاب المقدس) ذكرت فيه أنه في عام ١٧٢٠ م قامت هيئة من الخبراء الإنجليز بتقدير عدد الأخطاء في الكتاب المقدس بحوالي عشرين ألف خطأ على الأقل .

فيما رفعت الدراسات الحديثة الرقم إلى خمسين ألفاً كما جاء في مجلة (استيقظوا) التي أصدرتها جماعة شهود يهوه في عددها الصادر في سبتمبر ١٩٥٧ م ، حيث تقول : « هناك ما يقارب خمسين ألف خطأ .. وهي أخطاء تسللت في نص الكتاب المقدس » .

يقول د . صبري جوهرة وهو يلخص رأي الكنيسة : « إن الله يسمح للإنسان (كاتب السفر) بأن يضع كل إحساساته وخبراته وحساسياته وميوله في النصوص مادام ذلك لا يغير ما قصده الله من معانى السفر الأخلاقية والدينية ، وبالتالي تعرف الكنيسة بعدم دقة الكتاب في معلوماته الفلكية والجغرافية والتاريخية والجيولوجية .. الخ ، فالمقصود بالكتاب هو أن يعلم الدين والأخلاق ، ويساعد على الوصول إلى طريق الصلاح والسعادة » ^(١) .

وأكّد هذه المعاني الدكتور القس الخضرى بقوله : « الكتاب المقدس كتاب الله ، ليس كتاباً علمياً أو موسوعة علمية كتبها مجموعة من المتخصصين في مواد مختلفة ، وكل

(١) انظر : المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم ، محمد البار ، ص (١٦).

همهم تجنب الأخطاء العلمية في تخصصهم ، في التاريخ ، أو الجغرافيا .. فالكتاب إذاً هو خطاب أو رسالة قبل أن يكون كتاباً علمياً ، وهدفه ليس شرح القواعد العلمية بطريقة صحيحة ، بل هدفه هو توصيل الرسالة للإنسان »^(١) .

وفي مجمع الفاتيكان ١٩٦٢-١٩٦٥ م بُحث موضوع المشكلات الصعبة للكتاب المقدس ، وصدرت وثيقة صوت لها ٤٤ من الحاضرين مقابل ٦ فقط رفضوها.

وتقول الوثيقة في فصلها الرابع : « تسمح أسفار العهد القديم للكل بمعرفة من هو الله ، ومن هو الإنسان بما لا يقل عن معرفة الطريقة التي يتصرف بها الله في عده ورحمته مع الإنسان ، غير أن هذه الكتب تحتوي على شوائب وشيء من البطلان . ومع ذلك فيها شهادة عن تعليم إلهي »^(٢) .

وهذه النتيجة توافق أو تقارب ما توصلت إليه الدراسات النقدية لتاريخ الكتاب ، والذي « تقرر أن الكتاب المقدس اليهودي ، ليس بمختلف جوهرياً عن النصوص المقدسة في الأديان الأخرى ، وكهذه ، فإنه عمل إنساني »^(٣) .

(١) تاريخ الفكر المسيحي ، الدكتور القس حنا جرجس الخضري (١٦٩/١-١٧٠) ، وانظر كيف يفكر الإنجيليون في أساسيات الإيمان المسيحي ، واين جردم ، ص (٧٥).

(٢) انظر : الكتاب المقدس في الميزان ، عبد السلام محمد ، ص (١٤٠) ، التوراة الإنجيل والقرآن والعلم ، موريس يوكاي ، ص (٤٣ ، ٥٩ ، ٦٤) ، اختلافات في ترجم الكتاب المقدس ، أحمد عبد الوهاب ، ص (٩٢-٩١).

(٣) موجز تاريخ الأديان ، فيلسيان شالي ، ص (١٦٠).

خاتمة المبحث

وهكذا تم حديثنا عن التوراة وأسفار العهد القديم ، وحصل القارئ الكريم على إجابة عن السؤال المهم الذي أجبت عنه المباحث المتتابعة التي ذكرناها في هذا الصدد ، وهذا السؤال هو ما طرحتناه في مقدمة كتابنا هذا : هل العهد القديم كلمة الله ؟

نعم لقد عرف قارئنا كيف ضاعت توراة موسى التي يؤمن بها المسلمون ، وثبت بالأدلة براءة موسى والأنبياء من الأسفار المنسوبة إليهم ؟

وعرفنا من هم كتبة هذه الأسفار ، ومن الذي منحها صفة القدسية ، كما تعرفنا على أقدم المخطوطات الكتابية والتي تعود إلى تاريخ بعد موسى بما يقارب الخمسة عشر قرناً .

ثم نظرنا في نص الأسفار وتمعنا في حديثها عن الله ورسله ، فرأينا شهادة قائمة بأن هذه الأسفار لا يليق أن تنسب إلى الله ، وزاد الأمر وضوحاً ونحن نستعرض الأخلاق التوراتية . وأشبعنا ونحن نتأمل الصبغة البشرية للتوراة .

ثم رأينا الأدلة الكثيرة والعديدة على تحريف التوراة ، ووضح لنا الكثير من تناقضاتها وأخطائها .

وكل ذلك أثبت لنا أنها ليست كلمة الله المنزلة على موسى والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

ولانملك إلا أن نقول كما قال ربنا : «**فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ**

وَوَيْلٌ لِّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ [البقرة: ٧٩] .

ولا يسعني وأناأشكر القارئ الكريم على قراءته لهذه السطور إلا أن أتوجه إليه
بدعوة ملخصة لقراءة الحلقة التالية من حلقات سلسلة الهدى والنور ، وهي بعنوان : هل
العهد الجديد كلمة الله ؟

والله أسأل أن يكتب لنا القبول والسداد ، وأن يهدينا لما اختلفنا فيه من الحق بإذنه ،
إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم .
- * الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة البروتستانتية) .
- * الكتاب المقدس . طبعة : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (النسخة الأرثوذكسية الكاثوليكية) .
- * الكتاب المقدس . طبعة : الرهبانية اليسوعية (نسخة كاثوليكية أصدرها الآباء اليسوعيون) . توزيع جمعيات الكتاب المقدس في الشرق . بيروت .
- * الترجمة العربية المشتركة ، (أصدرها علماء ولاهوتيون كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت) ، دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، (الطبعة الرابعة للعهد القديم ، الطبعة الثلاثون للعهد الجديد) .
- * التوراة السامرية . ترجمة الكاهن : أبو الحسن إسحاق الصوري . نشرها : أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- * إسرائيل حرفت الأنجليل والأسفار المقدسة . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٩٧٢م .
- * الأسفار المقدسة قبل الإسلام . صابر طعيمة . عالم الكتب . ط١ . بيروت ، ١٤٠٦هـ .
- * إظهار الحق . رحمة الله الهندي . تحقيق : محمد أحمد ملكاوي . ط١ . دار الحديث . القاهرة ، ١٤٠٤هـ .
- * البرهان المبين في تحريف أسفار السابقين . أحمد عبد الوهاب . مكتبة التراث الإسلامي . القاهرة .
- * تاريخ الكنائس ، يوسابيوس القيصري ، ترجمة : القمص مرقس داود ، مكتبة المحبة ، ط٣ ، ١٩٩٨م .

- * التحرير في التوراة . محمد علي الخولي . ط١ ، ١٤١٠ هـ .
- * التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، مجموعة من العلماء اللاهوتيين ، القاهرة .
- * التوراة . محمد شلبي شتيفي . ط١ . مكتبة الفلاح . الكويت ، ١٤٠٦ هـ .
- * التوراة والإنجيل والقرآن والعلم . موريس بوكيي . ترجمة : حسن خالد . ط٢ المكتب الإسلامي . بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- * حول موثوقية التوراة والأنجيل . محمد السعدي . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . طرابلس . ليبيا ، ١٤٠٦ هـ .
- * دائرة المعارف الكتابية ، مجموعة من المحررين ، ط٣ ، دار الثقافة ، ١٩٩٥ م .
- * دراسة عن التوراة والإنجيل . كامل سعفان . دار الفضيلة . القاهرة .
- * العقائد الوثنية في الديانة النصرانية . محمد طاهر . محمد المذوب . دار الشواف ، ١٩٩٢ م .
- * قراءات في الكتاب المقدس . عبد الرحيم محمد . (بدون معلومات نشر) .
- * القرآن الكريم والكتاب المقدس . أيهما كلمة الله ؟ أحمد ديدات .
- * الكتاب المقدس في الميزان . عبد السلام محمد . ط . دار الوفاء ، ١٤١٢ هـ .
- * الله جل جلاله والأنبياء عليهم السلام في التوراة والعهد القديم . محمد علي البار . ط . دار القلم . دمشق ، ١٤١٠ هـ .
- * المدخل إلى العهد القديم ، القس الدكتور صموئيل يوسف ، ط٢ ، دار الثقافة ، القاهرة .
- * مدخل إلى الكتاب المقدس ، جون بالكين وآخرون ، ترجمة : نجيب إلياس ، ط١ ، دار الثقافة .

- * المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم . محمد علي البار . دار القلم . دمشق ، ١٤١٠هـ .
- * المناظرة الحديثة في علم مقارنة الأديان . أحمد ديدات . جمع وترتيب : أحمد السقا . ط١ . مكتبة زهرة ، ١٤٠٨هـ .
- * مناظرة العصر . أحمد ديدات و القس أنيس شروش . ترجمة : علي الجوهري . دار الفضيلة .
- * مناظرتان في استكهولم . أحمد ديدات والقس شوبرج . دار الفضيلة .
- * من الفروق بين التوراة السامرية والعبرانية في الألفاظ والمعاني . أحمد حجازي السقا . ط١ . دار الأنصار . القاهرة ، ١٣٩٨هـ .
- * النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام . أحمد عبد الوهاب . ط١ . مكتبة وهبة . القاهرة ، ١٤٠٠هـ .
- * نقد التوراة . أحمد حجازي السقا . مكتبة الكليات الأزهرية .
- * هل الكتاب المقدس كلمة الله؟ أحمد ديدات . ترجمة : نورة التومان . دار الهجرة . دمشق ، ١٤٠٨هـ .

فهرس الموضوعات

٥	المقدمة
٩	معتقد المسلمين في توراة موسى عليه السلام
١٥	أسفار العهد القديم
٢١	لمحات من تاريخ بني إسرائيل
٢٣	النصوص التوراتية الحالية
٢٣	- صور من الاختلاف بين النصوص التوراتية
٣٣	مخطوطات الكتاب المقدس
٤٣	إبطال نسبة الأسفار الخمسة إلى موسى عليه السلام
٤٣	- قصر توراة موسى بالنسبة إلى التوراة الحالية
٤٤	- تناقض سفر يشوع مع الأسفار الخمسة
٤٥	- أحداث ذكرتها التوراة ، وقد حصلت بعد وفاة موسى
٤٨	- مسميات ظهرت بعد موسى
٤٩	- اعترافات مثيرة
٥٣	إبطال نسبة أسفار الأنبياء إليهم
٥٣	- سفر يشوع
٥٥	- سفر القضاة

٥٦	- سفر راغوث
٥٧	- سفرا صموئيل (الأول والثاني)
٥٧	- سفرا عزرا ونحريا
٥٨	- سفر أستير
٦٠	- سفرأيوب
٦١	- سفر المزامير
٦٢	- سفر (الأمثال) و (الجامعة) و (نشيد الإنجاد)
٦٥	- سفر إشعيا
٦٦	- سفر إرمياه
٦٦	- خامة جامعة
٦٩	حفظ التوراة (الأسفار الخمسة) وضياعها
٧٠	- ضياع التوراة (الأسفار الخمسة)
٧٣	هل الأسفار الخمسة الحالية هي توراة عزرا
٧٧	الوثنيات القديمة والتوراة
٨٣	قانونية التوراة (قدسيتها)
٨٧	نقد متن العهد القديم
٨٩	الله وصفاته في العهد القديم
٨٩	- إله أم إنسان ؟

٩١	- أفعال الإله البشرية
٩٣	- هل يعجز الإله أو يجهل ؟
٩٧	- هل يأمر الله بمثل هذا ؟
١٠٨	- تشبيهات ممجوجة لله في العهد القديم
١١١	الأنبياء في العهد القديم
١١٢	- نوح <small>عليه السلام</small>
١١٢	- إبراهيم <small>عليه السلام</small>
١١٣	- لوط <small>عليه السلام</small>
١١٤	- يعقوب <small>عليه السلام</small>
١١٥	- موسى وهارون <small>عليهم السلام</small>
١١٧	- يشوع بن نون <small>عليه السلام</small>
١١٩	- داود <small>عليه السلام</small>
١٢١	- سليمان <small>عليه السلام</small>
١٢٥	الأخلاق في العهد القديم
١٣١	- وبعد : ما هي آثار الكتاب المقدس على قارئيه ؟
١٣٣	الصبغة البشرية للعهد القديم
١٣٣	- قصص للمتعة لا للفائدة
١٣٥	- معلومات تاريخية لا قيمة لها